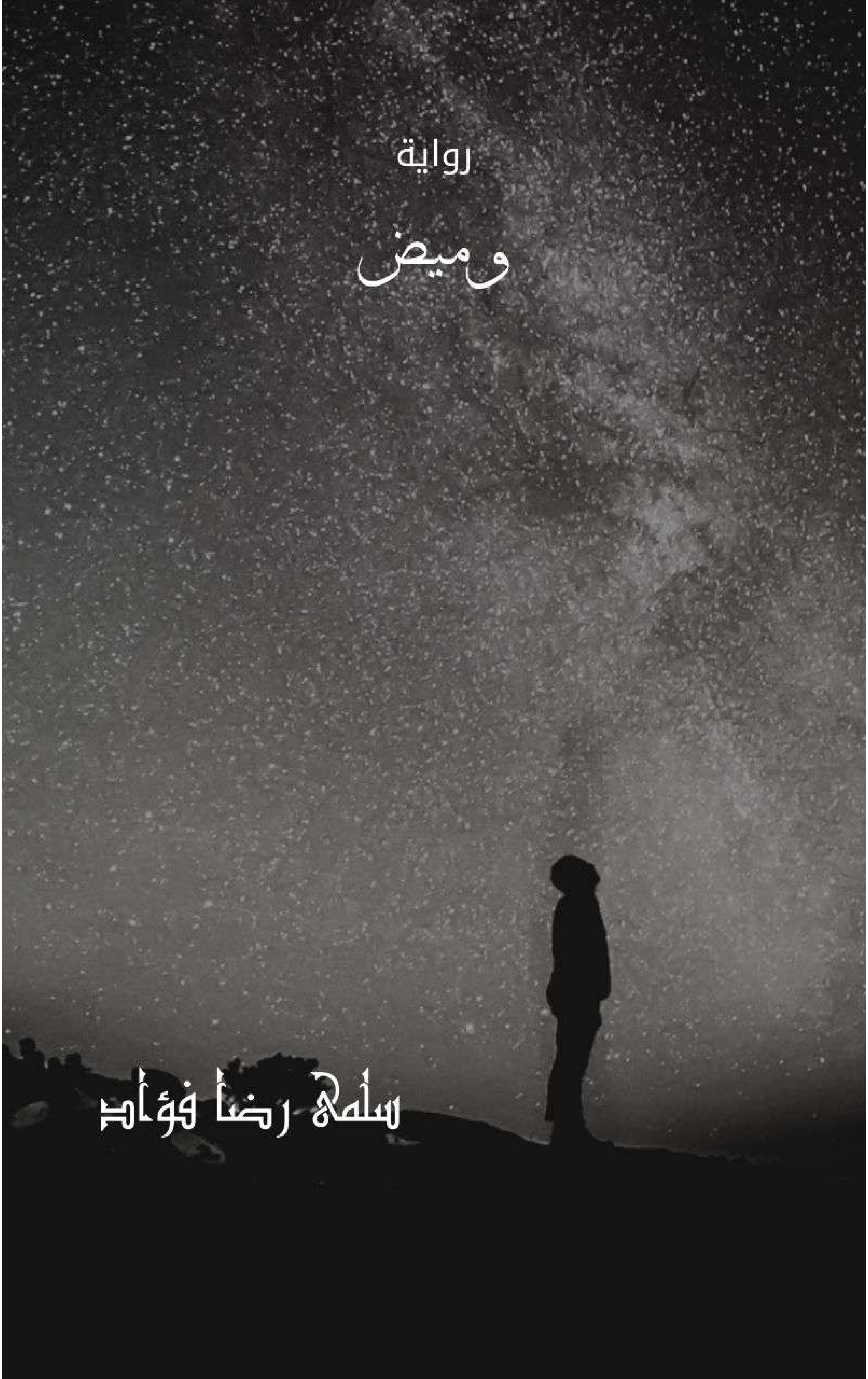

رواية

وميض

سلمى رضا فؤاد

مملكة الإيقاع

السماء غائمة، تلتقط ذلك الشعاع المنبثق من تلك الأعين من مختلف فئاتهم: أطفال ونساء وشيوخ ينتمون إلى عالم يدعى "بمملكة الإيقاع". وأفرادها يطلق عليهم "الإزرقيون" نسبة لِطغيان اللون الأزرق على حياتهم وأحكامهم وعاداتهم.

بعد قرابة دقيقة تقريباً من تواصل ذلك الشعاع من الإزرقيون نحو تلك البقعة الغائمة، فجأة ينصب نظرهم مباشرة أسفل أقدامهم لتظهر الأرض القوية المزخرفة بأشكال مختلفة وغريبة تغطيها زخات من حبات تشبه الرمال إلى حد ما مع اختلاف في اللون ليكون أسمر بشكل بديع.

ليتهامسوا فيما بينهم أن هذا هو من عملنا، أحدنا يفعل أموراً تحسن منا ولكن ينقصنا شيئاً لم يكتمل بعد. ليعلن لاحقاً عن انتهاء مراسم العام الجديد.

ليشتتوا بعد ذلك ويذهب كل واحد منهم حيث يريد مقسمين إلى العامة وعدة مجموعات مختلفة كان قد تم تقسيمهم بحسب ذلك العام المنقضي، وليذهب كل واحد منهم نحو وجهته. أما العامة فمعروفون، يبقون ولا يخرجون.

وأما عن المجموعات الأخرى فمقسمين على شكل دوائر ملتفين بانتظام كبير وبين كل مجموعة يوجد قائداً يمثلهم، حيث يأخذهم نحو عالم قد تم اختياره مسبقاً بحسب أعمالهم ورغباتهم بأعداد محدودة.

الطائفة الأولى: هناك رجل ذو ثياب فاخرة وكان هذا ليأخذهم نحو عالم جميل لا يخطوه إلا العظماء والمتميزون. ومن بلغ تلك المكانة سيصل حتماً لذلك العالم المسمى بالأزهار والشجيرات وأماكن من النوادر، حيث هناك أزهار الأوركيدا الزرقاء وأزهار الفانيليا السوداء وهناك المزيد.

الطائفة الثانية: هناك امرأة بالغة يكسوها السعادة والقلق في آن واحد. وعلى مقربة منها، وجوهاً فارحة ولكن يبقى القلق طاغياً حتى يفسد المغامرة قبل تحققه، وذلك لأنهم ذاهبين لعالم غريب لا يعرفون عنه شيئاً سوى سماع الأساطير.

الطائفة الثالثة: فهي لامرأة أيضاً تترأس مجموعة من الإزرقيون ليذهبوا عنوة بأمر من الحاكم لعالم البحر والمحيط كعقاب لهم على الغدر والخيانة وعصاة الطاعة، بعد صدور الحكم سواء في المحاكمة أو المواجهة وأن عادوا يبدأو من جديد.

الطائفة الأخيرة: فتُحمل قلائل إلى عالم الجن والسحر والعفاريت. ليحقق بشأنهم الموت الأكيد، وذلك لأنهم قد فعلوا أسوأ الخروقات في ذلك العالم الذي يحاول أن يتزين بعدله على مر السنين، ولكن أحدهم قد أتي ليعكر تعب ملايين من الإزرقيون.

فلماذا يتفارقون يا ترى؟

أما الأولى: فهُم لأولئك الذين ساهموا في تطوير ذلك العالم، وضوئهم أكثر قوة وشجاعة من الباقي.

أما الثانية: فهي لأولئك الغير ضارين ولا مضرّين، وإنما جاء ذلك العالم ليخرجهم من ذلك الروتين.

أما الثالثة: فهُم لأولئك المخطئين بأمر من ملكة ذلك العالم الغريب.

فالبحر والمحيط يخفيان الأخطاء والخطايا، حتى يقال عندهم إن من ذهب لذلك العالم قد شفا واستشفى. ولذلك ذهبوا بالمخطئين.

أما الأخيرة: فهُم لأولئك الذين حكم عليهم بالموت عن طريق السحر والجن والعفاريت بلا عودة مطلقاً من هناك.

في ذلك العالم يقال إن العدل هو سيف الحق، وفي ذلك قد تحقق.

أما التسامح موجوداً أيضاً ولكن أقل حدة حينما يتعارض مع العدل.

كلّ يُعامل بفطرته: فالذكي في ذلك العالم يُعامل بصفته، والطموح لا يُسأل عن النتيجة. أما القوي فيذهب ليلاقي من يشبهه حتى يمرحوا.

فلا مكان للضعفاء إلا في آخر بقعة في هذا العالم يطلق عليها اسم "المحرومين". الضعفاء هنا ليسوا بالجسد وإنما بالحماقة واليأس واللامبالاة والخضوع لمآسي الحياة. فكما ذكرت، ذلك العالم يُعامل بحسب فطرته.

ولكل شيءٍ نقطة سوداء تعكر صفو النقاء، لا سيما عندما يختلط بعالم البشر. وهذا ما حدث مع امرأة هذا العالم صاحبة السموّ والجلالة التي ستجعل من عالمها درساً لباقي العوالم في مختلف الزمان والمكان. باب عملاق غير مرئيّ يصدر وميضًا يفصل بين عالمين متناقضين، أحدهما يتملّكه الجشع واليأس والآخر يأنسه الحبّ والدفء. البشر والأزرقين، فالأول يتمنّى والآخر يجيب. ولكلّ منهم حكايات وأساطير وشخصيات من هنا وهناك. أحياناً يتجادلون، وأوقاتاً أخرى يجتمعون في ودٍّ غير مشروط. فما حكاية مملكة الإيقاع وما مشكلتها مع البشر في هذا الزمن المجنون؟

الفصل الاول

في قرية نائية، يشقُّ منزلٌ قديم طريقه إلى الوجود بعد مسيرةٍ مليئة بالجهد والإصرار، ليصبح رمزًا للثراء الحقيقي تتوارثه أصحابه عبر الأجيال.

هذه الأسرة الأخيرة، التي باتت تقنط فيه، ستروي بنفسها حكايتها وأساطيرها.

أما عن الأفراد، فهم ثلاثة أشقاء من الأولاد وفتاة واحدة.

فالأول البكر الرشيد مالك، بات رجلًا بعد أن بلغ تسعة عشر عامًا مؤخرًا، طويل القامة ذو شعر بني كثيف ، متوسط البنية، هادئ ومع ذلك يتملكه الفضول ولا يأبه بالكوارث إن كانت ستغذي ذلك الفراغ من الفضول.

والآخر الغاضب المغرور شقيقه الأوسط خالد، الذي يصغره بسنتين فقط، قوي البنية شديد الرأي قليل العقل.

والصغير حمزة في التاسعة من عمره، طفل يمتاز بحب الاجتهاد والعمل الجاد على عكس باقي الأطفال والأجيال في هذا السن.

أما الفتاة الوحيدة فتدعي "سارة" ، فمدللة العائلة محبة للجميع ولكن في عينيها دائمًا انطفاء غريب.

منزل العائلة، هكذا صاح أحد أفرادها مبتسمًا وفارحًا، يلتقط أنفاسه بصعوبة بعد ركض نصف ساعة في ذلك الطريق بين المنزل والمزرعة. قابلته والدته بملامح غامضة وهتفت فجأة: "مالك، لماذا تأخرت وأين والدك؟"

ليجيب قائلاً: "إنه قادم، لكني سبقته هذه المرة حتى لا يقول إني كسول."

تدخل الصغير بينهما محتدمًا قائلا: "أمي، انظري إلى تلك الدرجات، إنها سيئة بالرغم من جهدي الكبير."

ردت الأم: "لا بأس، أنا أعلم أن تلك الدرجات لا تُقيّمك، فأنت ولد ذكي وبارع كوالدك، أما تلك الدرجات فلا تعنيك."

طرق الباب عدة طرقات جامدة فانطلق مالك مسرعًا نحوه لفتحه، ليقول الطارق: "مالك، والدك تم نقله إلى المستشفى فجاءته ألازمة القلبية وهواتفكم جميعها مغلقة."

رد مالك: "ماذا، كيف حدث هذا فأنا كنت معه منذ دقائق."

فأجاب الطارق: "لا وقت لتضيعه تعال معي فأخبرني أخاك بالهاتف ولا أعرف المزيد سوى المستشفى."

التفت مالك خلفه، فكانت أمه مشغولة بحاجات حمزة ، سارة ربما فقد عادت لغرفتها، فنظر للرجل مجدداً.

لم يتحرك مالك إلا بعد أن أيقظه الرجل قائلاً: "هيا، أسرع".

بعد دقائق، كانت الفاجعة، فالأب مات دون لقاء من يحب، بلا حتى وداع أخير.

صاح خالد: "كيف تترك أبي وأنت تعلم أن تلك الأزمة تأتي بغتة؟"

لم يلقى رد ،فأمسك خالد ياقة أخيه وكاد يضربه، ولكن الأخير دافع عن نفسه في آخر لحظة، قائلاً: "جننتُ! أبي كان بخير وتركته كذلك. لا أعرف ما حدث، ولا أظن أن هذا هو الوقت المناسب".

في تلك اللحظات رنّ الهاتف مع مالك، تركه أخاه وكان المتصل الأمّ. تردد قليلاً قبل أن يجيب، وأخيراً فعل.

الأمّ: "مالك، أين ذهبت ووالدك وخالد أهما معك؟"

على الجانب الآخر، يتصاعد الخوف والارتجاف، ويتسلل العرق إلى جبينه، ولا يقوى حتى على التحدث.

كانت لحظات عصيبة على الجميع. فخالد ذاته لم يتحرك، وبقي جالساً على كرسي، ينظر لأخيه المنهار تماماً.

أخيراً، بعد صمت دام لعدة لحظات، أجاب مالك: "أمي، إن أبي قد غادر".

الأم: "ما به أباك وإلى أين غادر؟".

أخذ خالد الهاتف وقال: "جاءته الأزمة القلبية يا أمّي وتلك المرة .. لم يتحمل"

"صاحت أمي: "ماذا تقول؟ اتمزح؟ بربك، خالد، لا أحب هذا النوع من المزاح."

فأجاب الآخر: "أنا آسف، ولكنها أزمة قلبية يا أمي، إنه نهايته".

لا تحزني، أن أبي قد نال ما يستحق من الحياة الحلوة منها والمُرّة على السواء، وقد حان الوقت ليستريح، أليس كذلك؟ إنه الميعاد، يا أمي هل من المعقول أن يخلفه"

مالك

بعد وفاة أبي المفاجئة، تحولت حياتي رأسًا على عقب، وأصبحتُ المسؤولَ الأول.

توليتُ جميع المهام. ولكنْ ما زلتُ أشكُ في أمر تلك الوفاة المفاجئة، فأنا كنتُ معه ولم أتركه إلا بضع خطوات فقط. فكيف مات ؟

ظلتْ الشكوكُ تطاردني حتى اعتدتُ الأمرَ ولم أُبالِ، وحاولتُ أن أعملَ بجدٍّ شاغلًا عقلي عن ذلك التفكير.

مع مرور الأيام حتى بلوغ سنة على وفاة أبي، شعرتُ أن الأعباءَ تزدادُ وأرغبُ في التوقف عن هذا الدور.

حاولتُ استجماع همتي يوماً وقلتُ لأمي: "ما رأيكِ يا أمي أن نبيع البيتَ القديمَ والأرضَ ونذهبَ إلى مكان ما في القاهرة مثلاً؟"

صاحتْ أمي وقالتْ: "هل جننتَ؟! هل نسيتَ أباكَ؟ كم سعينا لنحققَ هذه الحياةَ التي نملكُها، لدينا أرضُنا ومنزلان. تريدُ أن نتخلى عن كل ذلك ونذهبَ إلى المجهول؟ لا، هذا مستحيل!"

بالطبع، كنتُ أعلمُ أن جوابَ أمي هو الرفض، لكني حاولتُ وخلصتُ ضميري.

الآن يجبُ أن أتحمل، ليس لدي خيارٌ آخر حتى وإن كان غصبًا.

عند خروجي من المنزل، أصبحتُ أرى فتاةً تبدو صغيرةً في السن لديها عينان واسعتان لدرجة غريبة، أكادُ أجزمُ أن ما من بشرٍ على الأرض يملكُها، ولونهما شديدُ الزرقةِ كاللؤلؤ المنير، وتبدو أنها في السابعة عشرة من عمرها.

كلما حاولتُ أن أنادي عليها، تهربُ مني وتضحكُ. حتى اعتدتُ على ذلك كل يوم عند خروجي من المنزل. لكنها توقفتْ عن المجيء عدة أيام متواصلة. ولا أعلمُ لماذا، لكني حزنتُ على اختفائها على أي حال.

بعد عدة أيام من اختفاء الفتاة، راودني القلقُ واليأس في أنها لن تعود مجددًا، جاء يومُ الذهابِ إلى أرضنا لنجدَ هناك جيراننا وأقاربنا لنجتمعَ في ذلك اليوم "الجمعة"، كعادتنا.

فبينما نحنُ جالسون ونتبادلُ الأحاديث، جاء صراخٌ من طفل.

بالطبع، ابنُ أحدِ الجالسين. يقولُ متلعثماً في الحديث إن هناك شخصًا قد سرقَ أحد الأدوات. فوقفتُ وذهبتُ خلفه.

وبالفعل، لم أجد إحدى الأدوات، إذ أنني كنتُ قد تركتُها خارجًا فقط لأكمل عملي بعد انتهاء اليوم، لأنني لم أعمل صباحًا، كنتُ مرهقًا حينها.

فسألته عن وصف السارق، قال إنه رأى فتاة فقط ولم يستطع تحديد ملامحها.

وقفتُ وعدت حيث كنتُ هناك وسألني الأشخاص إذا كان هناك ما تم سرقته.

قلت لهم "لا" لأتجنب الحديث ويذهبوا.

وبعد نصف ساعة تقريبًا، رحلوا بالفعل وتركوني لأكمل ما بدأته في النهار.

كنتُ شاردًا، أتساءل من الذي يجرؤ على سرقة شيء كهذا وسط مجموعة من الحشد ، وأيضًا معروف أن هذه المنطقة نادرًا ما يحدث فيها سرقة.

كنتُ في حيرة من أمري. أثناء عملي وتفكيري، سمعت صوتًا هامسًا. فاقتربتُ من مصدر الصوت أكثر وأكثر، حتى وجدتُ الفتاة جالسة في ركن بعيد وحيدة. إنها هي تلك الفتاة التي اختفت فجأة.

اقتربتُ منها وسألتها: "ما الذي حدث".

نظرت إلي وحاولت مسح دموعها بسرعة وأجابت: "لا يوجد شيء."

قلت لها: "إذًا، لماذا تبكين؟". أجابتني قائلة: "ارتكبت ذنب، أنا اللصة."

رددتُ قائلاً في تعجب: "لا يهم."

ثم تبادلنا الصمت لبعض الوقت. وبعد أن هدأت، سألتها مجدداً: "لماذا قمتِ بسرقتها؟" أجابت قائلة: "والدي طلب مني ذلك."

بعد تفكير، قلت لها: "أين والدكِ ولماذا أنتِ هنا بمفردكِ في هذا الوقت المتأخر من الليل؟"

ردت قائلة: "أبي لا يريدني، ثم صمتت قليلاً وأكملت: قال لي أن أذهب إلى أمي وألا أعود أبدًا له."

قلت لها: "انتظري لحظة، هل تعني أن والديكِ منفصلان؟"

صمتت ولم تجب، ثم أضفت: "حسنًا، أين والدتكِ الآن ولماذا لم تذهبي لتلتقي بها كما قال والدكِ؟"

أجابت: "أمي ليست هنا، إنها هناك"، وأشارت إلى الجانب الآخر، فنظرت ولم أجد أي شيء، المكان كان فارغًا لم يسكن به أحد بل ليس مكانًا صالحًا ليعيش فيه إنسان، والجميع في تلك المنطقة يعلم ذلك.

قلت لها: "دعيني أخذكِ إلى والدتِكِ."

قالت: "لا، لا يا سيدي، دعني أذهب أنا."

قلت لها: " لست سيدكِ، كما أن الأمر لن يستغرق الكثير. هيا." وأخذتها وسيرنا جنبًا إلى جنب معًا.

سألتها: "ما اسمكِ يا فتاة؟". قالت: "هلا".

رددت قائلًا: "اسم جميل، أنتِ من هنا؟ لم أراكِ إلا مؤخرًا."

لكنها نظرت إلى الأعلى بارتباك وقالت: "لا، نحن جئنا بالخطأ إلى هنا." سألتها عن معنى ذلك، ولكن لم أكمل حيث حدث صوت مزعج أصابني بصداع شديد لدرجة شعرت أني سأفقد سمعي في تلك اللحظة. حاولت وضع يدي على أذني، لكنني رأيت الفتاة ذاهبة وقالت شيئًا لم أسمعه بسبب ذلك الصوت والغريب أنها لم تتأثر وكأني أنا فقط من يسمعه. لم أنصت لما قالته الفتاة كنتيجة لذلك.

حاولت التركيز على الفتاة خشية أن تتضرر، رأيتها تتحرك من جانبي فحاولت امساكها لكني لم استطع.

نظرت إلى أين هي ذاهبة وصدمت وقد كان هناك مجموعة من الأشخاص، رجال ونساء وأولاد وبنات كثر، كأنهم عالمٌ آخر يمثلون شعب ينتمون إلي ذلك العالم.

يشبهونها بشكل لافت. كانوا يحتوون على نفس ملامحها وعيونها الواسعة، حتى نفس زرقة العين، كما لو أنهم نسخ مكررة.

في هذه اللحظة، بدأ الصوت المزعج في التلاشي. فحاولتُ الوقوف وأفركتُ عيني على أمل أن أكون في حلم. لكنني لم أحلم ونظرتُ حولي، فخلفي عالمي الساكن وأمامي عالم الفتاة، أو هكذا أطلقت عليه. لا أعلم كم من الوقت أحدق فيهما.

قطع حبل أفكاري صوت الفتاة وهي تقول لأمها، أو أظن ذلك، لأنها قالت "أمي" أنه شخصٌ ليس شريرًا وأنما يحاول مساعدتي فقط.

بالطبع، في موقفي هذا، كان صوت خفقان قلبي عاليًا، أو ربما ظننت من شدة ذعري. لدرجة شعرت بخروج قلبي من موضعه.

لا أعرف ماذا أصنع. أفكر في الهروب، لكن ماذا إذا أمسكوا بي؟ أفكر في الحديث معهم، لكن صوتي لم يسعفني.

تحشرجت تمامًا في موضعي وتصببتُ عرقًا. كنتُ واقفًا كالتمثال، لا أقوى على التحرك أو الحديث أو حتى التفكير.

وبعدما انتهى حديث الفتاة، التفتت والدتها إليَّ ونظرت لي بقوة، واقتربت أكثر وأكثر حتى همست في أذني وقالت: "إن كنتَ تحب عائلتك ونفسك، فعندما نغادر، انسى ما رأيته ولا تخبر به أحد، وإلا فسوف نقتلك أنت وعائلتك."

ثم عادت بجانب ابنتها. وعادت معها تلك الضوضاء المزعجة مجددًا، لكن هذه المرة لم أستطع المقاومة، فسقطت فاقداً للوعي. أفقتُ في الصباح على صوت أخي خالد يقول "انه هنا".

حاولت النهوض ببطء ونظرت حولي، لم أجد شيئًا، بل كل شيء عاد كما هو، لا ضوء أزرق، ولا صخب. حتى الفتاة وأمها اختفوا تمامًا.

سألني أخي: "لماذا أنت هنا ولم تعد للمنزل؟"

ثم ساعدني على النهوض وعاد يسألني مجددًا لماذا كنت نائمًا على الأرض هنا؟

قلت: "كنت أعمل وتعبت، فذهبت لأنال قسطاً من الراحة قليلاً وتقريباً غفوت هنا غصبًا ".

نظر لي أخي بشك، وقال: "لا بأس".

عدتُ إلى المنزل، وكانت أمي تنتظرني عند الباب، وعلى وجهها آثار البكاء.

قلتُ لها: "أنا آسف، لم أقصد إثارة قلقكِ".

قالت لي: "هل تعلم الوقت؟ إنها الثالثة فجرًا".

ردّ خالد لتهدئة الأجواء: "اهدأي، يا أمي. لم يقصد ذلك بالتأكيد".

لم ترد أمي ودخلتُ غرفتها وأغلقتها. بعد ذلك، ربط أخي على كتفي وقال: "اعذرها يا مالك، إنها كانت قلقة". فقلتُ له: "أعلم، لا بأس".

دخلتُ غرفتي واستحممتُ بعد تلك الليلة المريبة. حاولتُ ألا أفكر وأنام، ولكن ما رأيتُه لا يصدقه عقل. كنتُ أنقلب يمينًا ويسارًا، ولكن دون جدوى. فلم أستطع النوم.

أثناء ذلك، تذكرتُ والد الفتاة. قلتُ في نفسي: "يجب أن أبحث عنه في الصباح. ولكن من أين سأعرفه وأنا لم أره في حياتي أبدًا؟".

تذكرتُ في تلك اللحظة تلك الروايات التي تُحكى في قريتنا عن ذلك الرجل الذي قتلوا أهل القرية زوجته بسبب أنها غريبة الأطوار. قالوا أيضًا أنه في يوم من الأيام أحرقت منزلين بعينيها فقط. بالطبع، لم أصدق تلك الروايات حينها.

ولكن بعدما رأيتُ ما رأيته، ربما تكون حقيقة. فكان في ذهني أن أبحث عن هذا الرجل عاجلاً أم آجلاً. ولكن بينما أفكر في ذلك، أتذكر تهديد تلك المرأة، فأتراجع في الحال.

بعد استحمامي، عاودني التفكير، لأقول لنفسي: "ما هذا الذي رأيته؟ هل كان حقيقياً؟ ومن هؤلاء الناس؟

ماذا تعني أنني من البشر .. هل هم ليسوا من البشر اذا ماذا يكونون؟"

ولكنهم أيضاً يبدون طبيعيين فقط اتساع أعينهم وهذا اللون الأزرق فقط ما يجعلهم مختلفين. ولماذا يكرهون البشر الي هذا الحد؟ ولماذا خرجت تلك الفتاة لي تحديداً بل وقالت والدتها أنني اختطفتها؟

شعرت أن رأسي سينفجر فقلت: "يجب أن أهدأ، سأتجاهل ما رأيته ولن أذهب إلى المكان مرةً أخرى أنسيت التهديد ام ماذا!".

حاولت النوم كثيراً، ولكن لم أنجح. لذا قمت بالنهوض من الفراش وقلت: "ماذا سأفعل؟"

استطرد قائلاً: "يبدو أنه يجب عليّ أن أذهب إلى هناك مرةً أخرى، ولكن كيف سأجعلهم يأتون".

فكرتُ كثيرًا، وللأسف لم يحدث أي تقدم. ربما يجب أن أنتظر الفتاة على أقل عسى أن تأتي.

تلك الليلة راودني كابوسًا مزعجًا يتمثل في تلك المرأة المريبة فقد رأيتها تقتل أبي .

كان الكابوس حقيقيًا إلى حد خطير. حتى استيقظت على صوت خفقان قلبي وتشوش عقلي والدموع من عيني تسيل.

فتاة العالم الاخر

أسمي هلا، في السادسة عشرة من عمري، متمردة وأعشق المغامرة. لدي فضول لاستكشاف العوالم الأخرى، ليس فقط عالمي. أمي تحذرني كثيرًا بشأن ذلك، لكن فضولي كبير، فهذه طبيعتي. ولكن عندما يصل الأمر إلى قتل شخص بريء، أتراجع على الفور. وهذا ما حدث معي في آخر مغامرة لي.

ولسوء الحظ، كانت تلك المغامرة مع بشرٍ، والبشر بالنسبة لعالمنا هم أعداءنا. والسبب في ذلك ما حدث مع أمي، عندما تمردت وظهرت لأحد البشر وأحبته. وقد قررت ترك عالمها لأجله بعدما فشلت في إقناعه بأن يعيش في عالمها.

وبالفعل، تركت كل شيء وتزوجت ذلك البشري وأنجبتني. لكن لم يلبث الأمر أن حدثت مشكلة.

عيون أمي كاللؤلؤ في الزرقة، وكان ذلك لافتًا جدًا للبشر، الذين حاولوا قتلها، ظنًا منهم أنها ليست طبيعية، خاصة بعد تلك الواقعة. فحينما أتى ذلك اليوم، أي ميعاد انطلاق الشعاع، لم تستطع كبح تلك القوى الكامنة في عينيها، لا سيما وأنها من أبرز أشعة عالمنا.

فكانت مثل تلك الأشياء تبدو غريبة في عالم البشر، كانت بالنسبة لهم نارًا شديدة الزرقة وكان ذلك يشكل خطرًا في عالمهم. فقد كادوا يقتلونها، ولكنها نجت بمعجزة.

فهؤلاء البشر أتوا إلى منزلنا ذات يوم عندما ذهب أبي إلى العمل، وقاموا بإشعال منزلنا بالكامل وأغلقوا الابواب بإحكام شديد.

حاولت أمي إنقاذي، فكانت محصنة منزلنا لمثل هذا اليوم وكان هناك نفق لم أعرف مكانه سوى تلك الليلة.

بعد هذا الحادث مباشرة، قررت أمي العودة إلى عالمها وحاولت التواصل كثيرًا للعودة إلى وطنها الأصلي، وأبي ساعدها في ذلك خوفًا عليها.

تمسك أبي بي وقال لأمي أن لا أحد يعرفها سواي وأخبرها ألا تقلق ولن يعرض ابنته الوحيدة للخطر، وإذا حدث شيءٌ، فسيعيدني إليها.

وافقت أمي على مضض، لكنها طلبت مني ألا أخرج أبدًا من المنزل، مهما حدث، ولا أجعل أحدًا يراني. وعلمتني كيفية العودة إليها أو إلى عالمي الحقيقي إن حدثت مشكلة.

لذا، عشتُ مع أبي، لكنني كنت مجبرة على البقاء طويلاً بمفردي ووحيدة أيضًا، لأن أبي ليس معي بسبب عمله أغلب الوقت.

لذا جاءت لي فكرة الهروب والعودة سريعًا إلى المنزل قبل عودة أبي.

وبالفعل، في البداية كان الأمر صعبًا، خاصةً أن أبي كان يغلق البيت بإحكام عند خروجه، لكن في النهاية تمكنت من الهرب.

في الواقع، كنت أهرب بعد خروج أبي من المنزل، سرًا فقط لأرى تلك المزرعة. وأيضًا لمشاهدة ذلك الفتى وهو يسقي تلك الأرض الخصبة، ورؤية أطعامه لتلك الكائنات الأخرى كان منظرًا خلابًا حقًا.

عندما التقيتُ بهذا الفتى أول مرة، نظر إلي بتأنٍ وأنا أيضًا لكني كنتُ أخفض رأسي خجلاً وأتهرب من نظرته.

لم أعرف ما حدث لي، ربما لأنني كنت وحيدة ولم أتحدث مع أحدٍ من قبل، لا أعلم حقًا.

لذا أصبحتُ من عاداتي أن أهرب من أجله ولمشاهدة ذلك الجمال الخلاب أيضًا بدلاً من المكوث لساعات طويلة بمفردي في هذا المنزل.

كنت أتبعه عندما رأيته أول مرة دون أن يراني حتى علمت مكان منزله وأرضه وعرفت كل شيء عنه.

أصبحت أهرب كل يوم من المنزل لرؤيته فقط وأعود. ما شجعني على ذلك هو أنه لم يخبر أحدًا بشأني، وهذا هدأني.

في إحدى الليالي، خرج أبي من المنزل أو ادعى ذلك.

بعد قليل، خرجتُ أنا أيضًا، فإذا به يمسكني بالقوة وكاد يضربني، لكني رفعت رأسي وبكيت وكأني أستنجد به وقلت "لن أفعلها مرةً أخرى، هذا وعد".

تركني وقال: "هذا خطر عليك، ألا تعلمين ذلك؟ تريدين أن تموتي، ماذا عني؟ ماذا عن أمك؟ ألا يهمك أمرنا؟"

صمت قليلاً وأردف: "أنا أعلم كل شيء تفعلينه، أعلم إلى أين تذهبين ولماذا".

ثم أضاف قائلاً، "استمعي، ستذهبين الآن إلى ذلك الشاب وتسرقين أي شيءٍ ودعيه يراكِ تسرقين، ومن ثم اهربي"

فقلتُ باكية: "ماذا؟"

قال بأمرٍ: "أفعلي ما قلت".

قلتُ: "رجاءً، أبي، لا تجعلني أفعل ذلك"

وجلستُ له مترجيةً وبكيتُ بشدةٍ، لم أبكِ في حياتي مثل تلك الليلة. لكنه لم يستمع لي وكأني لم أقل شيئًا.

وقال: "الآن هيا" وأمحي تلك الدموع حتى لا ينكشف الأمر. "سأكون منتظرك في الخارج دقيقتين، وإذا تأخرتِ، تعرفين ماذا سأفعل!"

لم يكن أمامي اختيار كان الفتي سيتأذى أن لم أسمع كلام أبي.

فذهبت إلى أرض الفتيّ لأفعل ما أمر به. كان المكان مزدحمًا، فأخذت ساترًا وحاولت الاختباء حتى لا يراني أحد.

رأيت أداة ضخمة في الخارج، بعيدة عن هذا التجمع من الناس، فأخذتها مسرعًة لأثبت لأبي أنني قد فعلت ذلك.

عند ذهابي، يبدو أن هناك صبيًا رآني وقال بصوت عالٍ: "هناك لصًا، لصًا!" ووقعت عينه على عيني فصمت الفتى في الحال.

فقررت الهرب بأسرع ما يمكن للعودة إلى منزل أبي والاختباء، خوفًا من أن يكتشفوا أمري. عدتُ إلى المنزل وأغلقتُ البابَ بإحكامٍ وجلستُ على الأريكة في المنتصف.

فجاء أبي وقال: "هل رأيتِ الفتى؟"

فأجبت: "لا، لكنني سُرقتُ كما قلتَ".

فقال: "ما فائدتهُ إذا لم يراكِ؟".

قلتُ له: "كان هناك تجمعٌ من البشر، يبدو أنه كان هناك اجتماعٌ بينهم. كان ذلك وشيكًا."

قال بعد تفكير: "لا يهم، يجب عليكِ بعد ذهاب هؤلاء أن تذهبِي إليه وتخبريه بأنكِ السارقة، ولا تزيدي شيئًا، فقط أخبريهُ بهذا واذهبِي. وقريبًا سأعيدكِ إلى أمكِ إن لم يمر هذا الأمر على خير".

قلت: "لماذا تريد ذلك؟".

قال:" ليعرف أنكِ مجرد لصة ولا يتبعكِ أبدًا بل يحذر منكِ. هذا أفضل لكِ وله".

هذه المرة قررت العودة إلى أمي بسبب قلقي بشأن الصبى الذي رآني، لأنني أخشى أن يكشف أمري فذهبت وأردت فقط رؤية الفتى، لأنني لم أره ثانية.

سيرت ببطء، وكأنني أتمنى أن يعود الوقت. ولن أَتَيَ إلى أرضِ البَشَرِ.

في الحقيقة، لم أنجح في كبح دموعي، وتوقفت عن السير. كان لدي رغبة عارمة في أن يكون هناك شخص ما يراني في تلك اللحظة، ولكن لحظة غباء تسببت في فقدان الأمل بالكامل. لم أتمكن من السيطرة على نفسي، فجلست على الأرض في ركن بعيد عن الضوضاء وهادئ، وأقنعت نفسي بأن الظلام سيكون حائلاً لإخفاء ألمي وحزني.

لم أكن على علم بمدة الوقت التي أمضيتها جالسة هكذا، ثم فجأةً سمعت أصوات أقدام تقترب.. كان ذلك الفتى!

جلس أمامي ونظر إلي وقال: "أين والدك

ولماذا أنت هنا بمفردك في ذلك الوقت المتأخر من الليل؟"

بالطبع، لا ينبغي علي أن أفشي شيئًا. فقد أخبرته بعد تفكير أنني سارقة

لإنهاء هذا الأمر وللابتعاد نهائيًا عن عالم البشر والفتى "حماية له وحمايةً لي."

واضطرت لاختلاق كذبة أن أبي طردني ليتركني أغادر، لكنه كان حازمًا في الحقيقة أن يرافقني إلى أمي

شعرت بالخوف وحاولت التهرب باستخدام أي عذر ممكن،

لذا قررت الذهاب لأمي وأخبره عن سري ونحن نسير على الطريق، لكن خوفي منعني من ذلك وتركت الأمر برمته.

وصلنا وجاءت الإشارة بأن أمي قادمة، تركت الفتى ماسكًا أذنيه وساقطًا على الأرض، ذهبت لأمي محاولةً مني شرح الأمر لها وإنقاذه من الموت المحتم

في النهاية، أقنعت أمي وتركته بالفعل، وحذرتني من محاولة الذهاب للبشر مجددًا. وحذرت الفتى أيضًا.

كانت من أصعب لحظات حياتي حزنًا، ولكن كل شيء انتهى الآن.

عدت إلى عالمي في خيبة أمل، ويبدو أن أمي رأت الحزن في عينيّ.

في البداية، لم نتحدث معًا، حتى مر يومين

وسألتني: "ما بك؟"

أجبتُ: "لا شيء".

فقالت: "ظننتُ ذلك، لكن مر يومين وأنتِ تبدين حزينة، وكأن حزن الدنيا كله فيكِ".

فقلتُ: "لا، صدقيني، فأنا فقط مرهقة."

كانت أيامًا ثقيلة، وكان أبي غاضبًا مني طوال الوقت، ثم صمتنا قليلاً ونظرتُ إلى أمي وقلتُ لها: "أمي، إذا سألتك سؤالًا، هل ستُجيبينني بالحقيقة؟" فأجابت: "بالطبع".

فقلتُ: "حسنًا" رجاءً، في تلك اللحظة، انسي أنك أمي. وأخبريني عن حقيقتي.

تنهدت وقالت: "أتريدين الحقيقة؟ حسنًا..

أرى فتاةً جميلةً صغيرةً بريئةً لدرجة ساذجة تظنّ أن العالم مثلها وأن كل شيء بسيط. ولكن، في حقيقة الأمر، ليس هكذا. العالم في الخارج كبيرٌ جدًا عليها، وفيه بشاعةٌ لا تصدق يصعب تصورها بالنسبة لها. أنتِ يا فتاة تشكلين مشكلتك في أنك ترين العالم بنظرتك فقط، وهذا يجعلكِ في خطرٍ طوال الوقت. أخشى عليكِ حتى عند خروجكِ فقط من عالمنا، فما بالكِ إذا ذهبتِ إلى عالم البشر؟ أتعلمي، عندما يرون شيئًا مميزًا ومضيئًا، يتصارعوا على هدمه، وينشروا الفساد ويخبئوا الجمال، ألا ترين كيف وصل بهما الحال، أصبحوا ينتحرون بكثرة وكأن حياتهم بلا قيمة. انتشرت أمراضهم النفسية بالرغم من أنهم جميعًا كانوا ذو فطرة حسنة. يا ابنتي، أخشى أن يختلط عالمنا بعالم البشر، وإذا حدث، سنكون في خطر محتم"

أردتُ أن أتحدث، لكنها قاطعتني بإشارةٍ أن أصمت وقالت: "عالم البشر مخيف، وإذا كنتِ لا تنسيهِ، سيكون هلاكنا مسألة وقتٍ فقط. وأنتِ لا تريدين هذا، صحيح؟"

قبل أن أجيب،دخل إحدى الحرس مرتبكا وقال ايتها الملكة ذلك الفتاة عاد مجدداً الإزرقيون يخشون أن يتمادى الأمر ويعلم عالمنا البشر وتعلمين أن حدث هذا سنموت جمعيا وكل هذا متوقف عما إذا كشف أو صرح ذلك الفتى لاحدا غيره عما رآه تلك الليلة.

قبل أن أجيب، دخل أحدى الحراس مرتبكًا قائلاً: "أيتها الملكة الجليلة، قد جاءنا معلومة سيئة وتخص ذلك الفتى الذى عاد مجددًا، والأزرقين يخشون أن يتمادى الأمر ويعلم البشر عالمنا. وتعلمين أن حدوث ذلك سيؤدي إلى هلاكنا جميعًا. وكل ذلك يتوقف على ما إذا كشف أو صرح ذلك الفتى لأحد غيره بما رآه تلك الليلة."
نهضت أمي واقتربت من للحارس قائلة :"أن أستمر الوضع بضعة أيام هكذا فانتظروا اشارة منى لإعلان الإمر."

الفصل الثاني

في الصباح الباكر، استيقظت في السابعة صباحًا، أي قبل ساعتين من بداية العمل حتى يتسنى لي مراقبة تلك المنطقة مُنْتَهِزًا أنها بجوار مزرعتنا يفصلها مسافة محدودة فحسب.

كان كل شيء يبدو طبيعيًا طوال الوقت، ولا شيء يثير الشك أو الريبة.

ومع ذلك، كلما سمعت صوتًا ينبعث من تلك المنطقة، انتابني الرعب وصعد التوتر مبتغاه. ليتبين لي في النهاية أنها مجرد هرة أو فأر أو شيء من هذا القبيل.

في تلك الفترة أهملت حياتي من جميع النواحي حيث كنت أجلس بالساعات بل وبالأيام للمراقبة، وفي كل مرة أحاول الاقتراب منها، ينبض الخوف بأعلى مستوياته داخلي، وكأنني ذاهب إلى حقل من الموت لأعود مضطرًا حيث كنت.

مر أسبوع كامل على هذا الحال، وفي بداية الأسبوع التالي، استقر رأيي على الذهاب بنفسي لتلك المنطقة.

ذلك اليوم، لم أقم بأي عمل في الأرض.

بل اكتفيت بالجلوس والمراقبة،حاولت قدر الإمكان الاقتراب أكثر، إلى أن اتخذت موقفًا مشابهًا لموقفي السابق.

وقفت على تلك الأرض بنفسي ولم يحدث أي تغيير. كان المكان هادئًا وساكنًا. فقررت أخيرًا أخذ حجرة صغيرة ورميها بعيدًا، على أمل أن تظهر الفتاة لي أو ربما شخص من عالمها كما يزعمون، ولكن لم يحدث أي تغيير.

عدت إلى المنزل، في خيبة أمل، كنت مشتتًا تمامًا، حيث تعاودني التساؤلات بشكل مستمر وعفوي. هل من المعقول أن كل ما رأيته تلك الليلة لم يكن حقيقيًا؟ هل كنت أتوهم؟ ولكن ما الذي جعلني أغفو في ذلك المكان تحديدًا؟

ربما كنت مرهقًا تلك الليلة. لكن الفتاة أخبرتني باسمها عندما سألتها، وقالت إن والدها طردها والفتاة ذاته حقيقة.

لحظة، أين والدها؟ لم تخبرني عن موقعه. يا إلهي! كم أنا أحمق. لماذا لم أسألها حينها؟ لا بأس، سأعثر عليه حتماً.

في الصباح، قررت أن أذهب، لكنني لم أكن أعرف بالضبط كيف أبحث عن ذلك الرجل الغامض. لم يكن لدي حتى اسمه.

مع ذلك، تذكرت بعد حين تلك الروايات القديمة التي تشير إلى قصة غريبة حول هذا الرجل وزوجته، حيث يُقال أنهما تعرضا للقتل والحرق، ولم يتم العثور على جثتهما. وأحيانًا يشاع بأن الرجل مسجون منذ مدة تقريبًا.

قمت بالتحرك في اليوم التالي وطرحت السؤال للأشخاص الذين التقيت بهم، هل يعرفون شيئًا عن الرجل الذي تزوج من امرأة ذات عينين زرقاوين متسعتان؟ بعضهم قال نعم، لكنه اختفى بعد الحادث الذي وقع، بينما قال البعض الآخر إنه يعيش بمفرده وينتقل من مكان إلى آخر بشكل مستمر.

كانت المعلومات غامضة ولم يكن لدي مسار واضح للبحث عنه. حاولت معرفة المكان الذي ينتقل إليه، ولكنني كلما ذهبت لأسأل الجيران، يخبرونني أنه قد غادر ولا يعرفون أين ذهب.

كانت الساعة شارفت على منتصف الليل حينها شعرت بالتعب وبدأ الإرهاق يسيطر على جسدي.

فعدت إلى المنزل ودخلت غرفتي مباشرة. وهناك انتظرتني أمي، سألتني بصوتٍ قلق: "أين كنت في ذلك الوقت؟" قلت لها بتردد: "كنت أستنشق بعض الهواء."

فأجابت بنبرة قلقة: "أتمنى أن تعود كما كنت، أنا قلقة من تصرفاتك الغريبة مؤخرًا."

بعد خروج أمي، قمت بتغيير ثيابي وقررت تجميع كل المعلومات التي حصلت عليها والقاءها في سلة المهملات.

بينما كنت في قيلولة عميقة اقتحم عقلي تلك الأشياء مجدداً.

تذكرت الكثير من الألغاز والقصص القديمة، ولم أستطع إيقاف نفسي عن الكشف وفهم كل هذا الغموض، وكان علي أن أضع كل قطع البازل في مكانها لاستنتاج شيء مفيد.

لذا نهض وقمت بإعادة كل المعلومات من سلة المهملات وبالرغم من كثرة الجهود التي بذلتها اليوم للبحث عن المنزل المحترق، لم أتمكن من العثور على أي أثر للمنزل بعد، سوى مكان محروق بشكل طبيعي، لكن لا توجد أي أدلة تشير إلى أنه كان هناك منزل في السابق.

أنا الآن في طور البحث المطوَّل والمرهق، وسأستمر في جمع المزيد من المعلومات ومتابعة الأدلة لمعرفة الحقيقة والعثور على هذا الرجل الغامض الذي حتماً سأعثر عليه."

بينما كنت كذلك، بلغتني صرخة قوية لأمي تنادي: "حمزة!"

وقد كان يفترض أن يكون نائمًا في تلك الساعة من الليل. ولكنه بدلاً من ذلك اختفى.

هرعت من غرفتي وأخوتي كذلك حتى جيراننا جاءوا على صراخ أمي.

فذهبت للبحث عن شقيقي. في كل صوب وحدب من تلك المنطقة التي نقطن بها وعندما شارفت الساعة على الثانية بعد منتصف الليل، ولم نعثر على أخي بعد. بدأ الشك والخوف يتملكني، وقلت في نفسي: "ماذا لو الأفكار المرعبة التي تراودني حقيقة؟"

سارعت للتحقق، وذهبت للمكان بمفردي ووقفت واشعلت مصباح هاتفي ووجدت آثار مقاومة إنسان واضحة، لا شك أنها كانت آثار صراع شقيقي.

نظرت للآثار بتمعن، بحثت بينها عن أي دليل يمكن أن يُشير إلى مكانه. وبينما كنت في ذلك الحال، جاء ذلك الضجيج مرة أخرى، حاولت جاهدًا هذه المرة التماسك بقوة، وفي غمضة عين، توهج اللون الأزرق في كل مكان.

لم يكن بإمكاني تحمل الضغط أكثر من

ذلك، فسقط فاقدا للوعي لأستفيق لصوتٍ أعرفه جيدًا، فكان ذلك حمزة يقول: "مالك؟ أنت بخير!"

قلتُ مندهشًا: "أنت بخير؟"

ردّ أخي مرتجفًا: "ظننتهم قتلوك!"

قلتُ متسائلًا: "يقتلوني؟"

قال: "نعم، انظر أين نحن."

عند مجيئك؛ علمتُ ذلك لأنني سمعتهم يقولون "بشريا آخر" وآخرون يرددون "هيا نقتله، هذا هو!" وسمعتُ ضجيجًا مفاجئًا فصمت الجميع.

كانت هناك امرأة تقول: "سنأخذ حقنا منه، سنقتله كما قتلوا أبنائنا من قبل". فهتفوا جميعًا،

يبدو أن عددهم كبير. ثم أقترب الصوت إلى هنا، حتى ألقوا بك معي.

كان يتحدث والقلق بادٍ على وجهه، ومن منا لا يقلق في ذلك المكان المريب؟

في البداية، لم أنتبه للمكان الذي كنتُ فيه، من شدة فرحتي بأن أجد أخي حيًا. فوقفتُ أثناء حديثه ونظرتُ حولي بتركيز.

والتفتُّ لأخي، وقطعتُه متسائلًا: "أين نحن وكيف وصلنا إلى هنا؟"

فأجاب: "لا أعلم. انظر يا أخي، تلك النافذة التي ألقوك منها. أعتقد أنهم فعلوا هذا معي أيضًا."

وأضاف مرتجفًا: "كنتُ في غرفتي واستيقظتُ في هذا المكان الغريب. لا أعلم كيف وصلنا إلى هنا."

قلتُ لأخي: "تماسك يا حمزة، سنحاول الخروج من هنا أولاً، ثم سنفهم ما حدث لاحقًا."

حاولنا البحث في أرجاء المكان عن أي شيء يساعدنا في الخروج، ولكن كل محاولاتنا باءت بالفشل.

المكان فارغ تمامًا، مكون من لونين: الأسود والأزرق. وجدتُ أيضًا نافذة كبيرة أشار إليها أخي أثناء حديثه، لكنها ليست نافذة فعلية، إنما هي فاصل.

أعتقد أن وجودها هنا يهدف إلى تهوية المكان، لأنه مغلق تمامًا وتلك النافذة الكبيرة هي الوسيلة الوحيدة لدخول الهواء. المكان يشبه السجن، لكنه أوسع قليلاً، وأرضيته سوداء وليست صلبة كالأرض الطبيعية، بل هي مرنة. والدليل على ذلك أنهم ألقونا من تلك النافذة لكننا لم نتأذَ مطلقًا.

أما الحائط فلونه أزرق، مألوفًا بالنسبة لي.

حاولتُ الوصول إلى تلك النافذة، ولكنها كانت مرتفعة جدًا ولم أستطع الوصول إليها. قمتُ بمحاولات عديدة مع أخي، حتى توقفنا عندما سمعنا صوت باب يفتح.

لم أكن أعلم من أين جاء ذلك الباب، فالمكان لا يحتوي سوى على نافذة، ولكن يبدو أنه كان مدمجًا في الحائط وفُتح من هناك. كان الباب جزءًا من الحائط نفسه، ولم يكن هناك فرق بينهما. ظننتُ في البداية أنهم قد اختطفونا، أنا وأخي، وألقونا من النافذة لندخل هذا المكان. ولكن كل شيء انهار تمامًا عندما دخلت تلك المرأة المريبة.

خالد

في منتصف الليل، كانت الأرض غارقة في ثباتاً عميق ، حيث نسمات الهواء تداعب بأوراق الأشجار والسلام يقبع في الإرجاء بين الأزقة والشوارع.

فجأة، أتت صرخة مباغتة من غرفة أخي الصغير.

نهضت مفزوعا. خرجت من غرفتي لأفهم ما حدث، فوجدت أن حمزة مفقود وكان كل شيء مزدحمًا.

أختي تحاول تهدئة أمي، وأمي في حالة لا يرثى لها.

ذهب مالك للبحث، وكذلك أنا. ولكنني عدت إلى المنزل خالي الوفاض، واخي نفس الحال.

بعد ذلك خرج مالك مجدداً وكأنه تذكر شيئًا ما.

عندما سألته أين ذاهب، قال إلى المزرعة.

وبقيت كما أنا، ولكني لم استطع الانتظار هكذا فخرجت مجددًا للبحث عن حمزة في كل مكان، لم أترك شارعًا إلا وبحثت فيه ولا محلًا إلا وراجعته، حتى الأرصفة وأي مكان يمكن أن يكون به أثر. ولكنني لم أجد شيئًا.

فعدت إلى المنزل وكان كل شيء كما هو. فسألت أختي عن عودة مالك، صدمتني بقولها إنه لم يعد منذ خروجه.

قلت لها: "المزرعة قريبة من هنا، كيف لم يعد؟"

قالت: "ربما ذهب للبحث في مكان آخر".

خرجت مجدداً لعلي أعثر على شيء ما يصلنا بحمزة كما ان مالك أيضًا ذهبَ إلى المزرعة منذ مدة طويلة تقريبًا ثلاثة ساعات، فذهبت فورًا إلى نفس وجهة أخي.

كانت المزرعة ساكنة تمامًا ولم يكن هناك أحد ولا أمر يثير الشك، فوقفت لبعض الوقت ثم قررت المغادرة.

أثناء رحيلي، سمعت أصواتًا كثيرة متداخلة في الاتجاه الآخر من الأرض.

تذكرت حينما وجدت أخي يومًا وهو نائم، حينما خرجت للبحث عنه ذلك اليوم.

ذهبت بحذر شديد إلى تلك المنطقة، لكن كلما اقتربت، هدأت الأصوات تدريجيًا حتى سكنت تمامًا.

حاولت الاستماع إلى أي أصوات، لكن لم يكن هناك شيء. كان الظلام حالكًا تمامًا.

بعدما شعرت أنه لا يوجد فائدة من الانتظار هنا، عدت حيث كنت. عدت إلى المنزل والحال كما هو.

أمي مفزوعة وتبكي ومالك لم يعد، والصغير مفقود.

لم يبقَ إلا أنا وسارة. جلسنا قبالة بعضنا. أخذت تداعك يدها كثيرًا. تبدو متوترة جدًا.

سألتها: "أنت واثقة أن مالك منذ خروجه لم يعد؟"

نظرت لي بحزن وقالت: "نعم".

رديت بتردد: "بالطبع يبحث عن حمزة".

وتنهدت وقلت: "سارة، عليكي أن تهدأي أولاً وتكوني مع أمي، لا تتركيها مهما حدث".

قالت: "ماذا تعني؟" قطعتها قائلًا: "يجب أن نغادر المنزل أولاً. يجب أن نغادر من هنا".

قالت: "وماذا عن مالك وحمزة؟"

قلت لها: "سنغادر أولاً، وبعدها سأعود أنا للعثور عليهم. ولكن ابقى شجاعة، رجاءً".

فقالت: "ماذا تظن؟ هل تظن أن البيت مسكون؟" قلت لها: "لا".

فرددت وقالت: "ماذا إذًا؟"

فقلت بتردد: "سنعرف لاحقًا ولكن افعلي ما أطلبه منك لأجل والدتنا على الأقل".

فتنهدت وقالت: "حسنًا، لكن لا تتركنا انت أيضاً فجأة".

نهضتُ من جلستي وقلتُ: عند استيقاظِ أمي، أخبريني من الهاتف.

فقالت: "لماذا إلن تكون هنا؟"

قلتُ: "نعم، يجب أن أسأل في الخارج إن كان هناك من شاهد مالك قد أجده بتلك الطريقة.

"ذهبتُ سارة إلى الداخل، لا أعلم لماذا، ولكنها عادت لي وقالت إن هاتفَ أخى في غرفته، وقالت: "خالد، ماذا إن لم يعد مالك؟ أنا لم أعد أفهم شيئًا.

شارفتُ الساعة على الثامنة صباحا، حتى جاء رجلٌ كهلٌ لم أرَهُ من قبل، وقال: "أعرفُ مكان حمزة ومالك، لا تقلق عليهما، هما الآن معًا وأيضًا بخير."

كنتُ مندهشًا، فقلتُ له: "أين هما؟"

فقال: "لن تعرف مكانهما، ابحث عنهما جيدًا، وإذا لم تجدهما، سيُلاقيان حتفهما قريبًا."

قلتُ له: "إذا قلت عليكَ أنكَ رجلٌ مجنون، هل ستنزعج؟"

فأجاب: "لا، لكنكَ ستعرف أني محق وتندم لاحقًا، يا خالد"، ذهب وتركني في حيرةٍ من أمري.

فناديتُه: "أنت يا رجُل، من أين عرفتَ اسمي وأسماء إخوتي؟"

لكنه لم يجِبْ. فذهبتُ خلفَهُ مباشرةً وأمسكتُ ياقةَ قميصِهِ بقوةٍ، وقلتُ: "أين أخوتي؟ انطقْ أو سأقتلكَ هنا!"

جاء شخصٌ آخرُ خلفي وقال: "ما بكَ؟ أتضربُ رجلاً كهلاً؟ أجننتَ أم ماذا! عجبًا لجيلِ هذا الزمان!"

فقلتُ: "اتركني"، ودفعتُهُ للخلفِ.

أمسكتُ الرجلَ العجوزَ ثانيةً، لكنه عادَ الرجلُ يمسكني ويدفعني للخلفِ، فما كانَ منّي سوى ضربِهِ.

فلتفتُ وضربتُهُ، لكنني وجدتُ أشخاصًا قادمينَ، حاولتُ مسكَ الرجلِ العجوزِ، لكنه فلتَ منّي خاصةً وأن الناسَ بدأتْ تحتشدُ وتمسكَني.

حتى أسقطوني على الأرضِ بقوةٍ وأصبتُ، وبعدَ أن غادرَ الرجلُ تركوني، كنتُ غاضباً جداً لدرجةِ أنه كانَ لي رغبةٌ في ضربِ كلِّ من حولي.

حاولتُ أن أهدأ قليلاً ربما أعرفُ كيفَ أفكرُ، لكنني لم أستطعْ. وكأن عقلي وتفكيري توقفا عن العملِ. أخذتُ أسيرُ ذهاباً وإياباً، لكنني لم أستطعْ تذكرَ هذا الرجلِ، أنا متأكدٌ أنني لم أرهُ في حياتي أبداً.

حتى رنَّ هاتفي، فكانتْ أختي. فقلتُ لها: "كيفَ حالُ أمي الآنَ؟"

لكنني سمعتُ صوتَها تنحبُ وتقولُ: "هناكَ رجلٌ جاءَ تحتَ منزلنا ويقولُ أن مالك وحمزة قد حانَ أجلهما".

قلتُ لها: "ماذا! ، من هذا الرجلُ؟". قالتْ: "لا أعلمُ، خالد، أهذا صحيحٌ؟"

فرددتُ: "بالطبعِ لا، انتظريني، أنا قادمٌ".

أغلقتُ الهاتفَ وعدتُ للبيتِ بأقصى ما يمكنني من سرعة، حتى دخلتُ المنزلَ وبحثتُ عن اختى وقلتُ لها: "من هذا الرجلُ؟ فقالتْ بصوتٍ مرتجفٍ: "لا أعلمُ"

عندَ دخولي لم انتبهْ لأولئكَ الجالسينَ في منزلنا كانوا جيراننا، فوقفَ رجلٌ من بينهم متوسطُ العمرِ وقالَ: "ذلكَ الرجلُ الذي حاولنا منذُ زمنٍ قتلَ زوجتهِ".

فقلتُ: "وما ذنبُ إخوتي بتلكَ الأمورِ؟"

فقالَ: "جميعُ أهلِ القريةِ شاركوا في قتلِ زوجتهِ وأحراقِ منزلهِ، هكذا قالَ لي والدي أنهُ غريبُ الأطوارِ وزوجتهُ أيضاً كانتْ عيناها زرقتانِ وواسعةٌ، كما أن خرجَ من عينيها سابقاً نارٌ بالونِ الأزرقِ أحرقتْ بعينها فقطَ منزلَ بالكاملِ وكانَ بداخلهِ أسرةٌ، وكانَ هذا بمثابةِ شعاعٍ لسماحٍ بقتلها في قريتنا".

قلتُ للرجلِ: "ماذا تعني؟ هلْ تقصدُ أنهُ ينتقمُ؟"

حسناً، ينتقمُ من إخوتي اللذينَ لا يعرفانِ بأمرِ تلكَ القصةِ وما ذنبهمْ.

فوقفَ رجلٌ آخرُ وقالَ: " لا نعرفُ ولكنْ والداك شاركوا في تلكَ الجريمةِ هذا ما يجبُ أن تعرفهُ".

فقالَ آخرُ" كانَ مسجونًا لعدةِ سنواتٍ وخرجَ منذُ سنتينَ ونصف".

فسألتُ الرجلَ: "أتعرفُ مكانَ منزلهِ أو أي شيءٍ لأصلَ إليهِ؟"

فقال بتلعثم: "لا، أنا آسف، كل ما أعرفه أنه عاد رأيته منذ قليل في الشارع. فقلت له بانفعال: 'ولما لا تمسكه؟'"

فرد الرجل: "لا أستطيع، ذلك الرجل مؤذٍ وخشيت أن..." كان سيكمل، فقلت بسخرية: "يؤذيك صحيحًا، مثل إخوتي. كم أنت رجلاً نبيلاً." ونظرت للباقي وقلت: "أليس كذلك؟"

جميعهم بدأوا يتهامسون ويتصببون عرقًا، وهناك من اعتذر. شعرت أنني وحيد وسط أولئك الغرباء الذين وصفهم أبي بأنهم عائلتنا الثانية ونعمة العائلة!

فصرخت فيهم أن يخرجوا من المنزل في الحال.

بعد دقائق، كان البيت خاليًا تمامًا، كنت أنا وأختي جالسين بالقرب من والدتنا.

كنت أفكر فيما يجب أن أفعل. هل سأترك أخوتي؟ لا، لن يحدث ذلك.

يجب أن أجد ذلك الرجل، إن كان كلامه صحيحًا، فالوقت ينفد مني. لكن أين هو؟

بدأت أمي تستيقظ ببطء، فذهبت أختي في الحال لإحضار الماء لأمي، وعادت وأعطتها الماء لتشرب. امتنعت ونهضت من السرير ببطء وقالت: "أين صغيري؟"

قلت لها: "أهدأي يا أمي، سنجده"، وخرجت من الغرفة لأنني لا أرغب في الحديث الآن.

عقلي مشوش تمامًا. وعدت لأمي مجددًا وقلت لها: "يجب عليكِ أن تغادري، أنتِ وسارة، الآن رجاءً يا أمي". ظننتُ أنها ستصرخ فيَّ، لكنها لم تفعل ذلك؛ بل قالت بهدوء: "خالد، لن أذهب بدون أخاك".

بعد لحظات، سألتني عن مالك، وهذا ما كنتُ أخشاه. لم أعرف ما أقول، فصمتَ. لكنني تذكرت قصة ذلك الرجل. فسألتها: "هل تعرفين ذلك الرجل الذي قتل زوجته وحرق منزله على يد القرويين هنا؟"

نظرت إليَّ بنظرة لم أفهم معناها، قالت بهدوء: "نعم، أعرفه فأنا كنت أشاهدهم وهم يحرقون منزله، لكني لم أؤذِ أبدًا بل تعاطفت معه، ومنذ ذلك اليوم لم يظهر مجددًا. قالوا أنه مسجون منذ فترة.. خالد، من أين تعرفه أنت؟ وقالت فجأة: "هل جاء هنا؟" أجبني!

قلت لها: "نعم يا أمي." فذهبت بخطوات ثقيلة لتجلس على ذلك الكرسي الموضوع بجوار الفراش وقالت: "ولماذا جاء؟ أقال شيئاً؟"

قلت لها: "لا تقلقي يا أمي، أنه في النهاية مجرد رجلاً مجنون."

قالت بسخرية ممزوجة بالأسى: "مجنون حقًا ؟ وماذا قال ذلك المجنون؟" واكملت أمي: "أجبني، ماذا قال؟"

فرديت: "قال أن أخوتي سيلقيان حتفهما قريبًا، وأن مالك هو السبب. ماذا يعني بذلك؟" فتدخلت سارة متسائلة وما علاقة مالك بذلك الرجل؟ لم أجب.

بعد قليل، سمعنا صوتَ الرجلِ مجددًا وهو يُكرّرُ نفسَ كلامِهِ. لم أتأخّر في التصرف هذه المرة، فنزلتُ مسرعًا لأمسكَهُ، ونجحتُ في ذلك. حيث أدخلتهُ إلى منزلِنا حتى لا يفلتَ مني مرةً أخرى. قلتُ لهُ والغضبُ يتطايرُ من عيني: "أينَ أخواتي؟" أجاب: "لا أعرفُ".

لم يتمكن من إكمالِ الجملةِ لأنني ضربتهُ على الفورِ. كنتُ سأكملُ، لكن أمي صرختْ وقالت لي أن أتوقفَ. ربطتُ يديهِ حتى لا يهربَ وأغلقتُ بابَ المنزلِ بإحكامٍ.

عدتُ ووجدتُ أمي تتحدثُ معهُ بطريقةٍ غريبةٍ بهدوئها العجيبِ. لا أعرفُ تمامًا لماذا، الغريبُ أن الرجل بدأ يتحدث ويقولُ: "إيثان كان يسعى لتدميرِ عائلتي مجددًا عن طريق ابنتي بعدْ أنْ أخفيتُها عن جميع البشرِ. ووجوده واكتشافِ سرِها، بالطبعِ كان سيكونُ قتلُ عائلتي هو الثمن. لذا حاولتُ التصرفَ لحمايةَ عائلتي من شر البشر".

كدت أقتلُهُ، لكن أمي قالت لي "اذهبِ إلى غرفتكَ الآن، هيا!".

فنظر لي الرجلُ باستفزازِهِ، فشدّدتُ على قبضةِ يدي من غيظي ودخلتُ غرفتي. حاولتُ التحكمَ في غضبي والخروجَ لأسمعَ ما يقولُ ذلكَ الكهلُ عن أخي.

وبدأ هو يروي قصتَهُ القديمةَ ومحاولةَ مالك لإعادةِ تلكَ الحادثةِ مجددًا. فبادرَ هذا الرجلُ لحمايةِ عائلتِهِ عن طريقِ التخلص منه . هكذا كان يتحدث، وبعدما انتهى، نظر لي وقال: "أنت تشبه أخاك كثيرًا".

قلت له: "وأنت مجنون، أين عائلتك التي تحميها؟ هل تقصد ابنتك؟ حسنًا، أقسم لك إذا حدث شيء لأخوتي سأقتلها أمامك". فردد: "إن استطعت فافعلها".

فتدخلت أمي وقالت له: "وماذا عن زوجتك؟ أعلم أنها لم تمت ومع ذلك رأيتها تذهب ولم أخبر أحدًا، هكذا يكون رد الجميل".

فصمت الرجل العجوز ونظر أسفل قدمه لبضع ثوانٍ وقال موجهًا حديثه لأمي: "يا سيدتي، مشكلتي ليست أنت ولكن مع ابنك فقط. وبالنسبة لما فعله، لا أعلم تحديدًا، ولكن ما أعلمه هو أنه أراد كشف أمر عالمهم، وهذا يعني حرب بين البشر وبينهم، وهذا سبب كافٍ لقتله، احتقانًا للدماء".

فقالت أمي: "ابني لا يعلم شيئًا عن ذلك العالم الذي تتحدث عنه. وإن لم تعيدهم هنا، سأقوم أنا بالحرب.

فأعاد الرجل ظهره للخلف قليلاً وقال: "كنت أتمنى، ولكن فات الأوان. وتابع: هناك خبر جيد، ربما أستطيع إنقاذ الصغير إذا خرجت من هنا.

هذا وعد، ولكن بشرط أن تجعليه يصمت، وإلا سيكون مصيره مثل مصير أخيه!

فتاة العالم الاخر

كنتُ جالسةً، أحدقُ في السماء، في الشيء المشترك بين عالمنا وعالم البشر: السماء الزرقاء الصافية الهادئة، قليلة العواصف، كثيرة الجمال، التي لطالما تميزت باتساعها لتحتوي العالم أجمع.

عوالم مليئة بأسرار، كل عالم يحمل سره ويخفيه عن الآخر، عوالم تتنافس بعضها البعض بغير حيادية، وكلٌّ منهم يظن أنه حيادي وليس ظالمًا، بل مظلومًا. عوالم تعشق مهانة نفسها بنفسها، وتتمتع بذلك، وإن سألتها تقول: "هم الحمقى، وليس نحن".

كلما نظرت إلى تلك الرقعة الواسعة، تذكرتُ الفتى وتلك اللحظات الغالية.

لم أكن في حياتي مستسلمة كتلك الأيام، بل كأنني كبرتُ في ليلة واحدة، شبيهة بعجوز فارة متعبة من الحياة، تتوق للموت لينقذها.

أصعب شيء في الحياة هو الانتظار بكل أنواعه، عندما تنتظر أن حياتك ستتغير في لحظة ما، ولكن يتضح فيما بعد أنه وهم راسخ في عقولنا فقط.

بعد عدة أيام.

لم يبقَ الأمر كما هو، بل ما حدث بعد ذلك كان مباغتة من الحياة لي. وكأنها تفاجئني، أصبحت عبئًا في عالمي، وأمي أصبحت في خطر بسببي. لقد أصبح عالمنا مهددًا، والسبب في ذلك هو ظهور الفتى من جديد، كان واقفًا في نهاية عالمنا، لكنه بالطبع لا يعلم ذلك، وكان حاملًا قطعة حديد مضيئة تشعّ بالضوء، أعتقد لإنارة الطريق أمامه، يلتفت يمينًا ويسارًا في خوف، وكان ذلك واضحًا عليه من خلال اهتزاز يده وهو ممسك بقطعة الحديد. ويظهر تعرّقًا على جبينه، على الرغم من شدة البرودة في عالمهم في ذلك الوقت.

لكننا نراه وهو لا يرانا، بيننا وبينه كمفترق عوالم، وتلك الأرض التي واقفًا عليها هي الفاصل بيننا.

في البداية، اجتمعت أمي مع وزراء عالمنا واتخذوا قرارًا بأنه إذا عاد الفتى لهذا المكان، أي عالمنا، من الخارج، فهذا يعني أنه يريد كشفنا.

وبالتالي، الحكم النهائي لذلك البشري هو قتله، ليكون عبرة لمن يجرؤ على هنا، خاصةً أن البشر يؤمنون بالنحس والشعوذة، وسيكون من السهل خدعهم.

وقد تم نشر هذا القرار وإعلانه للجميع. قرروا أن يمنحوا الفتى مهلة قدرها خمسة أيام، وإذا استمر في القدوم، سيتم تنفيذ الحكم.

هذا القرار تلقيته بصدمة، وبالطبع حاولت مساعدة الفتى. حاولت العودة إلى عالم البشر وإخبارهم، لكنهم أمسكوا بي وأمي كانت القائدة حينها.

قالت: "أنتِ ابنتي، لكنك ستعرضين عالمنا للخطر، ولذا اتخذنا القرار بشأنكِ. ستكونين سجينة في عالم آخر حتى ننفذ الأمر."

قلتُ لأمي بصدمة: "ماذا تفعلين يا أمي؟ أنا ابنتكِ!

ردَّت قائلة: "أنتِ من فعلتِ هذا بنفسكِ، حاولتُ تحذيركِ ولكنكِ لم تستمعي. أنا آسفة." ثم أعطت الأمر للحراس وقالت: "هيا يا حراس،"

ثم خفضت صوتها ونظرت إلي بتلك النظرة التي تعني قد حسمت القرار جيدًا وقالت: "خذوها وألقوها في عالم ليس خطيرًا، عالم ليس به بشرٌ ولا حيوانٌ، عالم خالٍ من كل أشكال الشر."

ثم نظرت إلي بتمعن أكثر وكأنها تودعني وأردفت: "لقد تأخر القرار ولكن عذرًا، ابنتي، أردتكِ أن تعيشي معنا ولكنكِ تخليتِ عنا. هيا قوموا بنفيها إلى عالم الجنيات."

أخذوني بالقوة ثم جاءَ واحِد يبدو مميزًا عن الحرس، قد يكون هو من سَيُنقِلُني إلى عالم الجنيات. ثم أخرج عصاً غريبةً سوداء، وبها منتصفٌ أبيضٌ ناصِعٌ وطولها صغيرٌ إلى حدٍ ما.

ثم أطلق يده الممدودة بالعصا للأمام وقال بعض الطلاسم الغريبة التي لم أسمع بها من قبل. أخذ يُردِدها ويُعيِدها كثيرًا.

لدرجة شككت في أنه أخطأ فيها. ثم فجأة فتحت أمامي دائرة بحجم متوسطٍ، كانت على بعد مترٍ تقريبًا مني. ثم قام الحارس الذي خلفي بدفعي للأمام لدخول تلك الدائرة. ولكن في تلك اللحظة، الشخص الذي دفعني كان واحدًا فقط، والآخر كان مشغولًا بالفوضى العارمة في المكان، وبالطبع لم يكن سوى الرجل الذي يُردِّدُ تلك الطلاسم.

عندما دفعني، تنحيتَ جانبًا بكل قوةٍ، كادت أن تجرفني تلك الدائرة، ولكن الرجل هو من دخل لأنني تنحَّيت وهو كان مقابلاً وقريبًا من تلك الفتحة، فكانت تسحب كل من اقترب منها بقوةٍ. لم أفكر كثيرًا، هربت بأسرع ما لدي، حاولت الاختباء في أي مكان حتى لا يراني أحد.

وكان الرجل الذي خلفي يبحث عني، ذلك الرجل الذي كان مشغولًا بالفوضى، لكنني تمكنت من الهروب منه، وكان ذلك سهلاً بالنسبة لي.

كلما وجدت مكانًا ظالمًا اختبأت فيه، ثم جلست بين "أزرقين". حتى أنصت لإحدى الحرَاس – بالطبع كنتُ أحاول أن أنصت لهم - يقول أحدهم: "أتعلم يا صديقي، غريب هذا الأمر كيف يتدخل هؤلاء البشر فيما لا يعنيهم؟"

والآخر يُرَدِّ بسخرية: "أم كنت تتحدث عن أن البشر غرباء؟ فأنا أوافقك مليون في المئة. يُبرِّرون ما تقول عنه تدخل بأنه مجرد فضول بريء، يا له من أحمقٍ لم يقدِّر حياته وسيلقي حتفه غداً".

سمعتُ ذلك، علمتُ مصير الفتي جيدًا وقلتُ في نفسي: "مُحكومٌ عليه بالموت، فقد حُسم الأمر". وعلمت أيضًا أنهم سيُنفذون الحكم في اليوم التالي في الصباح، وذلك بالنسبة له ولأخيه.

كنتُ أعتقد أنه هو وحده فقط، ولكن تبيَّن أن أخيه معه أيضًا. ولكن ما علينا الآن هو إنقاذ الفتى وأخيه وإعادتهما إلى عالمهما. ولكن كيف يمكنني ذلك؟

كان لدي صديقة وحيدة. فلجأت إليها بعيدًا عن أعين الإزرقيون في مكان خاص نلتقي فيه وقتما نريد، لا أحد يعلمه سوانا.

وعندما رأتني، حكيت لها كل ما حدث سابقًا عن الفتى وأبي وحتى موقف أمي بأخراجي من هنا. وأخبرتها أيضًا أن الفتى لم يرد أذى لعالمنا على الإطلاق، بل كان مجرد سوء تفاهم. وأصبحت حياة الفتى على المحك بسببي. لذا يجب إخراجه من هنا ليعود كل شيء كما كان.

بعد أن انتهيت، قالت لي: "ولماذا أنت مهتمة بحياته؟ أتريدين عناد عالمنا لأجل بشريا؟"

قلت لها: "أنا أعلم، ولكنه ليس له ذنب في كل هذا. بسببي فقط تفاقمت الأمور.

أرغب في إخراجه لأنني أريد أن يعود كل شيء لطبيعته. تريدين أن أعيش أنا وهناك من يموت بسببي."

ابتسمت بهدوء وقالت: "بالطبع لا، أنتِ طيبة القلب لذا سأساعدك." واستطردت قائلة بقلق: "رغم أن هذا خطير جدًا ويعتبر خيانة كبيرة، ولكن لأجلك يا هلا سأجازف. ولكن كيف يمكنني مساعدتك؟"

قلت لها بامتنان: "شكرًا لك حقًا، أنتِ أفضل صديقة لي، بل أفضل أزرقه على الإطلاق."

واستكملت قائلة: "لدي خطة، وسأحاول قدر المستطاع إبعاد الخطر عنك، لأنك تعرفين أنني مُطاردة ولن أستطيع فعل شيء دون مساعدتك."

فقالت: "أعلم؛لكن ماذا يجب أن أفعل؟"

قلت لها: "حسنًا، أولًا يجب عليكِ الذهاب إلى صومعة العزل." كانت ستتحدث لكنني قاطعتها وقلت: "لا تقلقي، اليوم كما تعلمين يوم إلزام المنازل، ومن غير المسموح بخروج أحد. أما بالنسبة للحراس المنتشرين بجانب صومعة العزل، سأتولى أنا أمرهم.

كل ما عليكِ فعله هو أن تفتحي باب العزل وتخرجيهم وتذهبي بهم عند بداية الصحراء ثم أتركيهم ليذهبوا حتى أعالي الجبال.

وسأكون أنا بانتظارهم وانتي عودي حتي لا يلاحظ أحد من والديك غيابك".

نظرت لي وقالت: "وماذا ستفعلين مع الحراس؟ وكيف سأفتح الباب دون مفتاحه؟"

قلت لها: "اتركي ذلك لي، ولن تذهبي إلا عندما أعطي لك المفتاح". نظرت لي وقالت بعد تفكير: حسنًا، لكنني أقلق بشأنك. احذري يا هلا، أنهم خطرين. كما أنك تعلمين حكايتنا مع البشر، إذا حدث شيء خاطئ، ستكون هناك حرب. وفي النهاية، أبدت موافقتها.

وذهب كل واحد باتجاه مختلف واتفقنا على العودة هنا لأعطاءها المفتاح بعد ساعتين من الأن حيث يكون كل شيء هادئ.

ذهبت وأنا أفكر كيف سأجعل الحراس يذهبون بعيداً عن صومعة العزل حتى وجدت حلاً ما يبدو معقول.

ذهبت بنفسي إلى صومعة العزل وارتديت ملابس الحراس على الرغم من أن جسمي هزيل، لكنني حاولت ارتداء ملابس كبيرة وتظاهرت كأنني واحدة منهم.

كنت أخفض رأسي كلما مر أحداً من الحراس حتى لا يشككوا في هويتي وبحثت عن القائد بعيني حيث وجدته في ركن بعيد عن باقي الحراس يبدو عليه أنه غارق في النوم. فتسحبت ببطء على أطراف أصابعي لأخذ المفتاح الذي كان في جيبه. حرك رأسه قليلًا، فتراجعت وانتظرت حتى يستأنف نومه. ثم مددت يدي مرة أخرى ونجحت هذه المرة في سحب المفتاح وخبأت نفسي في مكان مظلم.

ثم قلت في نفسي: "حسنًا، كيف سأجعل الحراس يذهبون بعيدًا عن صومعة العزل؟".

فانتقلت للخطوة الثانية من خطتي وهي إرسال رسالة بخط أمي لقائد الحراس. أمي ترددت في إرسالها وقتها، لكن في النهاية لم ترسلها وأخذتها أنا واحتفظت بها.

كانت تلك الرسالة معي منذ زمن لا أعلم لماذا، قمت بإرسال تلك الرسالة لقائد الحراس بتوقيع أمي.

في تلك الرسالة، كان أمر بسحب جميع الحراس في عالمنا وحضورهم في مكان معين لأمر هام. قمت بمسح التاريخ لكي لا ينكشف الأمر، وبعثت الرسالة لقائد الحراس. راقبته من بعيد ورأيته ينظر للورقة بتعجب، ثم نظر أمامه لبضع ثوانٍ وذهب ليأمر الحراس بالذهاب كما أريد.

فرحت عندما رأيت الحراس يخرجون واحدًا تلو الآخر، فتأكدت من نجاح خطتي حتى الآن. ثم رأيت القائد ينظر داخل صومعة العزل عبر ثقب الباب للتأكد من وجود الفتى بالداخل وذهب هو أيضًا.

أصبح المكان فارغًا تمامًا. فكرت في أن أذهب وأفتح الباب بنفسي ولكن تراجعت عن الفكرة، لأنه إذا رآني أحد في الخارج سينكشف كل شيء.

فذهبت لألتقي بصديقتي حسب الخطة لتبدأ هي مهمتها. أعطيتها المفتاح كما اتفقنا وقلت لها: "سأكون في أعالي الجبال بانتظارهم".

فأومأت برأسها وقالت: "هلا، ماذا أن رآني أحد الحرس؟"

فرديت: "لا تقلقي، اذهبي إلى المنزل ولا تنظري لهم حتى لا يشعروا بأن هناك أمر ما. فقط قبلها التفتي للفتى حتى يختبئ."

ما جعلني متأكدة بأن الحرس لن يكونوا موجودين، تلك الرسالة، لأنهم بأمرٍ معين سيذهبون لمكانٍ بعيد، لا أعلم كم المدة التي سيستغرقونها للوصول، وعندما يعلمون بالحقيقة سيأخذون وقتًا للعودة، وبالتالي سيكون الفتى قد هرب، وصديقتي عادت إلى المنزل.

ذهبتُ أنا إلى أعالي الجبال وجلستُ في خيمتي بانتظارهم. كنتُ أتمنى من أعماق قلبي أن ينتهي كل شيء ويعود كل شيء إلى مكانه. كنتُ منتظرةً مرتجفة على صديقتي والفتى. أخشى أن أفقدهم وأكون حينها انا السبب لكن توقف عقلي عن التفكير، وتذكرت نفسي "ماذا عني؟ أين سأذهب بعد تمردي؟"

الفصل الثالث

دخلت تلك المرأة المريبة. كنت أعرف أنها أم الفتاة. ابتلعت غصة في حلقي ونظرت إلى أخي، لم أجده بجانبي بل وجدته متشبثًا بقميصي وواقفًا خلفي.

حاولت الصمود لأني لست وحدي هذه المرة بل معي أخي الصغير ويجب حمايته مهما كلف الأمر.

وبالرغم من ذلك كنت واقفًا مشدوهًا ونظرت إليها بتمعن ولأول مرة رأيت وجهها عن كثب.

كانت بيضاءً ناصعة، وعيناها زرقاءً كاللؤلؤ أو كعين ابنتها. ولكن عيناها تشي بالقلق والقوة معًا، وشعرها أسودًا كالفحم ويصل إلى منتصف خصرها تقريبًا. وترتدي ملابسًا قديمة كما رأيت في الملوك والرؤساء قديمًا، كأنها أميرة هربت من مملكتها. ولكن عيناها فقط تخبرني بأنها امرأة قوية كالتي تذكر في كتب التاريخ في سجلاته الخرقاء.

بعد صمت طويل، لم أعرف الوقت الذي دام حتى وجدتها تقترب مني أكثر من المرة السابقة ونظرت في عيني مباشرة.

وقالت: "كن مستعدًا، ففي الصباح سيتم إعدامك أنت وأخوك".

ثم همست في أذني وقالت: "حذرتك سابقًا ولم تستمع".

ثم التفتت وذهبت وتركتني في مكاني، كنت واقفًا مذهولًا وقلت: "ماذا حدث لتو؟". لم أنتبه لأي شيء سوى أن أخي معي.

فأخي كان مرتعدًا ويقول: "ماذا يعني هذا، مالك؟ أهذا حقيقي أم أن أحدًا يمزح معنا؟".

حاولت تمالك نفسي لأجل أخي وأهدأ نفسي أيضًا. ففي الحقيقة، عقلي وتفكيري توقفا منذ لحظة دخول تلك المرأة.

بعدما هدأتُ قليلاً، قلتُ لأخي: "أتصدقني أليس كذلك؟" فأجاب "بالطبع"

فقلت له: "إليك ما سأقوله؛ ما نحن فيه الآن مجرد لعبة، لكنها كبيرة ومعقدة بعض الشيء ".

إنهم يختبرون ذكائنا فحسب، ولكن في النهاية سنعود وأتمنى أن تفهم ما أعنيه".

فسخر مني وقال: "تظنني صغيراً؟" ثم أضاف قائلاً: "مستحيل أن تكون هذه مجرد لعبة. إنهم غرباء الأطوار المرأة والحرس الذين معها".

وأضاف: "أنت تقول لي هذا لأهدأ فقط". ثم قلت له وأنا مبتسماً: "تبدو ذكياً على سنك". "حسنًا، أنت محق، لكن ماذا علينا أن نفعل الآن؟"

ثم ساد الصمت وجاءت فكرة إلى ذهني. نظرت إليه فجأة وقلت: "حمزة، وجدت الحل!"

فسألني: "ما هو؟"

فأجبته: "أليست تلك المرأة تقول أنهم سيعدموننا في الصباح؟". فأجاب: "بلا".

فقلت له: "حسنًا، لدينا وقت كافٍ، للخروج من هنا".

نظر إلي بسخرية وقال: "على أساس أن المخرج أمامنا ونحن لا نريده؟"

فأجبته: "أنت أحمق، بالتأكيد هناك حل". ثم أضفت: "هيا، لا يجب أن نضيع وقتنا".

في البداية، يجب أن نعرف التوقيت؛ هل نحن الآن في الصباح أم المساء؟" فسألني: "من أين سنعرف؟"

فأجبته: "من تلك النافذة".

فقال: "وكيف سنصل إليها؟"

فقلت له بحماس: "مثلما كنا نلعب معًا في الماضي". فحملته على كتفي، وبدأت في رفعه علي قد ما أقدر فقال: "ما زال بعيدًا".

فقلت له: "حاول أن تقف وأنا سأمسك بك جيدًا. لا تقلق". حاول الوقوف على كتفي.

فقال: "اقتربت منها، لكن لا أرى شيئًا. ما زال هناك القليل".

قلت له: "حاول أن تمسك بيديك بأي شيء في تلك النافذة وتشبث به جيدًا".

فأجاب: "حسنًا". ثم حاول ونجح بعد لحظات. ثم قال: "احذر يا أخي، إذا

سقطت من هنا، سأكون ميتًا".

قلت له: "لا تقلق، أنا تحتك مباشرة. أخبرني، ماذا ترى؟"

فقال: "أعتقد أننا ما زلنا في النهار، لكن يبدو أن الغروب قد اقترب". فسألته مجددًا: "وماذا ترى في الخارج؟ هل هناك أحد؟"

لم يجب، ساد الصمت لمدة دقيقة تقريبًا، ثم سقط فجأة. ولكني أمسكت به في الوقت المناسب، ووقعت أنا على الأرض، شعرت بدوار شديد ليس من الواقعة بل من البُعد، فحاولت الوقوف ببطء وسألته: "أأنت بخير؟". فأجاب: "نعم".

ثم نظر إلي وقال: "قلت لي منذ قليل أننا في اللعبة، هل هذا حقيقي؟"

فأجبته: "لماذا؟ ماذا رأيت؟"

فقال: "تلك المرأة التي دخلت منذ قليل في الخارج هي وحراسها. هناك الكثير منهم، يشبهون في الملامح ولون العيون، ليس فقط في النساء والحرس، بل أيضًا في الرجال والأطفال. كل شيء يبدو غريباً كأنهم لؤلؤة من عالم غير البشر".

قلت في سرّي: "أعلم، يبدو أننا دخلنا حقاً إلى عالمهم".

وقف أخي أمامي وقال بتعجب: "عالمهم؟!"

يبدو أنني كنت أفكر بصوت مرتفع، فقلت: "نعم، يا حمزة، عالمهم. لكن اوصف لي ما رأيت رجاءً، عسى أن أجد حلاً ونفر من هنا".

كان أخي مندهشاً وتقريبًا لم يسمع ما قلته، فقلت له: "حمزة، أتسمعني؟" فأجاب: "نعم". قلت له: "هيا، أصف لي ما رأيت".

بدأ يروي ما رأى، ومع كل كلمة منه تنبثق الدهشة في داخلي. هل هذا حقيقة أم أننا وقعنا في أحلام مضطربة!

وصف المكان بأنه مليء بأشخاص يشبهون بعضهم البعض إلى حد تجعلك تعتقد أنهم شخص واحد. بالنسبة لملابسهم، فهي متشابهة أيضًا، إذ يرتدي النساء نفس الزي الذي يرتديه الرجال، وحتى الأطفال يرتدون نفس الزي.

وتكمن الغرابة الأخرى في المباني التي تتواجد في كل مكان، إذ تبدو مؤلفة من أحجار ضخمة تراكمت بشكل عشوائي بلون أزرق داكن غير مألوف، وتحتوي على نافذتين صغيرتين.

على الرغم من ترتيبها العشوائي، تتميز تلك المباني بتوافر ممرات ضيقة تمنح حرية التنقل بينها.

أعتقد أن سبب وجود تلك الممرات هو لضمان حرية التحرك في هذا العالم الغريب. وأضاف: "عددهم كثير جدًا، تلك المنازل الصغيرة، أما عن الأرض فهي أسود داكن لا يطلق منها سوى حبات صغيرة جدًا كالملح، وإن كنت سأسميها فسأقول إن الأرض من الملح الأسمر".

سألت حمزة: "وماذا عن الحراس؟"

فأجابني بعدم المعرفة، حيث لم يرهم إلا عندما دخلت تلك المرأة.

اضاف حمزة قائلاً: "أعتقد أننا محاصرون في مكان ما، ولكن كيف يمكن أن لا يكون هناك حراس؟"

فأجبته قائلاً: "لا أعلم، حمزة، إننا لسنا في عالمنا، لا تنس ذلك. هنا حيث لا يوجد شيء منطقي".

انتظرنا حتى حلّ الليل، واستقرت الأصوات في الخارج شيئاً فشيئاً. اقتربت من الحائط في محاولة لسماع أي شيء، ولكن الخارج كان هادئاً تمامًا. حتى من شدة السكون، سمعت أنفاسي وأخي.

قلت لأخي: "هيا، حان الوقت"، وبدأت أرفعه ببطء. من حسن حظي أنه كان نحيفاً، فقلت له: "حاول رفع نفسك وتشبث بتلك النافذة" وبالفعل أمسك بها. قال لي: "ابقى تحتي". فقلت له: "لا تقلق" وبدأت برفعه بأقصى ما لدي.

قلت له تشبث بأي شيء، لكنه سقط. عدنا نحاول مجددًا لعشرات المرات حتى بدأ اليأس يسيطر على أخي. قلت له بانفعال: "تلك حياتنا.. على ماذا تيأس؟ أتريد أن ننتظر موتنا؟" فقال: "أنت ترى بنفسك.. يبدو أننا سنموت هنا".

أمسكته وحاولت أن أتمالك أعصابي وقلت له: "لا، سنخرج من هنا، وأنت ستساعدني في ذلك"، ثم قمت برفعه مجددًا وقلت له: "هيا، أكثر، أنت ستفعلها"، لكنه سقط فجلسنا نأخذ نفسًا لبعض الوقت.

ثم سمعنا صوتًا في الخارج يتسلل ويقترب منا، وبدأ الباب يفتح. كان كل شيء حولنا ظلامًا حالكًا، ولم نر فيه أي شيء لدرجة لا تستطيع أن ترى كف يدك. حتى سمعت صوت فتاة تقول لنا: "هيا، أم تريدون الموت هنا؟". فذهبنا خلفها، ومسكت أخي بجانبي جيدًا.

حتى بدأت تتضح الرؤية أمامنا شيئًا فشيئًا، فكانت تلك الممرات الضيقة فارغة، وكأنه من غير المسموح أن يخرج أحد في تلك الفترة. كانت تسير أمامنا فتاة صغيرة تشبه جسدها الهزيل احدا اعرفه . شككت في أن تكون الفتاة ولكن ليس صوتها، ثم التفتت لنا فجأة، يبدو أنها كانت تحذرنا من قدوم رجل، فاختبأنا بجوار منزل ما.

بعد أن تجاوزناه، استكملنا سيرنا خلفها. أردت أن أسألها من هي ولماذا تساعدنا، لكن قلت لنفسي أن أصمت الآن. يجب أن نخرج من ذلك العالم المجنون. حتى

وصلنا إلى مكان يشبه الصحراء، الأرض مغطاة برمال كثيفة وخاوية تمامًا وعلى آخرها جبال عالية. وقفت الفتاة والتفتت لنا وقالت: "لا أستطيع أن أذهب أكثر من هنا، يجب عليكما أن تصلوا إلى تلك الجبال. خلفها ستجدان ما تبحثان عنه.

هلا، في انتظاركما. ولكن حاولا ألا تتوقفا مهما حدث، وربما ستتمكنان من العودة إلى عالمكم".

قلت بامتنان: "حسنًا، شكرًا لك، لقد أنقذتنا من موتٍ محتم." رفعت رأسها وقالت: "لا، لست أنا من أنقذكم بل هلا"، ثم ذهبت.

بعد أن ذهبتْ، أكملنا المسير. سألني أخي: "من هلا هذه؟".

فأجبته بتردد: "لا أعلم، ولكنها أنقذتنا من موت محقق، نحن مدينون لها بأرواحنا". قال أخي: "بالطبع". واستمرينا في سيرنا. لم أكن أعرف المسافة التي قطعناها بالضبط، ولكنها كانت أطول مما توقعت، لدرجة شعرتُ أن كلما سيرنا، تبعد الجبال عنا أكثر. توقفنا للراحة قليلاً، وشعرتُ بالعطش الشديد. فسألتُ أخي: "ألا تشعر بالعطش؟". أجاب قائلاً: "لا".

فتعجبتُ وقلت له: "كيف لا تشعر بالعطش بعد يوم كامل؟".

أجابني قائلاً: "كانت هناك قارورة ماء وشربت منها عندما استيقظت في ذلك المكان.

قلتُ له: "لكني لم أجد أي قارورة ماء هناك، فأخبرني أن الحراس أخذوها قبل وصولي، ولكنهم ربما نسوا إعادتها". ثم استمرينا في المسير.

قال أخي ناعسًا: "أريد أن أنام وأشعر بالتعب والجوع". حاولتُ أن أحث أخي على استكمال الطريق، فقلت له إننا يجب أن نكمل قبل شروق الشمس للعودة للمنزل والعائلة.

بعد ثلاث ساعات تقريبًا ما بين الراحة والسير. وجدنا فتاة تنتظرنا تلوح لنا بيديها عند تلك الجبال. لم تكن الرؤية واضحة في الظلام، تقربنا أكثر فأكثر حتى وصلنا إليها. اتضح أنها تلك الفتاة التي كنت أراها في المزرعة. ابتسمت تلقائيًا ومدت يدي للسلام. لكنها قالت لي: "هيا، ادخلا بسرعة". وتوجهت نحو خيمة متوسطة الحجم ربما كانت حديثة الصنع لي أنا وأخي وعندما دخلنا مباشرةً، انهار أخي على الأرض، وأنا ذهبت مسرعًا حيث مكان الماء شربت حتى امتلأت معدتي وتركت أخي كما هو.

بعد أن رويت عطشي وبللت ثيابي بسبب تناولي الماء بهذا الشكل، قمتُ برفع أخي ببطء وسألته هامسةً إذا كان يرغب في الماء. ردت الفتاة قائلةً: "اتركه ينام الآن، الماء موجودٌ عندما يستيقظ". التفت ونظرتُ إليها، كانت تشبه أمها تمامًا، لكنها كانت لديها براءةٌ جعلتها ساحرة بطريقةٍ ما مميزةٍ عن أمها بل عن العالم أجمع. بادرت هي بسؤالي فسألتني عن اسمي، فقلت لها إيثان.

جلست الفتاة أمامي بخجل، الإضاءة كانت خافتةً مثل حبات الرمل في الليل، صفراءً ضئيلة جداً. لم نرَ بعضنا بوضوح، فقط كنا نستمع لهمساتنا واصواتنا.

ثم بدأت في سؤالها عن كيفية وصولنا أنا وأخي إلى هنا ولماذا؟ وما قصة عالمكم وعالم البشر؟ كنتُ سأكمل كل ما يدور في عقلي، ولكنها أشارت أن أصمت وقالت: "عليكَ رؤية رسالتك كل شيء في وقته، الآن يجب أن تأخذ قسطًا من الراحة".

في الصباح، كنت أتعرق من شدة الحرارة، و غارقًا في نوم عميق حيث لم أنم جيدًا منذ تلك الليلة حتى أيقظني أخي وقال لي: "ألا يكفي كل هذا النوم؟"

فقلت له "دعني أنام"، فرد "حسنًا، سأتركك كما تشاء، ولكن يجب أن نعود إلى المنزل أولاً، لا نعرف حالة أمنا الآن". استيقظت عندما تذكرت أمي.

قلت له "أنت محق، يجب علينا العودة بسرعة، ولكن كيف؟"

قال: "مالك، هناك ماء يمكنك أن تغتسل أولاً، ثم ننتظر تلك الفتاة هنا، ربما ستساعدنا في العودة إلى المنزل". قلت "حسنًا"

بعدما انتهيت حاولت تجميع أفكاري لأفهم كل شيء كانت الأمور تسير بسرعة كبيرة تجعلك لا تفهم شيئًا.

جلست مع أخي في انتظار الفتاة ولكن انتظرنا طويلاً ولم تأتي. فقال حمزة "وماذا بعد؟ سنظل جالسين هكذا؟" قلت له "كيف يمكنني أن أعرف؟ الفتاة قالت إنها ستأتي". فتوقفت عن الحديث ونظرت لمارك، "ألم تر الفتاة منذ استيقاظك؟" ردد قائلاً "لا". فقلت "أين هي إذا؟ المفترض أن تكون الفتاة معنا الآن.

قال حمزة: "ربما نائمة الآن". قلت له: "أتمنى ذلك".

بدأت تنتابني مشاعر مختلطة من الحزن والخوف واليأس وأحسست فجأة أننا عالقون في هذا العالم للأبد. تلك المشاعر جاءت في آن واحد. وضعت يدي على رأسي في محاولة للتماسك والهدوء، على الأقل أمام أخي، حتى لا يشعر بذلك. ولكن الندم واليأس لم يهدأا، بل يزدادان كلما تذكرت أنني السبب في كل شيء حدث حتى الآن.

فقلت بخجل ورأسي للأسفل: "كل هذا بسببي، أمي وأنت وأختي. كنتم أمانة عند أبي، ولكن ماذا فعلت سوى خداع الأمانة بسبب انانيتي. أتعلم يا مارك، لطالما أردت أن أعيش بمفردي دون إيذاء أحد، ولكن الظروف أجبرتني على عيش حياة لم أكن أرغب فيها.

هذا ليس مبررًا بالطبع ولكن منذ متى أريد فعل شيء وأفعله دون عواقب وخيمة وكأني أعاقب على حريتي.

منذ أتت تلك الفتاة وتوالت المصائب بعدها، كأنني دخلت في حلم وأردت أن أعيشه يومًا بكل تفاصيله، ولكنني لم أكن أرغب في إيذاء أحد أيضًا".

نظرت إلى مارك وقلت له: "أنا آسف حقًا".

فقال بحماس: "ليس صحيحًا بل جعلتنا ندخل مغامرة لم نحلم بها قط".

ابتسمت وجاء في بالي أن الفتاة في الخيمة الأخرى،

فقلت له: "هيا نذهب للفتاة". فتعجب أخى فقلت "تعالي معي".

خرجنا من ذلك المكان واتجهنا نحو خيمتها لاحظت نقط حمراء في الرمل وكأنها دماء قلقت على الفتاة. توقفنا أمام خيمتها وحاولت رفع صوتي عاليًا وقلت "يا فتاة، أنت هنا؟" لكنها لم تجب. فكررت سؤالي مرة أخرى، لكن لم يكن هناك إجابة.

بدأ يزداد قلقي، فدخلنا أنا وحمزة الخيمة ببطء لم تكن الفتاة بالداخل، تنفست الصعداء أن الفتاة لم تتأذي كما ظنيت بل كانت الخيمة هادئة تمامًا.

ثم لاحظت مكانًا يبدو أنه مكان للنوم ولكن كما لو أن هناك شخصًا بداخله ومغطى بقطعة قماش ثقيلة جداً فقلت بتعجب: "في ذلك الحر" رفعت القماشة بحذر وقلت لمارك أن يبتعد وعند رفعي لتلك القماشة وجد الفتاة التي أخرجتنا من الحبس. نظر حمزة إلي بتساؤل وذهب ليجلس على الجانب الآخر من الفتاة وقال بعد لحظات بصوت مرتجف: "انظر، الفتاة غارقة في دمائها، تبدو ميتة!"

ابتلعت ريقي بصعوبة واقتربت لأرى الأمر بنفسي. وبالفعل، وجدت دماء كثيرة على جانبها الأيمن. وضعت يدي للتحقق من نبضها، لكن لم أشعر بأي شيء. ثم وضعت يدي على رقبتها ولكن لا شيء أيضاً.

أثناء ذلك، سمعت ضوضاء عالية في الخارج مثل أصوات أقدام تقترب. خرجت لمعرفة ما يجري، ويا ليتني ما فعلت.

مملكة الايقاع

قبل خمسة وعشرون عام،،

في عالم يحفه السلام والأمن والأمان، تنبض نطفة شر لتعكر صفوة ذلك الاطمئنان.

في تلك الليلة، ولدت فتاة تدعى سيرينا نوكتورا لإحدى العائلات المالكة في ذلك العالم، عالم "مملكة الإيقاع". حيث يقع كل شر قبل قدومه ويتمسك بالعدل والإحسان كحد السيف في شددته. ولكن تلك الولادة المشؤومة جلبت معها الشر أكثر مما أتت بالخير.

حيث أن تلك الفتاة منذ عقودها الأولى، وهي تلتفت وتتمرد على كل ما من شأنه أن يدمر ذلك العالم باختلاطه بالعوالم الأخرى.

لا سبب للشر، فهي مدللة ولديها المال والعائلة والأصدقاء. ولكن بذرة الشر أخذت تتنامى يوماً بعد يوم في كنف تلك الأسرة القابعة تحت كنف عائلة نوكتورا.

حتى كشف والدها في إحدى مغامراتها نيتها السيئة. فكانت تلك الليلة في عالم البشر، وكانت قد تعلقت بأحدهم. وتلك لم تكن المشكلة، وإنما فيما وجد في غرفتها تلك الليلة. حيث وجد كلاماً غريباً وعجيباً بخط يد سيرينا عن نية بالغة الخطورة لنشر فتنة بين البشر وبين عالمنا. عن طريق افتراءات ومحاولة تغيير جذور عالم مملكة الإيقاع لتحويله لجزءين: أحدهم قوي وآخر ضعيف. لتستقوي على من أضعف وتحتاط بمن هو أقوى. وكل هذا لأجل هدف وحيد، الا وهو حكم عالمي البشر والايقاع تحت سطوتها.

بعد الكشف عن تلك المذكرة تحت وسادتها، أمر الأب بإحضارها إلى هنا في الحال. فجاءت وعلى محياها ابتسامة لا يعرف نيتها قط. وبدأ في استرسال الأسئلة عليها ممسكاً بتلك المذكرة قائلاً: "ما هذا، أحقاً تريدين نشر الفتنة وترغبين في حكم عالمي البشر والايقاع معاً، من أين لكِ بكل هذا وأنتِ حتى لم تبلغي السابعة عشر بعد".

رددت بصوت قلق:" لا لا هذا ليس حقيقي، كنت أمزح. أساساً أنا من تركت تلك المذكرة حتى تجدها. أنا سعيدة هنا ولا أبداً أبغض عالمنا ولا عالم البشر. ولما أفعل وانا لا أجد أي سوء".

أجاب الأب :"أصدقكِ لأن ذلك الحديث لا يمكن أبداً أن يكون في فتاتي. حسناً إذاً، سأطلب منكِ طلباً: لا تذهبين لعالم البشر مجدداً وابقى معاً هنا ولا تغادر، اتفقنا".

قالت :"أبي لطالما أحببتني، لما تعاملنا هكذا الآن؟ أتصدق تلك المذكرة؟ وأنا أمامك أنكر كل شيء. الا تصدقني بعد؟"

فرد الأب :"أصدقكِ ولكن ليس من الجيد بشكل عام أن تذهبي لعالم البشر. لا تنسي أنني كنت هناك وأعلمه جيداً. فسيرهقك ويكسر قلبك. فلا تذهبي، وهذا نصيحة كأب وأمر كملك، اتفهمينني؟"

اومأت بالإيجاب ، ولكن خلف ذلك القناع، قوى ظلام ممزوجة بالشفقة والشر معاً.

بعد عدة أيام، بدت الأمور تتوتر بين الفتاة سيرينا ووالديها بشكل كبير. لدرجة الصياح بصوت مرتفع أمام أعين الإزرقيون، غير مبالية بمنصب والدها كملك وكأب.

حتى تصاعد الأمر حد القتل، وذلك بعد خمسة سنوات من يوم كشف المذكرة.

ولكن بطبيعة الحال، الأمر كان مخفياً ولا يعرفه سوى القاتلة سيرينا والضحية والدها واخر وحيد .

بعد ذلك، تولت الحكم الفتاة سيرينا مع زوجها البشري، التي كانت أول علامة على علامات تحقق جزء من المخطط. وكتبت أول ضحايا لتلك الفتاة كان الوالد، حتى تتوالى بعد ذلك الضحايا المستضعفين، حيث يُقتلون في السر والعراء تمامًا كوالدها التي قتلتها بخنجر مسموم والفقت التهمة على إحدى أعز أصدقاءه مدعية أنها رأته يقتله. وكان من الصعب في ذلك العالم تصديق شيء إلا بتحقق منه بدقة فائقة، فلم يتم الكشف عن قاتل الوالد إلا بعد تلك اللعب التي لعبتها.

فقد وضعت ذلك الخنجر في يد صديق والدها عندما كان نائمًا في جناحه، وأيضًا وضعت بقعًا من الدم بين غرفتي الملك والصديق حتى يصدق الإزرقيون تلك الرواية. وعندما تولت الحكم، أسرعت في التنفيذ لتنتهي من هذا الجزء تمامًا وأعدمت الرجل في تلك الصحراء بعد محاكمة ظالمة، وكانت أول محاكمة في ذلك العالم تحيد العدل وتنصر الظلم، وكتب لها النجاح في أول مهمة.

رغم إثارة الشكوك لدى البعض من الإزرقيون لا سيما ومن خالط البشر لأنهم يدركون أن تلك اللعبة قد تحدث في عالم البشر.

سيرينا نوكتورا

قررت التخلي عن أمومتي لتنفيذ ذلك المخطط الذي أعددته منذ عدة سنين ولن أجعل ابنتي أبداً عقبة في طريقي بل طعماً لتحقيق غرضي. إنها حمقاء لم تورث ذكاء والدتها بل ورثت سذاجة والدها.

عالم البشر كنت قد قضيت فيه أغلب طفولتي ومراهقتي حيث علمت أموراً شتى يجهلها عالمي اليوم ولطالما استعنت به في سبيل الحلم الأعظم، وهو حكم العالمين معاً وخضوعهم أمامي.

فكلاهما يستحق ما سوف أفعله بهما. فأما عن عالم البشر فقد رأيت فيه من الفساد ما كثر والخذلان ما أسر والقليل من الخير والحب والأمان التي لم أذقها بدوري في ذلك العالم.

أما عن مملكة الإيقاع فهي كما يطلق عليها، الإيقاع حيث توقع كل شيء ضار قبل حدوثه ويعم السلام في الأرجاء والأهالي سعيدة عادلة ولكن ينقصهم شيء مهم وهو التطور والتقدم.

هذا ما وجدته في عالم البشر مختلفاً حيث هناك أناس يكتشفون أشياء كثيرة وهناك آخرون يعدون الأموال لجذب أفكار وعقول وهذا ما يميزهم وإن كان في الآونة الأخيرة انقلب الأمر حتى انتشرت التفاهات ولكنها فترة وتمضي.

هكذا هو تاريخ البشر يمر عليه لحظات ركود وأخرى تطوير فهو لم يكن ساكناً أبداً.

أما عن عالمي فهو مثالي إلى حد كبير ولكن يؤرقه الروتين. فالعائلات هنا تتوارث عن أجدادها أفكاراً واحدة وحتى الأعمال التي تركوها دون إبداع أو تدبر.

أما سبب هدفي لتدمير البشر وخضوعه مع عالمي هو قوة كامنة في أو رؤية منذ زمنا بعيد بأنني أول ملكة تحكم عالمين كهذا لا سيما البشر التي أكن لها كرهاً شديداً.

أما عن سبب اختياري لعائلة إيثان، فصراحة كان من ضمن أفضل خياراتي على الإطلاق، حيث وجدت علاقة كبيرة بين والد إيثان وزوجي.

كلاهما كانا أصدقاء قدامى، ولكن عندما عرف أنه زوجي، ابتعد عنه ولم يقترب منه، كأنه لم يعرفه قط. وكنتُ أنا السبب حينها، فأنا من فرقت الأصدقاء ودمرت العائلات، وهذا ما فعلته بدءًا من قتل أبيهم الجبان.

لم أعرف أنه ضعيف القلب، فحينما قسوا عليّ ظننتُهم لا يخشون شيئًا، والآن اكتشفت ما هو عكس ذلك. هكذا هم البشر، يتصنعون شيئًا لا يملكونه.

عند عودته من المزرعة مع ابنه تلك الليلة، قررت أن تكون هذه اللحظة تحديدًا وأتيت بعدما ذهب ابنها بسرعة، وبدأت التف حوله من كل زاوية، حتى رأيت الخوف يغطى عينيه، وتوقف عن السير، وبدأ يهمهم، ويهتف قائلاً: "ابتعدي عني أبتعد عني، حتى قررت أن أختفى عدة لحظات وأقدم أمامه فجأة وجهًا لوجه، حتى تحقق ما رغبت به، وهو وقف قلبه، ورأيته مغشيًّا عليه، حتى تسنى لي رؤيته يلتقط أنفاسه الأخيرة، كما حاول مع الأهالي سابقًا، مشاهدة منزلي وانا فيه يحترق.

كنتُ فتاةً كأي فتاةٍ في عالمي، تطمح في عائلةٍ وترغب في العيش بأمانٍ تام والتنقل بسلام عبر العوالم المختلفة التي بها عادات وتقاليد وأمورٌ تختلف جذرياً عن عالمنا.

عند بلوغ الطفل لدينا العاشرة، ينتقلُ إلى أول عالمٍ من اختياره، فاخترتُ أنا السحر، ظننتُ مني أنني سأتعلم كل شيء وأفعل ما أريده بطريقتي الخاصة، وقد نفعني بالفعل في بعض الأمور، فكنتُ كلما ارتكبتُ جريمةً ما هنا أو في عالم البشر، كنتُ أخفيها ببراعة، لذلك لم يكتشف أمري بعد، ولن يحدث.

إحدى أسباب تغيّري من فتاةٍ ساذجةٍ إلى عاقلةٍ ومن اختياري للألوان الزاهية إلى الكاتمة، هو اكتشافي لتلك العوالم المخيفة وقوانينها الصارمة التي تجعل الجميع خاضعًا، وقد أحببتُ ذلك الدور بدلاً من الضعف والهوان، لاسيما وقد رأيتُ بعيني كيف تتم معاملتهم لمجرد أنهم ضعفاء مساكين.

هلا ابنتي الصغيرة، لا تحمل بعضًا من صفاتي البارزة، لذا منذ البداية أدركت أنها ستقف ضدي.

حاولت مرارًا وتكرارًا أبعادها، لكنها أصرت، لذا ما كان مني إلا نفيها في سبيل هدفي.

منذ ليلة تركي لها عند والدها كنت قاصدة هذا حتى يتسنى لي متابعة عائلة إيثان عن قرب، فأنا أعلم أن المسافة بين منزل زوجي وتلك العائلة ليست بالبعيدة وكنت أتحدث كثيرًا لها عن تلك العائلة وأنها مميزة وليست كالباقي، مع تحذيري لها بألا تفعل شيئًا مجنونًا.

كنت أعلم أن فضولها سيتغلب عليها، كوني أضغط بالحديث عمدًا عن تلك العائلة، لا سيما الفتى الأكبر إيثان الذي رأته مرة ورأيت بنفسي تغير لون وجنتيها، فعلمت حينها أن خطتي تتم بنجاح.

هلا بمثابة الطعم لعالم البشر أجمع بداية من تلك العائلة التي بطلها إيثان وصولاً البشر ككل وكان ذلك الفتى بدوره أحمقًا، اكتشفت أن فضوله أكبر مما تخيلت، كان من السهل استدراجه، ومن جهتي حاولت إشعال الرأي في عالمي وعن خطورة هذا الفتى وما سيسببه من مشكلات عند كشف عالمنا يومًا ما.

بدأت في نسج خيالات وأكاذيب عن كره البشر لنا كأزرقيون، لدرجة تذكرت كل كلمة كانت تقال لي لأقنع عالمي باتخاذ خطوة جادة ليكون في صفي أولا، وبعدها سأخضعه.

بالفعل كان كل شيء يسير بمثالية عالية، حتى بدأت بخطف الصغير عن طريق الخطأ، بالطبع أمام عالمي، لكنني كنت متعمدة حتى يكون حدودي من ذاك العالم أكبر. وبعدها جاء الفتى إيثان، وصدر حكم بعد جهد عظيم مني بإعدامه علانية في الصحراء بعد محاكمة عادلة، بالنسبة لي".

ذهبتُ للفتى بنفسي إلى صومعة العزل لكشف نيته بإعدامه غدًا وتركته متعجبًا. وذهبتُ أنا استعدادًا لتحضيرات إصدار الحكم، ولكن ما عكر ذلك هو فرار هالة وعدم نفيها حتى اللحظة. توقعتُ أن يساعد الفتى وأخيه لذا أخبرت الحرس في صومعة العزل أن يكونوا متيقظين، لكنني تذكرت وعدت للقائد، فقلت له: "أيها القائد، الغد ليلة عصيبة ويحب أن تأخذ أنت وحراسك بعضًا من الراحة." وتابعت بسخرية: "لا تقلق، لن يأتي أحدًا من عالمنا لإخراج الفتى وأخيه البشري بالطبع." أومأ برأسه موافقًا ثم ذهبت.

كنتُ مليئة بالتفكير حتى وجدت خطة معقولة إذا حاولت هلا أو حتى نجحت في تحرير الفتى من صومعة العزل.

وضعتُ حارسًا خاصًا جدًا، صراحةً كان غريبًا. كنتُ قد أخذتهُ من عالم الخفاء لِأنهُ باستطاعتهِ أن يختفي ويظهر وقتما يريد. وضعتهُ بالقرب من صومعة العزل وأخبرتهُ بألا يتحرك مهما حدث إلا في حالة خروج الفتى وأخيه، محذرةً إياه بألا يفعل شيئًا حتى نقبض على الخائن.

هلا فتاة ذكية، وبالطبع كانت ستخفي وجهها. كان باستطاعتي حينها الفاقها في أيّ واحد أريد، ولكن ما صدمني حقًا هو صديقتها، فهي من أخرجت الفتى وأخبرني الحارس عن مكان تواجدهم وأن تلك الفتاة تركت المسجونين عند أول الصحراء.

جاء دوري، في الأول ذهبتُ للفتاة وطلبتُ منها أن تساعدني في إيجاد هلا، ولم تكن تلك نيتي، إنما أردتُ قتلها بيدي حتى يعتقد الاهالي أن إيثان هو من فعلها بعدما

أنقذتها من حكم الإعدام لأني سأستدرجها واقتلها عند الفتى لتزداد العداوة بين العالمين.

وضعتُ حارسًا خاصًا جدًا، صراحةً كان غريبًا. لقد أخذته من عالم الخفاء لأنه باستطاعته أن يختفي ويظهر وقتما يريد. وضعته بالقرب من صومعة العزل وأخبرته بألا يتحرك مهما حدث إلا في حالة خروج الفتى وأخيه، محذرةً إياه بألا يفعل شيئًا حتى نقبض على الخائن.

هلا فتاة ذكية، وبالطبع كانت ستخفي وجهها. كان باستطاعتي حينها الفاقها في أيّ واحد أريد، ولكن ما صدمني حقًا هو صديقتها، فهي من أخرجت الفتى وأخبرني الحارس عن مكان تواجدهم وأن تلك الفتاة تركت المسجونين عند أول الصحراء.

حتى جان دوري، ذهبتُ للفتاة وطلبتُ منها أن تساعدني في إيجاد هلا، ولم تكن تلك نيتي، إنما أردتُ قتلها وكأنّ إيثان هو من فعلها بعدما أنقذتها من حكم الإعدام حتى تزداد العداوة بين العالمين.

سارت الخطة كما أريد، فقد وضعتُ سمًا في إناء الشراب وطلبتُ من الفتاة أن ترتوي بعد ذلك الجهد الكبير، حتى شربته وبدأ ينتثر سحرها. وقد ذاقت آخر شراب من يدي. أخذتها مع الحراس، ولكنّي أخفيتها وذهبنا نحو تلك الصحراء التي بها الفتى. أمرتُ الحراس أن يبتعدوا بمسافة محددة حتى يتسنى لي الفاق التهمة باقتدار. فأخذتُ الفتاة محملة على ذلك الحصان في رداء كأنّها تحمل أمتعة وشراب حتى لا يشكّ أحد الحرس بي. وقلتُ لهم: "انتظروا إشارتي لتأتوا". وذهبتُ بخطوات هادئة مع ذلك الحيوان المحمل بجثة الفتاة.

فتاة العالم الاخر

لا أدري لماذا أمي هكذا. أمعقول كل هذا دون سبب؟ لماذا تكرهني في البشر بينما متزوجة أبي من عالمهم بل وتحبه أيضاً؟ لطالما وجدتُ أمي غريبة الأطوار، لكن أبدًا لم أتوقع أن تمثل دور الشر كهذا. أنا أعلم أنها تعرف تمامًا أن الفتى بريء، ولكنها مصممة على إيذائه. ويااليت الأذى فقط، وإنما إعدامه لمجرد رؤيته متمسكًا بإضاءة خافتة بالقرب من عالمنا! أهذا كافٍ؟

أن جدي محق، لا تبقى أمي في محلا ساكن إلا إذا حققت غرضها، مهما يكن، حتى ولو كان ضارًا على شعبنا. ولكن ما الغرض من كل هذا؟

وهل أنا طعم لذات الغرض، مستغلة كونها ملكة هذا العالم؟ وماذا عن أبي؟ هل هو كذلك أم أحمق مثلي؟

خرجتُ من خيمتي في ضيق شديد، متذكرة أن قريبًا سأكون بمفردي للأبد. ولا أعلم حتى أي عالم سيتحملني.

حاولتُ أن أهدأ من روعي وبدأتُ في صنع خيمة، لأني مضطرة لأستبدال الأماكن. فلم أستطع صنع خيمة كبيرة، فاضطررتُ لصنع أخرى أصغر حجمًا تناسبني فحسب. وبعد انتهائي، نقلتُ محتوياتي إلى الخيمة التي صنعتها وتركتُ الماء والطعام لهما.

جلستُ أنتظر. انتظرتُ طويلاً حتى بدأتُ أرى خيالين اثنين. بالطبع، كان الفتى وأخيه. بدأتُ دقات قلبي تتسارع. لا أعرف لماذا يراودني ذلك الشعور عندما أرى الفتى. ثم لوحتُ لهما بيدي. وبعدما اقتربا، قلتُ لهما "هيا، ادخلا بسرعة تلك الخيمة".

بعدما دخلا، سقط أخيه الصغير على الأرض. يبدو أنه متعب، فنام في الحال. أما الفتى، فذهب للماء بسرعة. مسكين، تحول إلى طفل وهو يسكب الماء على ثيابه.

خرجتُ مني ابتسامة على استحياء. وبعدها، وجدته يذهب لأخيه ليسأله إن كان يرغب في الماء أم لا.

فقلتُ له مطمئنة أنه إذا كان يرغب، سيشرب عندما يستيقظ غدًا فالماء موجود. فترك ما بيديه ووقف ينظر إلي. وبعدها، جلس وسألني عن كل ما يدور في خلده من أسئلة، نفس الأسئلة التي أطرحها على نفسي.

اضطررتُ لقطع حديثه. فقلتُ له "تمهل، غدًا ستفهم كل شيء". وعلمتُ بأن اسمه إيثان أيضًا. وذهبتُ إلى خيمتي في انتظار ما يخبئه لنا الغد.

عند استيقاظي، كان كل شيء ساكنًا. فخرجتُ من خيمتي لأرى ما إذا استيقظ الفتى أم لا.

عند خروجي، وجدتُ نقاط دماء متفرقة. ذهبتُ للتوجه نحوها، لكنها اختفت في مكان محدد. بحثت عن أي آثار، لكني لم أجد أي شيء. حتى سمعتُ صوتًا مفاجئ يأتي من خلفي يقول "ماذا فعلتِ؟"

التفتُّ ورديت بخوف قائلة: "أمي، أنتِ لم تفهمي شيئًا. سأشرح لكِ".

قالت صارخة: "أصمتي! كيف تجرؤين على فعل ذلك؟ قمتِ بخيانتي بل بخيانة عالمنا. كيف تفعلين هذا بنا؟"

أخذت نفسًا ثم أكملت: "أنتِ قمتِ بخيانة عالمنا لأجل بشري. خرج الأمر عن سيطرتي الآن. هذه آخر فرصة لكِ، وإن رفضتِ سأضطر لتسليمك بنفسي للمحاكمة بتهمة الخيانة".

قلت لها: "أمي، لكنها أشارت إلي أن أصمت واستطردتُ: "أعلم أن الفتى وأخيه بالداخل والآن أنسى أمرهما. يكفي ما حدث واذهبي لذلك العالم".

وأعطتني عصاً تشبه تلك التي رأيتها عند محاولة نقلي لعالم الجنيات.

وقالت لي: "رجاءً استمعي جيدًا لما سأقوله". ثم أخرجت ورقة مكتوبًا عليها كلمات غريبة وأمسكتها بيدي بقوة. وقالت: "حاولي قراءتها لتنتقلي إلى عالم الجنيات، وعندما تهدأ الأمور هنا، سأرى ما إذا كان من المناسب أن تعودي أم لا".

سألت أمي: "ماذا عن الفتى وأخيه؟" قالت: "لا تقلقي، سأحاول أخرجهما. ولكن اذهبي أنتِ الآن. فهم قادمون، وإذا رأوكِ سيقتلونكِ فورًا".

قلت: "ماذا تعني بأنهم قادمون؟ هل سيعدمون الفتى؟ لا، لن أذهب من هنا. إن كان الفتى سيموت، فسأموت أنا أيضًا. لأنني أنا من أقحمته هنا".

قالت: "اذهبي، ليس هناك وقت للمجادلة". قلت لها بإصرار: "لا، لن أذهب. لم أكمل وفاجأتني بضربة قوية على رأسي بشيء صلب، وبعدها لم أرَ شيئًا".

الفصل الرابع

عندما خرجت من الخيمة، رأيت أعدادًا من الحراس قادمين نحونا. أخذت أخي وذهبنا بأقصى سرعة في الصحراء الرملية الحارة، سقطنا وحاولنا الهرب بكل قوتنا، لكن هناك شيئًا أصابني في قدمي من الخلف ولم أعد أستطيع الركض.

حاول أخي مساعدتي، لكنني لم أستطع. شعرت أن قدمي قد كُسِرَت وكان هناك الكثير من الحراس يطاردونني وفي الأخير تمكنوا منا وأعدونا إلى المخيم حيث كانت الفتاة الميتة.

ضربوني حتى جعلوني أجلس على الأرض بالقوة، ليتدفق الدم من أنفي بغزارة. وساقي لم أعد أشعر بها وكأنني إرهابي.

نظرت لمارك فوجدته في حالة لا تختلف عني كثيرًا، فضربوه أيضًا على الرغم من أنه مجرد طفل صغير. حاولت الوقوف ومقاومتهم، لكنهم أمسكوا بي بقوة أكبر.

ثم دخلت تلك المرأة المشؤومة، يبدو أنها ذات نفوذ في هذا العالم.

قالت بسخرية: "أنت مجددًا"، والتفتت نحو الفتاة الميتة وعادت بنظرها إلي. وقالت لي: "لماذا قتلت الفتاة المسكينة؟"

رددت قائلًا بصوتٍ عالٍ: "ماذا؟! أنا لم أقتل أحدًا!"

قالت بسخرية: "إذاً ما هذا؟" رددت مجددًا بإصرار: "لست أنا".

حاولت أن أستعيد أنفاسي وقلت: "لقد استيقظت ووجدت الفتاة هنا. رجاءً، دعيني أعود لعالمي، فحسب، لن أفعل أي شيء، أعدك بروحي".

ضحكت بسخرية وقالت: "أنت مضحك يا هذا، أتعلم أنك مجنون؟" ثم قالت للحارس الذي كان يمسكني: "اربط يديه جيدًا وأخرج الحراس الآخرين من الخيمة". ربط الحارس يدي بحبل ثقيل، ثم أشار للباقي أن يخرجوا ثم أوقفته تلك المرأة وقالت: "خذ هذا الصبي أيضًا".

صرخت قائلًا: "لا، اتركوه. إنه مجرد طفل صغير!"

اقتربت مني وقالت بصوت متهكم كالأفعى: "لا تقلق يا فتى، سأقول لك شيئًا مهمًا، ولا أريد أن يسمعه شقيقك".

وبعد لحظات كنتُ أنا وهي وحدنا. أنا جالسًا على الأرض وقدمي مُصابة غارقة في دمائي أثر إصابتي تلك، وهي واقفة أمامي غير مبالية إلا بالافتراء والكذب.

بعد لحظات من الصمت. قالت: "لديَّ خبرين لك، واحدٌ جيدٌ والآخر سيء. الأول هو أنني سأترك أخاك الصغير وأُعيده إلى عالمه. والسيء هو أنك ستموت غدًا، وهذه المرة لن تتمكن من الهرب".

اقتربت من أذني أكثر وقالت: "سأخبرك سرًا سيدفن معك غدًا. أنا من أمرت بخطفك أنت وشقيقك، وأنا من يريد أن يراك تتألم وتموت. ثم صمتت قليلًا وابتعدت عني، وقالت: "من اللحظة الحالية حتى الغد: لا تفعل شيئًا وأخضع، ولا تحاول الهرب. وإن فعلت شيئًا، أقسم بأن شقيقك سيدفع الثمن. لن يعود إلا عندما تعدم أنت، ويجب أن يراك تموت. وإن لم تستسلم، سأقتل أخاك أمام ناظريك في الحال وستموت بعدها أيضًا.

هذا هو الاتفاق: "روحك مقابل روح أخيك. فكر جيدًا."

كنت في حالة لا يُرث لها، كنت أتألم، لكن عندما قالت "قتل" وذلك الاتفاق العجيب، تهاوى كل شيء حتى لم أستطع البقاء جالسًا.

سقطت على جانبي في الأرض وقلت، والدموع تنهمر مني بغزارة: "لماذا؛ لا أفهم ماذا فعلت لكل هذا؟"

قالت: "ألم تحاول أن تكشف عالمنا؟ لا تتصنع البراءة يا فتى. كنت تقف عند حافة عالمنا كل يوم، وتأتي أمك خلفك تختبئ خلف الأشجار. لماذا؟ أيمكنك أن تخبرني؟ بالرغم من أنني حذرتك، إلا أنك أحمق ولم تكترث لتحذيري.

استمع، كل ما يهمنا هو زوجي العزيز، فبعد ما كانوا يسخرون منه، أصبح الآن يخشونه. أتعلم لماذا؟ لأنني ببساطة تعاملت معهم بأسلوبهم، اختطفتك أنت وشقيقك كتجربة ونجحت. فزوجي أصبح يهددهم باختطاف أبنائهم وبالطبع كل واحد منهم يخشى على عائلته.

عجيب أمركم أيها البشر تتحدون عندما تجدوا شيئًا ضعيفًا وتتصنعون الشرف والشجاعة حينها، وعندما تجدوا هذا الشيء أقوى منكم تكونوا جبناءً تتراجعون وتتفرّقون وكأن لا أحدًا منكم يعرف الآخر.

بالرغم من أنكم مسؤولون عن تحوّل ذلك الشيء. فمن الظالم إذا؟

أجبت بتعب: "هذا صحيح، ولكن ليس الجميع كما تقولين، هناك أشخاص صادقين حقًا".

قالت: "لا يهم إن كان الأغلب هكذا".

فقلت: "حتى لو أمي رأتك ولم تخبر أحدًا، أخبرتني سابقًا، لكني لم أصدق حتى رأيت ابنتك.. كنت سأكمل، لكنها قاطعتني.

وقالت: لا يهم، كما أخبرتك الأغلبية تحكم، تجعلنا لا نفرق بين أحد، لذا ستجري الأمور كما خطط لها".

واستطردت قائلة: "عندما أسترجع أخاك، سيكون الأمر مثيرًا، وسيخشون منّا للأبد، وليس كالسابق. خاصة وأن أخاك سيحكي لهم كل شيء، وهذا ما أريده."

حاولت أن أتحدث، لكني لم أستطع. أظن أنني فقدت الوعي.

استيقظت بعد أن شعرت بضوء أزرق شديد يكاد يفقدني بصري. حاولت فتح عيني لكني لم أستطع، فأغمضت عيني بقوة وهتفت: "أخي، أخي." لم يرد.

بعدما شعرت بأن تلك الإضاءة انخفضت تدريجيًا، فتحت عيني ببطء. وجدت نفسي في ذلك السجن مجددًا، لكن هذه المرة وحدي. نهضت وانطلقت نحو الباب بكل قوتي، لكنه مغلق. حاولت أن أقفز لأصل إلى تلك النافذة، وفشلت أيضًا.

صرخت ليسمعني أحد، لكن لا يوجد شيء،،

جلست مكاني أبكي، شعرت بأن قدمي تؤلمني. فتذكرت إصابتي. نظرت إلى قدمي وجدت أنهم عالجوها. تعجبت من أمرهم.

أين يمكن أن يكون أخي الآن، يا ترى؟

وهل سأموت حقًا؟ أظن أنني في تلك اللحظات كنت أعد الثواني، كنت أتمنى أن أكون في المنزل الآن مع أخوتي، نكون معًا كالسابق.

تذكرت والدي وأمانته لي بأن أحافظ على الأسرة، لكن من الواضح أنني وضعتهم على المحك. إن كان كل شيء سيحل بموتي، فليكن، ولكن لا أتمنى أن أرى أحدًا من أخوتي يتأذى.

أطلقت تنهيدة تنم عن الاستسلام، ونظرت إلى الضوء الذي يتسلل من النافذة. كرهت اللون الأزرق بكل أنواعه، كرهت التدخل فيما لا يعنيني. وقسمت أنني إذا نجوت من هنا، فلن أساعد أحدًا مهما حدث.

انتظرت مصيري فليس أمامي شيء سوى الانتظار يبدو أنني خضعت كما قالت تلك المرأة.

حتى بدأ الباب يصدر صريرًا وفُتح. كنت أظن أنها تلك المرأة، لكنها لم تكن هي، بل رجل كهل يبدو مثلي بشريًا. وبالرغم من أنه مها، إلا أنه بصحة جيدة. نظر لي دون حديث، ثم تقدم نحوي وقال: "ما بك يا فتى؟ أرى أمامي شخصًا ضعيفًا. ظننتك رجلاً مسؤولًا، وليس فتى مستسلم هكذا".

حاولت أن أنظر خلفه لربما أستطيع الهرب، لكن تذكرت تحذير تلك المرأة بأنني إذا فعلت شيئًا ستقتل أخي. فتراجعت، لا يمكنني المجازفة بحياة أخي.

يبدو أن الرجل لاحظ شرودي، فقال: "شقيقك بخير، لا تقلق، ستراه قبل موتك".

فانتبهت له وقلت: "كيف سأضمن أن شقيقي سيعود؟"

فرد: "ألم تخبرك زوجتي؟"

قلت بتعجب: "زوجتك؟!" وابتسمت بسخرية. "إذا أنت ذلك الرجل الذي حاولوا قتله، أنت وزوجتك. أليس كذلك؟ يا ليته حدث، لكان الجميع سعداء الآن".

فاقترب مني وقال، "ولكنه لم يحدث، اتعلم يا فتى أنا آسف لوجودك هنا، ربما لا يجب أن تكون هنا، حظك سيئ. لا أعلم لماذا ابنتي اختارتك أنت تحديدًا من البشر لتجري عليك تلك التجربة."

قلت: "أنت كاذب!"

فجلس أمامي وقال: "دعني أكمل، ربما عندما تجلس بمفردك تفهم لاحقًا.

المهم، قالت لي هلا يومًا أن البشر جبناء وما نحتاجه أن نجعل أحدهم عبرة حتى يخشون منّا للأبد وبصفتي كذلك صدقتها.

أي، نجرب تجربة وإن نجحت فأنت للأسف ضحيتها وان فشلت نآسف لك.

قالت لي: "أن نختطفك أنت وشقيقك ونعدمك أمام ناظريه ليعود لعالم البشر ويخبر الجميع بقصتك. إنها ذكية، أليس كذلك؟"

قلت: "أنت رجل كاذب، اخرج من هنا!"

رد قائلاً: "فكر بعقلك وستجد أنها هي من أوصلتك هنا. كما أن هروبك أيضًا من ذلك السجن كان من مخططها. أتعلم لماذا؟ لأن في الواقع لم يكن هناك سبب كافٍ لإعدامك، فذلك العالم يحكمه العدل، والأزرقيون اعترضوا على إعدامك دون سبب، بالرغم من العداوة بينهم وبين البشر."

واستطرد قائلاً: "وأنت لم تفعل شيئًا لتستحق الإعدام. مجرد وقوفك على حافة هذا العالم ليس كافيًا. لذلك، وضعنا تلك الفتاة المسكينة فخًا لك، وأنت وقعت فيه بسهولة. قتلك للفتاة هو الجريمة التي سيتم محاسبتك عليها. سيتم نشر الخبر ليس فقط هنا في عالمنا، ولكن أيضًا في عالم البشر. وبطبيعة الحال، البشر جبناء، سيتراجعون عن إيذائنا. وربما بعد موتك يا فتى، سنعيش أنا وزوجتي وهلا هناك في عالمكم ."

قلت له: "سأثبت لك أنك كاذب منذ اليوم الأول الذي أتيت فيه هنا. قالوا إنهم سيعدمونني، وليس كما قلت.

أنا لا أفهم لماذا كل هذا؟ وما ذنب الفتاة التي قتلتموها؟ أليست منكم؟!"

قال: "الخبر صدر من زوجتي والوزراء وليس عن الأزرقيون أنفسهم. هم اعترضوا وخشينا أن نفعل شيئًا ينقلب علينا ."

على أي حال، لا يهم الآن. ابق هنا ولا تفعل شيئًا تندم عليه لاحقًا."

وقف والتفت ليخرج، لكنه توقف عند الباب وقال: "نسيت أن أخبرك أن والدتك وخالد وسارة بخير، لا تقلق عليهم. أيضًا، يعلمون بأنك ستموت ليعود مارك." ثم ذهب.

جلست أنتظرُ لفترةٍ طويلةٍ، لا أعلم ماذا أفعل إن كنتُ بمفردي، لكنتُ فعلتُ شيئًا، لكنهم حمقى يُزعجونني بأخي.

خلال تلك الفترة الطويلة، لم أكن أدرك كم مضى من الوقت، حتى شعرت ببطء تسلل الشروق عبر النافذة. ذلك المنظر الذي أعادني طفلاً ينتظر بزوغ السماء مع تداعب الهواء العليل الملامس لوجهي، حقًا أذهلني جمال المنظر. كان المشهد هادئًا وخلابًا، حيث يعم السلام ، تميل السماء إلى الزرقة تدريجيًا كلما مر الوقت.

كنتُ أراقب هذا المنظر بكثب، فكان رائعًا لدرجة تجعلك تنسى كل ما يحدث حولك، وتتمنى أن تعيش في هذا السلام المطلق، بعيدًا عن أي ضجيج أو انتقام أو شر. وتتساءل لماذا الأرض والسماء عكس بعض دائمًا، فبينما الأرض مليئة بالكائنات المجرمة والبشر الذين يتحاربون بلا هوادة، تبدو السماء هناك ساحة للهدوء والسكينة.

لذا، تمنيتُ لو أنني نجمٌ في السماء، أو قمر يزين تلك البقعة بأنواره اللامعة بعيدًا عن ضوضاء العالم بأسره.

حتى سمعت صوتًا في الخارج يقول "حان الوقت".

المحاكمة

"حان الوقت"

بعد تلك الجملة، وقفت وكأنني منتظر الحرس ليؤخذوني لينفذوا الحكم الباطل. وبالفعل، بدأ مفتاح ذلك السجن يصدر صريرًا معلنًا عن نهاية حياتي.

وفتح الباب ببطء. خلفه كان رجلان ضخمان وبدأوا بربطي بسلاسل ثقيلة حول قدمي ويدي، وكأنني عبد. ثم وضعوا شيئًا على عيني يحجب رؤيتي.

أشعر أنهم أخرجوني ببطء شديد من ذلك السجن، لا أعلم إلى أين. وجودي أيضًا في ذلك المكان غريبًا، فلا يوجد شيء مهم الآن. فحياتي انتهت.

وفجأة توقف الرجلان، وأنا أيضًا معهم. شعرت أن الهواء اشتد وكأنني واقف على رمال. اعتقد أنني في صحراء. وبالفعل، رفع الرجل تلك العصابة عن عيني، وأصبحت الرؤية تتضح أمامي شيئاً فشيئًا. كنت حقًا في الصحراء كما ظننت،

لكن هذه المرة كان هناك مجموعة كبيرة من الأشخاص. أعني أولئك الغرباء ملتفين بانتظام حولي، وأنا واقف في المنتصف. التفتت وكان عددهم كبيرًا، أعتقد أنهم الشعب كله، ومع ذلك كانوا جالسين ملتفين حولي على بعد محدد، وكأنهم تلاميذ، لا يصدر صوت ولا أي شيء، حتى الأطفال منهم صامتون.

بينما أنا شارد في ذلك المنظر، سمعت صوت المرأة مجددًا تقول بصوتٍ مرتفع: "قد حان الوقت، أيها الأزرقين الأعزاء".

التفتُ إلى مصدر الصوت ووجدتها جالسة في المنتصف، وبجانبها ذلك الرجل البشري زوجها. وأيضًا على الجانب الآخر رجل لا أعرفه، لكنه من هذا العالم.

وتابعتُ: ذلك البشري قد أراد أن يكشفنا كما تعلمون ورأيتموه بأنفسكم عند حافة عالمنا، لكننا تمكنا منه قبل فعله ولم ينتهِ الأمر عند هذا الحد، بل أراد الهروب ونجح في ذلك بمساعدة الفتاة ثم قتلها بعد ذلك.

وهذا دليل صريح على نيته تجاهنا وبحسب أعرافنا، كان قد صدر حكم ضده بالإعدام. ولكن عندما ارتكب جريمة شنيعة أخرى علناً وهي قتل فتاة من عالمنا، فواجب أن ينتقم والدها منه وهو من سينفذ الحكم، ولن يعدم ذلك البشري بل سيقتله والد الفتاة بنفس الطريقة التي قتل بها ابنته هنا أمام الجميع.

ثم جلستُ وبدأ أولئك الملتفين حولي يتهامسون فيما بينهم وصوتهم يرتفع أكثر فأكثر.

في النهاية، وقف رجلاً منهم، أظنه في الثلاثينات من عمره، عندما وقف، أشارت تلك المرأة للجميع أن يصمتوا وبالفعل عاد الهدوء يعم المكان.

قالت له: "ما الأمر؟ ألديك اعتراض على الحكم؟"

قال: "لا، ليس الحكم ولكن هناك أسئلة أريد أن أعرف إجابتها فقط". فقالت له: "وما هي؟"

قال: "أولاً، قلتي بأن ذلك البشري أراد كشف عالمنا باعتباره يقف عند نهاية عالمنا كل يوم، بالرغم من أنه لم يفعل شيئًا يدل على ذلك. قد يكون رأي شيئًا عجيبًا. فأراد أن يستكشفه لنفسه فقط، دون ضرر لنا، كفضول البشريين كما نعلم. وإلا كان أفصح عنا من ثاني يوم.

الفضول فطرة لديهم كما أن التشكيك في نيته لا يستوجب حكمًا بموته إلى هذا الحد".

فقالت: "قبل أن تكمل، أريد أن أوضح شيئًا. ذلك البشري عندما كان يأتي، كانت خلفه والدته تراقبه. ألا تظن أن هذا كافٍ لنيته السيئة تجاهنا؟"

رد الرجل. "وكيف نعلم بأنه يعلم أن أحدًا يراقبه؟ كما قلت سابقًا، مجرد التشكيك في نيته لا يستدعي حكمًا بإعدامه".

فبدأ الجالسون ينظرون لي ويتهامسون بأصوات منخفضة، وبدأت أرى وجوهًا تتعاطف معي وأُخرى تريد قتلي في الحال، لكن وجود من يتعاطف معي في هذا العالم وأنا وحيد، أمر عجيب.

عادت المرأة تسأل بعد أن بدأ التوتر يتمكن منها وحاولت أن تبين أنها واثقة وقالت: "وماذا عن الجريمة الأخرى؟ هناك ضحية فتاة من عالمنا قتلت على يد ذلك البشري الذي تدافع عنه؟"

رد الرجل بثقة وقال: "أنا لا أعرفه حتى لأدافع عنه، بل أريد العدالة كما يريدها الأزرقيون هنا، وأيضًا حق الفتاة التي قتلت على يد أحدٍ منا."

عادت الأصوات تعلو مجددًا والوجوه من حولي متعجبة، وقفت المرأة بغضب وقالت: "ماذا تعني بأحدٍ منا؟"

قال الرجل: "أعني أننا لم نر الفتى يقتل أحدًا، كما أنه كما قلتي هي من هربت، فما الفائدة من أن يُقتلها؟"

قالت بتوتر: "لا نعرف، ولكن ذهبنا نتبع أثار هروبهم وتوصلنا إلى أعالي الجبال ووجدنا مخيمين، أحدهما وجدنا فيه الفتاة المقتولة وبجانبها الفتى، كانت يده على رقبتها، هل تريد أكثر من هذا دليلاً؟"

فسأل الرجل: "ومن رأى هذا غيرك؟"

قالت: "بعض الحراس الذين دخلوا معي ونادت علي أحدهم، فجلس أمامها وقال شيئًا والتفت باتجاهي وقال بصوت مرتفع: نعم، وجدنا الفتى داخل المخيم وبجواره الفتاة مقتولة"، ثم التفت وعاد مكانه.

واكملت تلك المرأة حديثها بثقة وقالت: "هل هناك شيء آخر؟" فصمت الرجل ونظر إلى الأسفل.

فوقفت، سيدي، أخرى طاعنة في السن، فأشارت المرأة للرجل أن يجلس، وأشارت للعجوز أن تتحدث.

فقالت: "كما تعلمون أنني عشتُ لفترةٍ ليست بقصيرة في عالم البشر، كما أنني أعلم بعض الأشياء الطبية بحكم أنني كنت زوجةَ طبيبٍ بشري. كل ما سأقوله الآن هو لتحقيق العدالة، مثلكم تمامًا، حتى لو ليس منا. فيكفي أنه روحٌ مثلنا وأن الحياة للجميع."

ونظرت لي وقالت: "أيها الشاب، كيف كان وضعُ يدك على الفتاة؟"

بالطبع، كنتُ مقيدًا ولم استطع تحريك يدي. فتابعت السيدة: "أنه مقيد، لا بأس."

أين ذلك الحارس الذي دخل معكِ، كما قلتِ؟ فوقف وقال: "أنا يا سيدتي."

فقالت: "أرني أين كان الشاب واضعًا يده." فأشار عند رقبته.

فقالت: "كما ترون، أيها الأزرقيون، هذه الحركة تعني أنه يريد أن يعلم أن كانت الفتاة حيةً أم لا، ولا تعني قتلها على الإطلاق."

فعادت المرأة وقالت بسخرية: "وما الدليل على ذلك؟ أيًا منا يستطيع قول ذلك؟ هذا لا يعتبر دليلاً."

فرددت السيدة: "يمكنكِ إرسال أحدٍ ليرى كيف يتأكدون من موت البشر، هذه طريقتهم وهي صحيحة."

هراء!

ذلك كان صوتًا لأحدِ الجالسين، وقفَ وقال: "تسمحي لي، يا سيدتي، أن أقول رأيي."

فأومأت المرأة برأسها وإشارةً للعجوز أن تجلس، لكنها ظلت واقفة.

فقال ذلك الفتى، على ما أعتقد، إنه صغيرٌ، أظنها في الرابعة عشرَ من عمره.

قال: "ذلك بشري، ورأيناه جميعًا وهو يحومُ في نهايةِ عالمنا وخلفه امرأةٌ تراقبه. لا أفهم لماذا حتى الآن لا يعدمُ وكل هذه الدلائل واضحة.

أنا لا أريدُ أن يُقتلَ أحدٌ منا على يد بشري، يكفي ما حدث.

فابتسمت المرأة وقالت: "رائع يا فتى، إنك تخشى على عالمنا أكثر من أجداد هذا العالم. أنا فخورة بك." وأشارت له أن يجلس.

ثم قالت: "ها نحن ذا قد صدر الحكم، ولكنني قررت أن أستمع إلى آرائكم حول هذا البشري. والآن سينفذ الحكم."

صاحت المرأة العجوز وقالت: "لكني لم أنتهي بعد."

فردت المرأة بغطرسة: "وما الفائدة؟ الحكم قد اتخذ، أردت فقط أن تتحقق العدالة واستمع لكم ليس إلا."

فقالت المرأة العجوز، وكانت قد تبدلت ملامحها إلى الصرامة: "لكن أنا لدي الدليل الذي يقول إن أحدًا آخر قد قتل الفتاة المسكينة لقتل ذلك الشاب ظلمًا."

خالد

كنتُ أسير في طرقات لا أعلم أي وجه أستمر. في تلك الأثناء، كنتُ غارقًا في التفكير بسبب قرار أمي العجيب وموافقتها على أن يعود مارك مقابل حياة إيثان.

حتى بعد رحيل ذلك العجوز، قالت لي أن أبتعد وإلا سيقتلونني أيضًا.

كنتُ مصدومًا عندما أخبرتني أمي أن مالك يستحق ذلك وأن ذلك الفضول اللعين سينهي حياته.

وتابعت: "رأيته في الأيام الأخيرة يعود متأخرًا على غير العادة، وعندما راقبته وجدته حقًا يراقب عالمهم. كنتُ سأخبره في تلك الليلة أن ما يفعله خطير، لكن فات الأوان. لم أتوقع أن يصل الأمر إلى هذا الحد.

كما أنه أهمل الأرض وأصبح تفكيره في الفتاة وذلك العالم الذي لا أعلم من أين علم بأمره.

هذا بالطبع لم يكن جيدًا له ولنا، لذا يجب أن يُعاقَب على فعلته ويعود حمزة".

قلتُ لأمي متعجبًا: "أتعني ما تقولينه حقًا؟"

نظرت لي وقالت: "احزم أمتعتك، سنذهب إلى القاهرة عندما يعود مارك".

صرختُ في أمي: "أتعني ما تقولينه؟! تتركين إيثان وتعلمين أنه سيموت.. أمي، هل هناك شيء تفكرين فيه وتريدين مني أن أبتعد؟ صحيح؟" لم ترد، بل نادت لسارة وأخبرتها أن تحزم أغراضها هي وحمزة للمغادرة عند عودته.

وقالت: "لا أريد حديثًا آخر، مالك قد انتهى"، وتجاهلتني تمامًا. ثم عادت لي بعد بضعة دقائق وقالت: "ابحث عن بائعين للمنزل والمزرعة".

استفققتُ من شرودي عندما صرخ طفل يقول بتلعثم: "رأيتها، رأيتها مجددًا".

فالتفتُ إلى ما يشير إليه، كان هناك شخص يرتدي ملابس غريبة ووجهه غير واضح، التفت الناس مثلي وانتبهوا لذلك الغريب.

يبدو أن الغريب خشي مننا وخاصةً أن الجميع يحدق به، فهرب مسرعًا. ذهبتُ خلفه بسرعة، كان يرتدي ملابسًا أيضًا غير مألوفة بالنسبة لهنا. ولحسن الحظ، كانت الملابس كبيرة عليه لدرجة سقوطه عدة مرات، حتى قلت له: "تمهَّل، دعني أساعدك".

عندما لم يتوقف، قلت بصوتٍ عالٍ: "دعني أساعدك، لن أؤذيك". التفت أخيرًا ورفع رأسه، نظر إليَّ واتضح أنها فتاة.

عندما رأيتها، كان لديها عينان زرقاوان متسعتان وهذا ما جعل الشك يزداد. أظن أنها منهم، لكن لماذا أتت هنا؟ كان الشارع هادئًا، لطالما كان هادئًا، ولكن أيضًا كان هناك أشخاص يسيرون، ولكنهم قلائل. فاقترحت عليها أن تأتي إلى المنزل لتكون في أمان، واقتربت منها أكثر حتى قلت لها بصوتٍ منخفض: "هيا، وإلا سيراك أحد".

كان الناس ينظرون إليها، هم لم يرها ملامحها، ولكن ملابسها كفيلة بأنها غريبة الأطوار. فأخذتها إلى المنزل.

عند دخولنا، كان المنزل ساكنًا، لكن هناك أغراض كثيرة مبعثرة في كل الأنحاء. قلت بهدوء: "تفضلي". وأغلقت الباب خلفها.

وناديت سارة فجاءت لي وهي تمسح دموعها.

أخبرتها أن تهدأ وقلت بثقة: "لا تقلقي، سيعودون الليلة".

في قرارة نفسي عندما رأيتها أول مرة بل من تلك الملابس علمت بأنها منهم.

نظرت الفتاة لي بترقب وقالت: "جئتم لهنا لتتمكنوا من إنقاذ مالك فهو على وشك تنفيذ الحكم."

جاءت أمي في تلك اللحظة وسألت الفتاة: "كيف نصل إلى هناك؟" قالت الفتاة: "عبر الأرض المجاورة لمزرعتكم، ولكن يجب أن أكون معكم حتى تفتحوا أبواب عالمنا."

قلت: "هيا إذا." فأوقفتني الفتاة وقالت: "لا، ليس الأمر بهذه السهولة، إنهم كثر هناك، وإذا دخلتم هكذا لن يكون جيدا."

فقالت سارة، موجهة حديثها للفتاة: "ماذا نفعل إذا؟" قالت الفتاة: "لا أعلم، أنا أخبرتكم وآمل أن تتمكنوا من إنقاذه."

أخذت أسير ذهابًا وإيابًا لأجد حلا وسطياً. فقالت أمي: "اسمعوني جيدًا، أنت وسارة سوف تغادرون إلى القاهرة، وأنا والفتاة سنذهب هناك."

كنت سأتحدث لكن أمي أشارت بأن أصمت وتابعت: "أنا سوف أتفاهم معهم، لطالما سمعت عنهم أنهم يتمتعون بالعدل." وكل هذا حدث بسوء فهم، سأشرح لهم. قلت لأمي بتعجب: "ماذا تقولين عن العدل؟ أي عدل هذا الذي يعدمون فيه أشخاصًا

أبرياء؟" ونظرت للفتاة وقلت: "كما أن ذلك الرجل قال إن ابنته أوقعت مالك في الفخ، وها هي أمامنا، ألا نستغلها مثلما فعلوا معنا ونعيدهم." ردت أمي قائلة: "العنف سيولد عنفًا، كما أن الفتاة أتت إلينا."

عند ذهابنا، كان الجميع يحدق بنا على الرغم من أن الفتاة كانت قد استعارت ملابس أختي، ولكن يبدو أنهم علموا بأمرها. عند وصولنا إلى المزرعة، بدأت الفتاة تتقدم أمامنا وتحذرني أن نكون هادئين مهما حدث. ثم حدث ضجيج مفاجئ ومزعج لدرجة شعرت فيها أنه سيقتلعني من جذوري.

ومع ذلك، وسط هذا الضجيج، انتشرت أضواء زرقاء قوية في المكان. بعد لحظات، بدأ الصوت والضوء يتلاشيان ولكن لم يبقَ شيء حولنا، لقد اختفت المزرعة وحتى المكان المظلم الذي كنا فيه. تحول المكان إلى مكان صاخب جدًا، وكان هناك الكثير من الفتيات اللاتي يشبهن الفتاة، حتى أنني كنت سعيدًا بأن الفتاة قد غيرت ثيابها، وإلا كانت ستضيع من بيننا الآن. كان الجميع ينظر إلينا كأننا الغرباء بدلاً من أننا الطبيعيون. حاولت تجاهل كل شيء والذهاب بأقصى ما يمكن لرؤية اخواتي.

والعودة إلى الوطن بأمان. كان المكان يشبه الصحراء عندما دخلنا، وكان هناك الكثير من الناس يرتدون نفس الملابس وتتشابه ملامحهم.

كلما تقدمنا، وجدنا منازل من أحجار كبيرة مرتبة بشكل عشوائي، ظننتُ أنهم سرقوا أحجار الفراعنة، وأيضاً حواري صغيرة تجعلك وكأنك دخلت متاهة لا نهاية لها.

ثم أخيراً خرجنا من ذلك المكان كله وعدنا إلى الصحراء مجددًا، لكنها هذه المرة كانت هادئة وفارغة كما نعرفها عادةً.

لكن في الأمام، كان هناك كما يبدو اجتماع كبير. كان علي بعد ميل منا في الصحراء حشدٌ كبيرٌ من الناس على شكل دائرة عندما اقتربنا منهم. حذرتنا الفتاة أن نحترم الموجودين حتى نستدرج عطفهم، وأيضًا التفتت إليّ وتابعت: "أنت تحديدًا، تحكم في أعصابك والا سنموت جميعًا هنا.

سنضع الدليل وسيكون العدل النتيجة، واعلم أن الأزرقيون هنا لا يمكن أن يوافقوا على إعدام أحدٍ دون ذنب، حتى لو كان منكم." وتقدمت مجددًا حتى بدأ الجالسون يلتفون لنا، وبدأت أرى أخي في المنتصف مكبلًا كمجرم هارب وحالته صعبة جدًا. حاولتُ أن أرى حمزة لكنه غير موجود.

جاءت امرأةٌ إلى الفتاة وصفعتها بقوة، حتى بدأت الضوضاء تعلو من الجالسين بقوة، وبدأ كأن حربًا ستحدث الآن.

فتاة العالم الاخر

قبل يوم واحد،،

استفقتُ على صوت أبي وأمي وهما يتجادلان. كنتُ في غرفتي والباب شبه مفتوح، فاقتربتُ لأنصت إلى ماذا يقولون وليتني ما فعلت.

أبي يقول: "ها هو الفتى هنا، لم لا نقضي عليه لينتهي الأمر؟" ردت أمي: "بالطبع لا، هذه الفرصة لن تتكرر، فقط افعل ما طلبته منك، وغدًا سيخشاك البشر، ومن الممكن بعد نجاح الخطة أن نحتل عالمهم. ولكن دعنا لا نتصرف على هذا النحو الآن، كل شيء في الوقت المحدد".

انتظرت ردًا من أبي، لكنه لم يجب. بل خرج من المنزل بعدما سمعت صوت ارتطام الباب. ذهبت مسرعة لأتظاهر بالنوم، وبالفعل فتحت أمي الباب قليلاً ومن ثم خرجت من المنزل أيضًا، بعدما تأكدت من خروجهما. أسرعت للخروج، ولكنهم أغلقوا الباب. حاولت بشتى الطرق فتحه، لكنه ضخم ومستحيل أن يفتح. حاولت أن أجد أي مفر، ولكني لم أجد. انتظرت أن يأتي أحدهم، أيًا كان، سأضربه على رأسه لأستطيع الهرب. وبعد بضع ساعات، سمعت صوتًا يقترب، فهبت ووقفت وراء الباب، مع عصا في يدي، حتى بدأ يفتح. لم أنتظر حتى أسقط العصا على رأس من دخل، إلا أنها كانت أمي، ففقدت وعيها في الحال.

أدخلتها للمنزل ثم هربت مسرعة إلى عالم البشر، وتحديدًا منزل الفتى، لأخبر عائلته بخطورة الأمر. فأنا وحدي لا أستطيع فعل شيء.

بعد وصولي، كنت قد نسيت أن أرتدي كما يرتدي البشر، فحاولت أن أخبئ نفسي قدر استطاعتي. ومن شدة قلقي دخلت في طرقات لم أرها من قبل، ويبدو أنني تهت. حتى سمعت صوتًا مألوفًا بالنسبة لي، صبي صغير يقول: "رأيتها، رأيتها مجددًا".

فذهبتُ إلى أي مكان لأختبئ، وخاصةً أن الجميع انتبه إلى وجودي بعد صراخ الصبي.

حتى دخلت طريقًا صغيرًا شبه فارغًا وأخذت أتنفس الصعداء حتى سمعت صوتًا جهوريًا من خلفي يقول: "أن رآك بشرًا هنا سيقتلك، دعني أساعدك، لن أؤذيك".

ذلك الصوت أعتقد أنني قد سمعته سابقًا وذلك الحديث أراحني بعض الشيء. فالتفت والقلق انتابني ورفعت رأسي لأجد شقيق الفتى الأوسط الذي كنت قد عرفته سابقًا عندما كنت أراقب المنزل، بل وحتى جيرانهم.

لذا هدأتُ من روعي ومن ثم اقترب مني وقال لنذهب للمنزل فهو أكثر أمانًا من هنا. فأومأت برأسي وذهبنا إلى المنزل كما أرددتُ منذ خروجي من عالمي.

كنتُ قلقة ولكن الوقت لم يتيح لي عقلاً لأفكر بها. أخبرتهم بكل شيء عدا جزء احتلال عالمهم وذهبت معهم. وكنتُ قد نويتُ أن أخبر الأزرقيون في المحاكمة بالقصة كلها وقد فعلت.

لم أبالي بأبي ولا حتى أمي اللذين علماني العدل ولكنهم ليسوا بعادلين. لم أكن أدرك حقيقة أمي وأبي سوى تلك الليلة. فكل ما فعلته كان دون تفكير. أردتُ فقط إنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل أن يموت الفتى وتندلع الحرب بين العالمين. الآن أظن أنني في نهاية المطاف، صفعتني أمي بقوة لأنها أدركت لماذا عدت.

بعدما قلت كل شيء، كان الجميع مستاءً.

بالطبع، كيف لا وكانوا مخدوعين طوال الوقت؟ ظللت على موقفي بقوة حتى أتى الفتى بعدما فكوا قيده وسأل أمي وعاد ليسألني، لكن في تلك اللحظة بكيت وأخبرته بأنني لم أعلم أين مكان أخيه، ظننته معه.. وبعدها غادرنا برفقة الحراس وأخذوني بقوة، وبدأ الجميع يحدق بنا كمجرمين، حتى أن أحدهم رفع حجرًا وضربه في وجه أمي فنزفت، ولكنها أصرت أنها لم تتأثر.

كنا مهانين حتى وصلنا صومعة العزل، وكنت لأول مرة في حياتي أدخل مثل ذلك المكان، ثم فكوا قيدنا الحراس وتركونا.. أمي لم تتحدث معي، حتى أنا لم أستطع رفع وجهي لها.

بعد دقائق حاولت أن أقطع الصمت وسألت أمي بتردد: أين الصبي الصغير؟ لم تجب .. حتى في تلك اللحظة فتح الباب مجددًا وهذه المرة دخل قائد الحراس وقال موجهًا حديثه إلى أمي: "جاء أحدهم يريد أن يخبرك بشيء ما".

تعجبت وبعدها دخل رجل من الأزرقيون لم أره من قبل وهمس لأمي بشيء ما وخرج وأمي ابتسمت في الحال.

سألت أمي مجددًا: من هذا وماذا قال لك حتى تبتسمي هكذا في مثل هذا الظرف؟

نظرت لي بهدوء وهذه المرة رددت وقالت: "ستعرفين عما قريب، فلا تتعجلي. ونهضت واقتربت مني وتابعت قائلة: "صحيح أن الأزرقيون هنا طيبون مثلك ولكنهم في النهاية سيعتدون على ذلك، فأنا عشت خارج هذا العالم كثيرًا من السنين وأعلم جيدًا كيف تعاش الحياة. لولا البشر، ما تعلمت مثل تلك الأمور.

في السابق قلت لك أن تبتعدي والآن فعلت أكثر مما ينبغي لكنك تماديت وتنتظرين أجلك يحين. أما عن الفتى الذي حاولت مرارًا وتكرارًا إنقاذه، فلا تقلقي، سيلحق بك. أما أنا، سأحتل عالم البشر، فأظن أنه يشبهني كثيرًا.

وضحكت واستكملت، ليس بالشكل بالطبع، ولكن أعني الطباع. هم سيحبونني بالتأكيد لاحقًا، لأننا متشابهون. هل تعتقدين، يا أمي، حقًا أن الأزرقيون سيتغاضون عما فعلت وسيساعدونك في تحطيم عالم البشر؟ أنا مذهولة حقًا، كنتُ أظنّك ملاكًا، ولكن اليوم أدركتُ أنك بارعة في التمثيل، استطعتِ أن تخدعيني ليس فقط أنا، بل جميع الأزرقيين أيضًا.

ردت أمي بغضب: "خطأ! ما تقولينه خطأ! أنا لم أؤذِ أحدًا قط، وكنتِ ملاكًا.

لم أكن أعلم معنى الظلم والاضطهاد إلا عندما خرجت إلى العوالم الأخرى."

واستطردت قائلة: "كنتُ فتاةً صغيرةً مثلك. ثرثارةً، لم يهدأ لي بالٌ إلا وقد زرتُ كل عالمٍ من عوالم المخلوقات.

أتذكر جيدًا يوم ذهابي للمحيطات، ورأيتُ جمالًا ليس له مثيل قط، سماءً هادئةً طوال الوقت وسلامًا في الأرض. وكان صوت الطيور كأنها تغني على الألحان مع الهواء النقي الذي يداعب وجهك في لحظات متفارقة، ولم يكن هناك صخبٌ، بل مكانًا للاسترخاء وبعيدًا كل البعد عن ضوضاء الحياة.

كانت تلك أول ليالي لي هناك، حتى قررتُ البقاء وأخبرتُ والدتي بالأمر. وبالطبع، كان جوابها الرفض.

ولكن كنتُ عنيدةً مثلك تمامًا، فذهبتُ بالسر ليلاً حتى علمتُ الطريق ورحلتُ.
جلستُ هناك بضعة أيام، حتى جاء يومٌ وتحول كل شيء.

السماء غائمة كأنها غير متصالحة مع الأرض، والمحيط أصبح مائه غائرًا، كأنه لم يعد يطيق يومًا آخر على الأرض. ووجدتُ العصافير تحلق كالعادة، لكن ذلك اليوم وجدتها واقفةً على جسمٍ كبيرٍ. علمتُ ذلك مؤخرًا.

كان حوت كبيرًا جدًا يا عزيزتي ولكنه كان ميتًا. لم أنتبه عند البداية وحاولت النزول إلى البحر في ذلك التوقيت. ثم رأيت جسد الحوت يتحرك بقوة وأصابني الذعر، حاولت العودة بأسرع ما يمكنني.

وفي تلك اللحظة، كان هناك قرش يطاردني، اسمها قرش وهو أصغر حجمًا ولكنه شرس. يأكل الحيوانات ليقتلها، ثم يتركها. علمت هذا لاحقًا من والدي.

رأيت أيضًا كمية كبيرة من الأسماك الصغيرة التي تأكل بعضها البعض. منذ ذلك الحين، أدركت أن هناك قانونًا واحدًا في الحياة، وهو قانون القوة. وهذا هو ما أفعله اليوم مع البشر، يا عزيزتي. البشر أكثر خطورة من القرش وتلك الأسماك. الجميع يعلم أن القرش أو أي كائن آخر يبحث عن فريسته ليصطادها وهذا هو هدفه الواضح للجميع.

أما البشر فيملكون طرقًا ملتوية يجعلونك تعاني ببطء. يمكن أن تقول أنها "موت بالبطيء".

كما تعلمين، عانيت من الظلم لسنوات عديدة، ولم أكن أتوقع أبدًا أن أقتل حشرة. ولكن بعد ما رأيته بعيني من البشر والمحيطات والغابات، أدركت أن الجميع يحاربون بالقوة ومن يضعف فإن وجوده يصبح لا قيمة له ويعاني وحده فقط ولن يكترث لأمره أحد.

رددت وقلت: "هذا تبرير لمحاولة إخفاء ضميرك ولكن ليس الجميع مثل بعضهم وإن كنت تريدين الانضمام لتلك الأمثلة السيئة فأنت تشاركين معهم بلا داعٍ، يا أمي. أنا لست مثلك، أنا رأيت طيبين، فأنا أيضًا كما تعلمين قد غادرت سابقًا لعوالم أخرى ولن أنكر أنني شاهدت ما ذكرته يحدث، ولكن هناك أيضًا ما عكس ذلك. هناك أقوياء أيضًا يستخدمون قوتهم لحماية الضعفاء والمساكين، وهناك مسؤولون عن جيل قادم يضحون من أجلهم بكل شيء، حتى وإن كان على حساب أنفسهم. هذا أيضًا ما شاهدته. الحقيقة الشائعة الآن أن القوي السيء يغلب الضعيف المسكين بكل سهولة بلا ضمير، وهناك آخرون يرتعدون رعبًا منه، وهذا ما يرغبون فيه الظالمين منذ البداية، ولكن في النهاية ينتصرون.

في الواقع، غالبًا تكون النهايات في صالح الضعيف انتصار بعد صبر ومجاهدة وعدم استسلام لأولئك الظالمين. لو كان الضعفاء مستسلمون منذ قديم الأزل لما كنا هنا اليوم نعيش".

قالت أمي بغطرسة: "تلك روايات وقصص لا أساس لها. في النهاية سنعرف من سينتصر". وهكذا كان آخر حديث أمي معي، ولم أعرف بعد ما يدور في عقلها من أفكار.

الفصل الخامس

بعد قول تلك العجوز مباشرة، رأيت أشخاصًا قادمين، لم تتضح الرؤية لي صراحة، ولكن أعتقد أن هذا هو الدليل الذي تتحدث عنه المرأة العجوز. أياً كان ما يحدث، أتمنى أن أنجو بحياتي وأن يكون شقيقي بخير.

بدأ القلق يتضح على وجه الرجل وزوجته، حتى أن بعض الجالسين شعروا بوجود شيء ما مريب يحدث هنا. ثم رأيت تلك المرأة المريبة تتجه نحو الأشخاص القادمين، وصفعت فتاة كانت معهم وحاولت بجهد أن أرى من هم أولئك الأشخاص، لكن الشمس كانت في الذروة والرمال ساخنة إلى حد يفقد المرء صوابه، فلم أعد أستطيع الصمود.

كنت جالسًا على ركبتي لأخفف الآلام من حرارة الشمس الحارقة. لكن رأيتهم يتحدثون وبدأ الصوت يرتفع، فأدركت أن إحدى الأصوات مألوفة بالنسبة لي: "خالد؟".

بدا وكأن الطمأنينة والسكينة تتسرب إلى قلبي، فأهلي سينقذونني حتمًا. بدأت أستعيد قوتي وأحاول الوقوف قدر استطاعتي، أريد رؤية مارك أيضًا، فهو مختفي منذ ليلة المخيم ومفترض أن يكون هنا الآن.

جاء والد فتاة المخيم وجلس أمامي وقال: "ستموت، وإن لم يكن اليوم ففي أحد الأيام، وإن لم تكن أنت فأعدك بأن أحدًا من عائلتك سوف يموت.

قلت: "لست أنا يا رجل من قتل ابنتك بل الجالسين بجانبك هم من فعلوا."

فرد وقال: "كاذب". وبحركة مفاجئة، وجدته ممسكًا بحبل غليظ ولفه حول عنقي وبدأ يخنقني بقوة حتى أصبحت أنفاسي لاهثة. حتى أتى أحد وقام بضربه بقوة على مؤخرة رأسه وفقد وعيه فوراً.

أخذت أنفاسي بطريقة عشوائية. كنت سأموت لولا وجود أخي في تلك اللحظة. ولكن بعض الحراس أمسكوه أيضًا وانهالوا عليه بالضرب المبرح.

أصبح مكبلًا بجانبي، لا أعرف لماذا وهؤلاء الأشخاص جالسون لم يفعلوا شيئًا حتى الآن. لطالما أمرهم عجيبًا حقًا.

سألت أخي: "أنت بخير؟" فقال بأنفاس متقطعة: "نعم".

فقلت: "أنا آسف، أنا من أقحمتكم هنا."

عاودت المرأة العجوز للتحدث مجددًا وقالت: "ها، قد رأيتم بأنفسكم، أراد الرجل قتل الفتى غدرًا دون صدور تنفيذ القرار بعد.

في أي عالم نحن؟ ألم نكن نتفاخر بالعدل والإحسان؟ على أي حال، لا يهم.

فالحقيقة ستتجلى الآن." والتفتت لتلك الفتاة وقالت: "هلا، ابنة القائدة، ها هي التي ستخبرني من المجرم. باعتبارها كانت في المخيم تلك الليلة، بل ستروي ما حدث بالتفصيل، وبعدها سنعرف ما سيحدث.

عند سماعي اسم هلا، شعرتُ بأن ضربات قلبي تزداد حتى بدأت تلك الفتاة تتقدم بالقرب مني وقالت هامسة: "لا تقلق، ستخرج بعد قليل."

وعادت حيث والدتها والتفتت لها وقالت شيئًا ما، ثم عادت لتتحدث إلى الجالسين.

روت كل شيء منذ مجيئها إلى المزرعة حتى المخيم، وكيف حاولت والدتها دائمًا أن تخفيها مخافة أن تقع أسيرة، وأخبرتهم بخطف أخي أثناء الليل ليوقعوا بي، وأيضًا عن محاولة هروبي بمساعدتها.

كنت حقًا مشدوهة كيف يتجرأ المرء وأن يفشي أسرارًا تكاد تودي بالعائلة إلى التهلكة، خاصة في ذلك العالم الغريب.

بعدما انتهت، صاحت والدتها بقلق: "لا، هذا غير صحيح."

فوقف أحدهم من الخلف وقال: "لطالما شككنا أنك أنتِ التي ستنهي عالمنا، أنتِ وزوجك ذلك."

يجب محاكمتكم جميعًا. "أمثالكم سيشعلون حربًا ويموت فيها المئات بسبب الطمع اللعين."

ووقف آخر وقال: "أجل"، وبدأت الأجواء تزداد توترًا.

الجميع أصبح ضد العائلة، حتى الفتاة أيضًا ستهلك معهم. جاء أحدهم وحاول فك قيدي أنا وأخي وآخرون جاءوا للمساعدة، ولكني كان انتباهي كله صوب الفتاة المسكينة حتى أفقت من شرودي على عناق حار من أمي، فطمأنتني. ثم سألتها عن حمزة، لكنها أخبرتني بأنها لا تعرف بعد.

ذهب أخي لذلك الرجل بغضب، لكنه لم يجده. حاولت البحث بعيني عن ذلك الرجل وسط ذلك الحشد. فقد امسكوا بالمرأة والفتاة معًا.

لكنه اختفى، ولم أجده. فذهبت أنا وأمي محاولين أن نتجاوز أولئك الأشخاص، حتى وصلنا أمام تلك المرأة، والآن هي المكبلة.

نظرت لي تلك النظرة مجددًا، فارتعدت في مكاني. لا أعلم لماذا حتى الآن أخشى منها، على الرغم من كونها الأسيرة، على أي حال. سألتها عن أخي، لم ترد.

فاقتربت أكثر وصرخت بصوتٍ مرتفع حتى يصمت الجميع، وقلت: "توقفوا... أريد أن أسألها عن أخي فقط، وبعدها سنعود لعالمنا، رجاءً دعونا نجد أخي أولًا، وبعدها افعلوا فيها ما شئتم."

عم الصمت في المكان، وسألتها أمي عن مكان أخي، لم ترد. كانت أمي على وشك ضربها، ولكني أمسكتها. فنحن هنا غرباء، يكفي أننا لم نمت حتى الآن. ثم أعدت سؤالي مجددًا، أين حمزة؟

كانت الفتاة واقفة بجانبها، ولكنها كانت تنظر للأسفل كما اعتدت أن أراها سابقًا، عندما لم تجيب والدتها.

سألت الفتاة، لأسترق النظر إليها ربما للمرة الأخيرة، فأجابت بدموع "لا أعلم سيدي، كنت أظنه معك هنا".

تدخل خالد موجهًا حديثه لأم الفتاة: "ماذا؟ ألم يخبرني زوجك بأن حمزة هنا؟ هل كان يكذب؟" وأخيرًا ردت تلك المرأة وقالت: "لم يكذب، لا أعلم حقًا أين هو، ربما عاد لعالمكم، أو ربما تعرض للقتل أو شيء ما."

صرخت أمي هذه المرة وقالت: "أنتِ مجنونة، أم ماذا؟ أين ولدي؟" لم ترد. فجاء بعض الأشخاص وقالوا: "إن لم تتحدثي، أيتها المجرمة، سنلقي بكم إلى عالم الوحوش التي تشبهكِ أنتِ وزوجكِ، هيا، تحدثي!"

فقالت ببرود: "بالطبع ستفعلون، عاجلاً أم آجلاً، فلماذا أقول؟"

ساد الصمت في المكان، كان الغضب يتملكني، وخالد، وأمي، بلغ الخوف القلق ذروته.

حتى جاء أحد الحراس، أظنه القائد، وقال: "يجب أن يُزجوا في الصومعة الآن، وسيتم عقد محاكمة لهم، وسيكون هناك حاكم قريبًا يساعدكم على إيجاد الفتى."

فصاح أخي: "نعم، هل سننتظر حتى يأتي الحاكم؟ هذا مستحيل!"

فرد: "لن ننتظر، سنبحث عنه في كل مكان هنا، ولكن إن لم نجده..." قاطعته: "ماذا ستفعلون؟ سيموت جوعًا وعطشًا! أين الحراس الذين كانوا معه؟ هم بالطبع يعرفون مكانه."

فرد القائد بتردد: "هذا ما كنا سنفعله، ولكن... هم أيضًا اختفوا.. أنا آسف، سنبذل قصارى جهدنا لإيجادهم."

فقدت أمي وعيها في الحال، فحملتها أنا وخالد وجلسنا في مكان، كانت الشمس فيه قليلة، مكان المرأة وزوجها حيث كانت مغطاة من فوق بقطعة قماش لحجب حرارة الشمس.

تذكرت ذلك الحارس الذي شهد أثناء المحاكمة، فذهبت مسرعًا لأخبر القائد، ولكن قد فات الأوان وذهب القائد.

فعدت بخيبة أمل حيث أمي، وبينما نحن جالسين، بدأ الجميع في المغادرة حتى أتت المرأة العجوز إلينا وأخبرتنا بالسماح لنا بالمبيت معها حتى تستقر الأمور. شكرتها وأخبرتها أننا سننتظر هنا. لكن قالت بتعجب: "هنا في الصحراء واقتربت من أمي أكثر وقالت: أعلم أنها فقدت وعيها من شدة قلقها على ابنها، ولكن للحرارة الشمس سبب أيضًا". فنظرت لخالد فكان مرهقًا أيضًا، فوافقت وشكرتها مجددًا.

بعدما استعادت أمي وعيها قليلاً وأصبح الجو غائمًا والسماء بدأت في الغروب، بدأنا السير حتى منزل المرأة العجوز. إلى أن وصلنا وما أن دخلنا تلك المناطق المحتشدة بالأشخاص والمنازل الكثيرة، أصبحت أعتاد على ذلك ورهبة البداية بدأت في التلاشي، حتى تقدمتنا المرأة وفتحت بابًا عتيقًا في منزل صغير ودخلت ثم قالت لنا: "هيا تفضلوا". فدخلت أمي أولاً، ومن ثم أنا وخالد.

فقالت لنا المرأة: "لا تقلقوا، يمكنكم الذهاب لتلك الحجرة المظلمة"، وأشارت باتجاهها. وتابعت: "اذهبوا واستريحوا قليلاً بعد هذا اليوم القاسي".

بالفعل، أومأت برأسي مع محاولة للأبتسامة ودخلنا جميعًا الغرفة ببطء. بدت الغرفة غريبة ومظلمة كأسهما، ولكن بسبب عدم وجود ضوء واختفاء أخي، فلم أنتبه للمنزل أو حتى تلك الغرفة.

فكان للقمر بعض الضوء النقي باتجاه الغرفة، كما يبدو أن مكان الجيش والأمور العسكرية هي فقط المضاءة في ذلك العالم الذي نقطن به.

حاولنا أن نتحسس على الأشياء حتى نجلس على الأقل. وبالفعل جلس كلٌ منا في مكانٍ ما وطال الصمتُ بيننا حتى بدأ أخي يسألني كيف وصلتُ إلى هنا. فأخبرته بكل شيء، حتى قال لي: "وما شأنك بهذا العالم، أخي؟ لماذا يكرهونك إلى هذا الحد؟" بل قال ذلك الرجل الكهل إنك تريد تدمير عالمهم.

قلت بسخرية: "تدمير ... هذا رجلًا مجنونًا"، وتنهدت. وحاولتُ أن أتحدث لأمي فقلت لتهدئتها: "لا تقلقي يا أمي، سنعثر على حمزة في الغد". فقاطعتني أمي وقالت: "وإن لم نعثر عليه، ماذا سيحدث حينها؟"

فرددت: "لا يا أمي، أنا متأكد أننا سنعثر عليه وسنعود لمنزلنا قريبًا".

أقول هذا الحديث وبداخلي بركان من القلق.

فالتفت أخي لأمي وقال: "أيمكن أن يعود ذلك الرجل لعالمنا فهو في النهاية ليس من هنا؟"

قلت: "إنه جبان، كان يختبئ خلف امرأة طوال حياته، والآن سيكون وحيدًا. وإن كان معه أخي، فلا يستطيع فعل شيء وسيعود إلى عالمنا لنغفر له ونتركه".

فرد أخي: "أتمنى أن يحدث ذلك "

وعاد الصمتُ يعم المكان، لكن هذه المرة يبدو أنني غفوت دون أرادة.

حتى استيقظتُ على ضوء الشمس. نظرتُ لأوقظ أمي وأخي، لكنهما غير موجودان.

خرجت بسرعة ولم أجد أحدًا. فحاولت الخروج من المنزل، لكنه مغلق بإحكام شديد.

جلستُ وقلت لنفسي: "ربما خرجوا ليبحثوا عن أخي".

بينما أنا كذلك ألتفت حولي لأتفقد المكان، وجدته غير مشابه لمنزلنا أو بالتحديد منازل البشر، فهو بسيط جدًا، منزل مكون من أحجار كبيرة بدون طلاء كالتي في الخارج، والأرض كانت كتلك التي رأيتها في السجن، سوداء أيضًا. كما أن البيت فارغ، ليس به سوى أشياء قليلة غريبة بالنسبة لي وفي كل ركن تمثالاً يمثل شيئاً ما فرأيت تجسيداً لحوت وآخر لكلب وآخر لزهور وآخر للإنسان.

وأثناء ذلك، سمعت صوتًا يتحرك في المنزل. تنهدتُ وقلت: "أعود لغرفتي، ربما يوجد أحدًا هنا".

وعدت وانتظرت... حتى بدأ الباب يصدر صريرًا معلنًا عن قدوم أحدًا ما وبالفعل سمعت صوت أمي وأخي فخرجت لأرى ماذا فعلوا... ولكن وجوههم تكفي لأعرف الجواب فبدون تفكيرٍ مني قلت: "سأخرج، أنا سأجده". فتمسك بي أخي وقال: "أهدأ، حمزة الآن في عالمنا فلا تقلق".

ففرحت ثم عدت أنظر إليهم مجددًا وسألت: ولما أنتم هكذا وكأنكم لم تجدوه؟

التفت خالد وقال: "أنه مع ذلك البشرى، لا أعرف اسمه حتى وفى أي مكان تحديداً في عالمنا."

فقلت: "من أين عرفت يا أخي؟"

فقال: "تلك المرأة التى تدعى سيرينا هي من أخبرتنا، فبعد يأسنا من البحث ذهبنا إليها."

فقلت متعجباً: "سيرينا؟ ما هذا الاسم الذي لا يليق به صاحبه، خالد، أحذر إنها امرأة مجنونة.. لكن ماذا يفترض أن نفعل؟"

فرد: "انظر، لا أعلم، ولكن علينا أن نفترق، حتى إذا أتى حمزة هنا، فيكون أحدنا ينتظره، أليس هذا الصواب؟"

التفت لأمي: "وما رأيك يا أمي؟"

أجابت بقلق: "أخشى أن نضطر لذلك."

فقلت: "وهل هناك حل أفضل ؟"

فنهضت ونظرت لأمي وأخي وتابعت: "حسنا، إذاً أنا سأبقى هنا وأنتما غادرا إلى عالمنا ونكون على تواصل دائم. حسنا."

اتفقنا بعد جدال طويل ثم غادر كل منا إلى وجهته. فها أنا قد عدت لفراق عائلتي مجدداً، ولكن اليوم تركت وحيداً .

بعد عناق حار من أمي وأخي، افترقنا حتى نعثر على حمزة.

اضطررت أن أقضي تلك الليلة عند المرأة العجوز، حتى أجد مأوى آخر في ذلك العالم، الذي آمل أن يستضيفوني فيه.

في الصباح الباكر، حيث العصافيرُ تدندنُ، والنورُ ساطعٌ يميلُ إلى بياضٍ لم أرهُ مثله حتى في احلامي. هنا السلامُ والهدوءُ الذي حرمتُ منهما عنوةً في أواخر تلك الأيام، حتى سمعتُ همْسًا في الخارجِ من بينهم صوتُ مألوف للمرأةِ العجوزِ.
فنهضتُ بعدَ أن غفوتُ ليلةَ أمسِ في سحرِ الليلِ تحتَ سراب القمرِ المطلّ من النافذةِ خلسة.

تقدّمتُ عدةَ خطواتٍ نحوَ الصوتِ وفتحتُ البابَ ببطءٍ شديدٍ حتى لا أُزعجَ أصحابَ المنزلِ.

فنهضَ من معهُ وكان يبدو فتىً صغيرًا لطيفًا نظرَ إليّ بتعجبٍ، وارتسمتْ على محياهِ ابتسامةٌ براقةٌ أظهرتْ أسنانهُ الناصعةَ وغمزتهُ اليسرى. كان يرتدي طربوشًا كبيرًا موضوعًا فوقَ رأسهِ الصغيرِ، وعيونًا زرقاوينَ اعتدتُ عليهما منذُ قدومي هنا.

قالتِ المرأةُ: "تفضلْ يا فتى، ما اسمكَ؟"

فأجبتُها: "مالك".

ابتسمتْ وقالتْ: "مالك، اسمٌ جميلٌ يذكرني بشخصٍ عزيزٍ عليّ. لا تنسَ أن تخبرني بهِ كلما نسيتُ، فأنا عجوزٌ كما ترى. ماذا لو تعرفتَ على حفيدي؟ إنهُ يحبكَ ويشفقُ عليكَ منذُ ليلةِ وصولكَ إلى هنا".

فقلتُ بأحراج وحزنٍ: "نعمْ، صحيحٌ".

فردّتْ مسرعةً: "لم أقصدْ ما قلتَهُ يا بني، أنا فقطُ أعلمُ براءتكَ، وهذا ما دفعني لمساعدتكَ".

اقتربتُ منها وسألتُها بفضولٍ: "وكيفَ عرفتِ ذلكَ؟"

طلبتْ من الفتى المغادرةَ وقالتْ لهُ: "اذهبْ الآنْ ودعني مع هذا البشرى".

ثم نظرتْ إليّ وقالتْ: "تعالَ اجلسْ هنا" مشيرةً إلى مقعدٍ قريبٍ.

جلستُ على المقعدِ، وكنتُ أُريدُ التحدثَ، لكنها قاطعتني وقالتْ: "اسمعْ يا فتى، لا مكانَ للظلمِ في عالمنا، لكن منذُ موتِ حاكمنا، ونحنُ نعيشُ تحتَ سطوةِ تلكَ المرأةِ سيرينا وزوجها البشري. يخشى الإزرقيون سيرينا بسببِ الشائعاتِ الأخيرةِ التي تتحدثُ عن قتلها لوالدها و كل من يقفُ في طريقها.

لكن عندما يتعلقُ الأمرُ بسلبِ روحٍ بريئةٍ، نتحدُ جميعًا ضد الظلمِ مهما كانَ الثمنُ، وهذا ما حدثَ معكَ، لذا لا تتعجب.

يجبُ عليكَ شكرُ هلا لأنها من أخبرتنا بحكايتكَ، و في حالِ تعرضها لأي مكروهٍ، سنُسارعُ إلى مساعدتكَ ورفعِ البلاءِ عنكَ".

أخبرتنا هلا بما حدثَ، ونظرنا إلى بعضنا البعضَ بشعورٍ بالخوفِ والقلقِ. شعرنا بخطرٍ يهددُ عالمنا، ليسَ من البشرِ، بل من سيرينا، أولُ زرقاءٍ تفعلُ مثلَ تلكَ الأمورِ الشائنةِ.

اجتمعنا حتى نأتي بدليلٍ واقعيٍ على نيتكَ الحسنةِ و أنك لم تتطرق لقتلنا وتلك المصطلحات التى تطلقها على البشر أجمع. وفى الاخير اتفقت مع هلا على كل شيء أنا اؤخر صدور ذلك الحكم الباطل وهي تأتى بعائلتك حتى يتم انقاذك .أفهمت.

فقلت للمرأة بسعادة بالغة لم استطع كبحها:" من أنتم حقاً؟"

واستطردت متسائلاً:" أين هلا ولماذا هي في السجن طالما اتضح براءتها". فردت بتعجب: "سجن، أتعني صومعة العزل"؟. فأجبت: "نعم".

فقالت: "أنها الآن في طور تهمة التآمر ولكن مع المحاكمة القادمة ستخرج لأنها بريئة حتمًا وسأشهد معها وأنت أيضًا ستفعل". فقلت لها: "ومتى تلك المحاكمة".

أجابت: "بعد خمسة عشر ليلة من الآن". فقلت بحزن بالغ وتذكرت حديث أخي: "الا استطيع أن أراها".

فقالت: "هلا هناك مع والدتها لذا ممكن ولكن لا أنصحك أن تذهب لأن سيرينا لن ترحمك".

فنهضت مسرعًا للذهاب وقلت: "لا تقلقي".

ثم عدت للمرأة وقلت لها: "هل سيقبلوا أن أراها وأنا بشرى هنا أم ستكون مشكلة"؟ فابتسمت: "لا مشكلة على الإطلاق" فكررت شكري مجددًا وذهبت.

عند تجوالي لتلك الأماكن خاصة هذه المرة دون قلق أو حتى كا متهم رأيت عجائب وغرائب المخلوقات، حيث وجدت الأغلب هم ذوات العيون الزرقاء ومع ذلك وجدت حالات فردية من فضائيين وبشر وقليل من الحيوانات ومخلوقات لم أتعرف عليها قط، ولكنني رأيتهم يتواصلون. وعندما دققت نظري في المنازل وجدتها تحتوي على أشياء ليست كتلك التي في بيت العجوز وإنما أكثر غرابة، فهنا النوافذ مفتوحة والأبواب كذلك حتى تعجبت عند المرأة أن الباب مفتوح ظننت بسبب الصغير ولكنها ربما عادة في ذلك العالم حتى وقفت عند إحدى المنازل في الخارج ببلاهة إلى أن خرج من فيها وقال: "أيها الفضولي، اذهب من هنا والا عاودتك إلى الصومعة".

فذهبت فورًا وحاولت أن أتجاهل ما أراه وأركز في طريقي، ولكنني كلما حاولت ، إحييد مجددًا فكل يوم في ذلك العالم يجعلني أرى أشياء مختلفة ومختلقة لم أفكر فيها يومًا ولا يتحملها عقل أبدا.

في غضون دقائق، رأيت تلك الصومعة اللعينة التي أذاقتني ريبة وخشية محال يحتملها أحد. كان الحراس ملتفين بانتظام فوقفت أنا لا أعرف أتقدم أم أعود، ولكن

ما دفعني للتقدم هو رغبتي لرؤية الفتاة، وقد فعلت وقلت لإحدى الحراس: "أريد أن أرى هلا".

فلم ينظر لي حتى قال: "انتظر" فذهب وعاد سريعًا وقال: "تفضل".

ادخلني. عند رؤيتي للفتاة مجددًا نسيت ما أمر بها من مشاكل وتلك المآسي الحالية وبجانبها تلك المرأة وقلت لها: "كيف الحال؟".

تفاجأت بي ورددت بجلل: "بخير، أوجدت أخاك".

فأجبت: "ليس بعد". ثم نظرت لتلك المرأة وتابعت: "ولكن عما قريب سنجده".

رددت هذه المرة المرأة وقالت: "أتمنى ذلك".

حاولت أن لا أفقد أعصابي وقلت: "أتعرفين مع من تعبثين؟ انظري لحالك من ملكة هذا العالم إلى سجينته. أهذا يناسبك".

فرددت: "بالطبع لا ولكن أصبر قليلاً".

فقلت متجاهلا الحمقاء: "هلا، أنا آسف لك، أنت لا تستحقين كل هذا سأحاول قدر استطاعتي مساعدتك فلا تقلقي ".

فأومأت برأسها دون حديث. خشيت على الفتاة وأردت لو أخذتها معي ولكن تلك القيود تمنعني.

ظللت أسترق النظر إليها حتى تشبع عيناي منها ولكن سمعت صوت الحراسة معلنًا عن انتهاء الوقت فنهضت وقلت لها: "لن أتركك حتى تتجلى العدالة".

ثم نظرت لوالدتها ورحلت.

ذلك اليوم قررت البحث عن حمزة فلن أبقى مكتوف الأيدي بينما أخي لا زال في المجهول. سألت المارة في كل مكان حتى انتصف النهار ولاحظت الحركة في الأزقة والشوارع ذات الرمال السمراء قد خفت، حتى وقفت أحدهم وسألته:" أهناك شيء أم ماذا؟ ".

قال لي مسرعًا:" باقي دقيقتين، عود حيث شئت"، وذهب. لم أفهم شيئًا، ولكن احتياطيًا عدت لمنزل العجوز فاستقبلتني قلقة وسألتني: 'أين كنت؟'

فقلت لها: "أبحث عن أخي، ربما أجده." فأدخلتني مسرعة وقالت: 'ليس بهذه الطريقة، ألا تعلم أن ذلك الوقت لا يسمح بخروج أحد على الإطلاق؟'

فقلت متعجبًا: "لماذا؟".

فأجابت قائلة: "أنَّ قواعد مملكتنا لا تقلق، مع الوقت ستعتاد عالمنا".

فقلت: "مملكة! في الحقيقة لدي تساؤلات عدة ولكن الأهم الآن أن أعثر على أخي، فأنا حتى اللحظة أجهل مكانه. الا تعرفين أين أجده بما أنك تعلمين أموراً عن تلك السيدة وزوجها".

فردت: "في الحقيقة، لا أعلم. ولكن احذر في كل خطوة تخطوها، فهي كالحية تلتف حول الفريسة حتى تبث سمها كي تحقق غرضه، لذا أنصحك أن تنصت لي جيداً ولا تفعل شيئاً إلا وأخبرتني به مسبقًا، فأنا كما أخرجتك سالماً سأخرج شقيقيك".

ثم أضافت: "أنا حقاً أتعجب لما تقدمين لي مساعدة وكأنك تعرفينني. الا تخشين أن أكون سيئ النية كما تدعى تلك المرأة سيرينا؟".

ابتسمت وقالت بصوت يشوبه الاشتياق: "إنك في مثل عمر حفيدي تقريباً، عندما رأيتك أول ليلة من دخولك الصومعة، أدركتُ أنك بريء وأنك وقعت في مأزق خارج إرادتك. ثم بدأت الدموع تتجمع حول عينيها الزرقتان وتابعت: 'تماماً كحفيدي'".

فقلت مسرعاً: "أنا آسف، لم أقصد أن أزعجك".

مسحت دموعها مسرعة وقالت: "سأحميك ولن أتركك كما خذلت حفيدي، فأنا من غُرِّرت به حب الحياة وأدخلته في متاهات لا نهاية لها حتى ذهب آخر مرة ولم يعد".

فقلت لها مواسياً: "إنك امرأة عطوفة، وحتماً لن يتركك ذلك الحفيد إلا لسببا قاهر وليس بإرادته".

وتابعت: "أعدك بحياتي عند عثوري على أخي، سأجد بنفسي ذلك الحفيد، ولكن احكي لي قصته".

فأجابت: "إنك شاب يافع وشجاع، ولكن ليس الآن، عليك أن ترتاح اليوم وفي الصباح سنعد خططنا معاً، ولا تتعجب من نومنا بعد غروب الشمس، فكما ترى أن الظلام الدامس يجعل منا عاجزين كسالى إلى حد النوم".

عادل

افتضح أمرنا في عالم زوجتي على مرأى ومسمع الجميع، والأمر لم يقتصر على مملكة الإيقاع فحسب بل امتد لعالمي الأصلي حيث هدم ما فعلته على مدار عشرات السنين كي أصل إلى ما أنا فيه حياً يخشونني الناس، فقد عانيتُ من التنمر والظلم والاضطهاد من طفولة مشردة حتى مراهقتي إلى كهولة عاجزة.

ظللت وحيداً طوال طفولتي وشبابي إلا أن أتاني امرأة ذات عينين ساحرتين قبلتني كما أنا بعيوبي وشكلي، حيث تتمثل عيوبي في أن لدي أذنًا أطول من الأخرى وعيناي طوال الوقت حمراء وشعري أشعث، لم أتحكم في شكلي يومًا ولكن أهلي قريتي حكموا علي بالأجرب وكان هذا هو اسمي حتى تزوجتُ امرأتي سيرينا التي ارتضت بواحدًا مثلي، فهي كالملاك الهائج وأنا الأجرب الذي لا يستحق أمثالها.

لم تعيرني يومًا بل زادت من ثقتي حتى قالت لي يومًا: "لا تجعل هؤلاء الحمقى ينادونك بالأجرب".

وكنت قد خبأتها من أنظارهم حتى لا يثيروا أمرًا عليها، فهي ومع ذلك تبدو غريبة لنا كبشر، كما أخبرتني بذلك وجعلتني أذهب معها في رحلة لعالمها مملكة الإيقاع، وبلغت أعلى درجات السعادة فأنا قد وقعت في عشق زوجتي سيرينا.

إلا أن أتى يومًا وقد اضطرت لكشف أمرها، فعيناها أخرجت شعاعًا قويًا بالقرب من منزلين فأحرقتهما غضبًا، والناس لم يرحمونا يومًا وقد رأوها بهيئة غريبة واتفقوا على قتلها هي ومن معها غير مبالين بالأرواح التي تزهق. مع مرور الأيام قررت سيرينا المغادرة وقبل الذهاب اقترحت أن تغير من شكلي حتى لا يقتلني الناس خاصةً أنهم أدركوا أنني زوج المرأة صاحبة الشعاع.

وبالفعل عدلت من شكلي عن طريق رجلا من عالم آخر يدعى" نوفا لومينا" حتي أصبحت إنسانًا طبيعيًا ولا حاجة للتنمر بعد تلك الليلة. فالليلة حريق المنزل كانت بمثابة قتل الرجل المجنون وزوجته الغريبة، واسطورتهم الزائفة حتى بتنا أساطير في حين كنا نخطط لاجتياح البشر وخضوعهم أجمعين.

سيرينا عانت في عالمها، وأنا في عالمي، وكلانا وجد الآخر ليتقاسما الطريق. اتخذت عهدًا على نفسي أن أدفع للبشر أثمانًا باهظة كانوا قد اقترضوها عنوة مني في طفولتي وشبابي، وفي كهولتي سأدفعهم أضعافًا مضاعفة، خاصة أهل قريتي.

كنت قد علمت من زوجتي أنها أنجزت أول مهمة بمقتل صاحبي ورفيق عمري. لم يخطئ بحقي، لكنه يشفق بحالي طوال الوقت، وهذا كان يؤلمني ويحط من قدري،

فأومأت بالموافقة على قتله والتضحية. حزنت عليه، لكن هو من جعلني أشعر بالدونية إلى حد كبير وذليل.

اقترفت أخطاءً، لكن اليوم أظن أنني أصيب، وما عاونني على ذلك سيرينا، أبنة عائلة نوكتورا.

لم أطمع في السلطة يومًا، وكان هذا من أولويات زوجتي، وإنما طمعت في أذى الناس وأن أنقل لهم مشاعر كانت فيّ من قبل ليتذوقوا مرارة ما صنعوا.

اليوم، بعد المحاكمة تلاشت أحلامي سرابًا، خشيت على نفسي أن أكون قد انتهيت سجينًا في هذا العالم، لذا عند صدور الحكم لم أتمهل وفررت هاربًا مرتجفًا نحو ملاذ لا يعلمه إلا أنا وعزيزتي سيرينا. كنا قد احتسبنا احتياطيًا أن يحدث مكروه لنا سواء من بطش العالم أو مملكة الإيقاع هنا.

ولكن سرعان ما عاد الامل مرة أخرى عندما أتى أحد الغرباء إلى مخبأي أنا والصغير قائلاً: "أنك من التابعين الذين تركتهم سيرينا لأجل ذلك اليوم بأمرٍ منها. طلبت منك أيها البشرى أن تأخذ الطفل وتذهب به لعالمك حتى يأتي خبرا جديد".

عدت مجددًا لعالمي، ولكن تلك المرة في تجوس وحزن عميق، متسائلًا بأي حال أنا هنا وحيدًا، لصٌّ لم أحترم كهولتي ولم أحظَ بما أريد، ولكنني شارفت على بلوغ حلم كنت قد أعددته منذ سنين بقدوم خبرٍ كهذا من زوجتي ورفيقة دربي".

منذ المحاكمة، قضيت ليالي حذرة في عالمي كهارب أو كهلا مجنون وبدت تتبدل ملامحي وتعود تدريجياً إلى ما كانت عليه في شبابي حتى بدأ يخشاني الطفل الأسير ، كما لم يكن لدي احداً فكنت اضطر للنزول لقضاء حاجاتي حتى رأيت السخرية من البعض والشفقة من البعد الآخر والاشمئزاز من الصغار والكبار.

ليعود ذلك الشعور بالضعف والغضب في آنٍ واحد، كنت قد نسيت تلك الأمور ولكنها عادت مجدداً منذ قدومي هنا، لدرجة أنني كرهت أن أنظر لنفسي وأرى ذلك الوجه وحتى التخلي عن المهمة التي أوكلتني بها زوجتي وان انزوي في عزلة تامة بعيداً عن كل ضوضاء الحياة ونفاقها.

مرت أيام عديدة منذ تركي لمملكة الإيقاع إلا أن أتى الخبر المنتظر من سيرينا عزيزتي التي لا تزال سجينة هذا العالم ، باعتبارها امرأة ذكية تدير كل شيء كما لو كانت موجودة. ليأتي الغريب محملاً ببرقية عريضة. متضمنة في فحواها الكثير والمثير والذي فيها مجازفة واضطرار وخشية وشجاعة تحمله صاحبتها ذو طموح وإصرار نحو هدف سعيت عليها ولن تحييد.

البرقية

من سيرينا ملكة مملكة الإيقاع إلى زوجي وفؤاد قلبي عادل أبن وائل الخضر

أتمنى لك أن تكون بخير وأطلب منك أن تنسى ما قضيته من مآسٍ في الفترة السابقة وأن تصبّ نظرك نحو الأمل المشرق الذي بات يتربص بنا على أحر من الجمر.

عزيزي، حان الوقت لننهض معًا وننفد عنّا غبار الأيام وذلك الإذلال، ونكون نحن في مقدمة عالم مملكة الايقاع التي يحتاج إلى تعديل وإصلاح عاجل يروق لنا ويسير على خطانا وأن ينصت لأرادتنا. فإن لم يقبل الأزرقيون بالعطف فالشدة ستكون خيارنا الوحيد.

أعلم أنك مررت بأيام عصيبة، وأيضًا أن السحر قد زال وعاد وجهك كما عرفتك ، ولربما عاد البشر ليضايقوك بصغارهم وتتوالى عليك نظرات الشفقة، فلا تبتئس وانهض، فقد جئت لك اليوم بالخبر السار.

ولكن اولا أريد أن أسألك هل تتذكر ذلك الغريب الذي أتى إلينا من عالم "نوفاريا" يومًا وتحدث معا بالنصيحة وطلب منا اتخاذ العبر من دروسه كرئيس محبوب.

وطرح علينا أن نكون حكام عوالمنا بأسلوب يليق بشعب مملكتنا. سخرنا منه حينها وسألناه لماذا يطرح علينا شيئًا كهذا ونحن لم نلقى أي أذى في مملكتنا فى حين طرد كخائن لعالمه ليحل ضيفاً في عالمنا. هل تتذكر ماذا قال؟

نهض الرجل وابتسم وبدأ يتحدث قائلاً " أن المملكة يغطيها العدل والمحبة والإخاء، ولكن حينما يبقى الأمر ثابتاً ودون تقدم يصبح الأمر اعتياديا وتتلاشى فيه الحياة، وهذا ما حدث معه واستطرد قائلاً:" أن الأزرقيون لديكم سيتحولون ذات يوم ضدكم حتى وإن كان دون سبب، وحينها تصبحوا وباء على عالمكم بلا ستنفو إلى المجهول". وأعطانا مثالًا بالمكان الذي حكمها ألف عام باليسر والمسامحة، إلا أن اشتد الشعب عليه وادعو عليه بالضعف والهوان حتى طردوه ليبحث عن ملاذ.

أتتذكر ترديده كثيرا يا عزيزي لتلك الجملة :"شعبكم يبدو محب، ومع السنين يتحول لوحشًا قاسيًا سيلتهم كل يد تساعده حتى وإن كان حاكمهم".

لذا طرح علينا أن نأخذ خطوة مسبقة قبل كل شيء، وهذا ما أفعله. في السطور القليلة القادمة، انتبه لما سأقوله جيدًا لأنه مصير عالمي وذروة حلمنا. عندما تأتيك الإشارة من الرجل الذي اخبرك بالعودة لعالمك. أذهب بالصغير نحو منزل عائلته ولكن احذر، فقط ضعه في فناء المنزل وأتركه وأبعث معه رسالة مضمونها أن يبتعد ايثان عن المملكة وأن يتركها بلا عودة،

وإلا انهارت العائلة كما قضينا سابقاً على الوالد العزيز. وحينها لن يستطيع أحد أن يوقف سيرينا.

بعدها، اذهب نحو عمارة سكنية قريبة من المنزل لونها بالكامل أبيض ذات خمسة طوابق. في الطابق الثالث ستجد امرأة بشرية لا تخشاها، ستأخذك نحو مكان نلتقي فيه. ولا تقلق، سأعوضك عن تلك الأيام المريرة، فأنت لا تستحق ولا أنا كذلك، ولكن لهدفنا المرجو. نتذوق طعامًا مرًا.

عادل، عند تركك لتلك الرسالة، أحفظها في عقلك حتى ألقاك سالمًا، وانتبه لذلك الفتى، أدريان، فقد يلحق بك فهو شاب غاضب مجنون.

سلامًا يا عادل، على أن ألقاك في القريب العاجل.

بعد قراءتي لتلك البرقية، عادت الدماء تجري في عروقي ودخل السرور قلبي، فقد حان وقت رؤيتي لعزيزتي سيرينا.

أخذت على عاتقي إنهاء المهمة على أكمل وجه، وبدأت أتحضر لذلك اليوم. حتى أتت الإشارة بموسم تلاقي شعاع الأزرقين نحو السماء، معلنة انتهاء الموسم الماضي. وقد انتظرت ذلك الرجل لأبدأ فهو يأتيني عند حدوث أي جديد أو تطور، ليقول لي "حان دورك".

بعد تلك الجملة أخذت الصبي وذهبت به نحو المنزل، وتركته عند الفناء وأعطيت له الرسالة كما أخبرتني زوجتي، وذهبت نحو تلك العمارة متجهاً نحو الطابق الثالث.

كنت قلقاً، فلم أجد أحداً، فانتظرت قرابة نصف ساعة، وكان هذا مرهقاً خاصة عندما يمر الأشخاص ويرونني، فأنا صاحب الأسطورة ما زلت حياً. حتى أتت المرأة ونظرت لي ولم تتغير ملامحها، لا بالاشمئزاز ولا بالشفقة، بل أخذتني نحو عزيزتي سيرينا في منطقة غريبة لم أدخلها من قبل. لكنها في عالم فاصل بين مملكة الإيقاع والبشر. حتى رأيتها أخيرًا تطل عليه بسحرها وجمالها، لم تتغير منذ ليلة المحاكمة أو أول يوم التقيت بها.

ابتسمت واقتربت مني وقالت: "أنت بخير". فقلت: "نعم".

فرددت: "أنا آسفة على تلك الفترة، ولكن انظر الآن، حلمنا بات قريبًا. لقد علمت خبراً ثمينًا وهو في طور التأكيد الآن. أتريد معرفتها؟".

فأجبت باستغراب: "لا يهم، أنا أثق بك، ولكن ما عملنا الآن؟ فأنا غريب في عالمي وأنت مطرودة كذلك".

تبدلت ملامحها للغضب وقالت: "مطرودة؟ تسخر مني! أنا خرجت بإرادتي لأعود حاكمة لعالمك ومملكتي. كما أنك جاهل ولم تنصت لخطتي بعد".

فقلت: "جاهل؟ حسنًا، وما هي إذا؟".

فرددت متأسفة: "لم أقصد أن أزعجك، أعذر حماستي. فعندما تكون قريبًا من أمر ما، تفعل وتقول أشياء واهية".

فقلت: "أعلم، وما ذلك الخبر؟".

قالت: "هلا ابنتنا تركت معها ورقة تحمل في طياتها سرًا لا تعلمه قط، ولم أجرأ على إخبارها بنفسي. إنها بشرية، فقد علمت مؤخرًا من رجل تابع لي وقال إن الدماء تجري في عروقها. حتى عيناها لم تستطع بهما إصدار أي شعاع حتى في ذلك السن. أتذكر حينما كانت صغيرة كنت تقول لي إنها لا تزال طفلة، بالرغم أن الأطفال لدينا يطلقون الشعاع حسب قدرتهم في سن مبكرة. كما أن ابنتي تخلت عني ولربما تريد العيش في عالم البشر، ولن أحرمها من ذلك حتى لا تقف عقبة في طريقنا".

تلقيت النبأ بصدمة وسخرية وقلت: "ماذا تقولين؟ ابنتي بشرية؟ وكيف لا أعلم من الأول؟ أنني أحمق! كنت أراها كل يوم تختلف عن الإزرقيون كليًا. فقط لون العين، حتى اتساع عينيها لم يكن مثل عالمكم. أنا مصدوم! لماذا لم تخبريني من قبل؟".

فرددت: "قد علمت مؤخرًا، ولكن ما يهم الآن أن نضعها طعمًا لنستدرج ذلك البشر ليخدم هدفنا". فقلت: "وما العلاقة؟".

فأجابت: "ستعرف، ولكن أولاً يجب أن نعرف ماذا فعلت هلا بعد معرفتها بذلك السر".

فقلت يتساءل: "وبعد معرفتها ماذا ستفعل؟!".

فأجابت: "هذا ما سيحدد خطتنا. فأن قبلت الأمر وقررت العيش مع البشر، فهذا يعني أن سيكون هناك صلة بين العالمين. فهي عاشت معنا سنين، وسنضع في الاعتبار إقناع البشر من جهتك على التنقل إلى مملكتنا والعيش فيها . ومن جهتي بعد التخلص من ذلك المأزق والعودة لمجاراة الأمر في عالمي وصدور براءتي، سأقنع الإزرقيون التنقل لعالمك. أتفهمني؟". فقلت: "وبعد ذلك؟".

فردت: "سنرى. إن كان هناك قبول فهذا أمر جيد، وإن لم يكن سنضطر لفعله بطرق أخرى، ولكن دعنا لا نستبق الأمور. كل شيء في وقته المحدد".

فقلت بقلق: "ألا ترين أن هذا خطر؟ ألا تتذكرين الماضي؟".

فقالت بحماس: "لذلك سيكون للبشري دور. أليس ابنتنا أنقذته من موت محتم؟ لماذا لا يساعدها في حين لديه القدرة على ذلك؟".

فقلت: "أنت لا تعلمين البشر جيدًا. أتقولين أن إيثان سيقف ضد البشر أجمع لأجل فتاة من عالم عدو لهم؟".

فرددتُ بإصرار: "سننتظر، وسنرى إن كان سيحدث ما نريده أم لا. حتى وإن فشل ذلك المخطط، فلديّ بديل، بل بدائل، سنُجرّبها أولاً. دعنا لا نتسرّع ونحكم على شيء لم يحدث بعد." ثم صمتتُ وتابعتُ قائلة: "ألا تشتاق لي؟ أيمكنك إخباري عن تلك الليالي التي قضيتها بدوني؟"

فأجبت بعد أن هدأت العواصف بداخلي: " كانت مريرة."

فقالت: "فقط، ظننتُك ستقول شيئاً ما كالاشتياق والشعور بالضياع وأنك لن ترغب أن تعيش وحدك دوني. على أي حال، شكراً."

فقلتُ بعد لحظات من الصمت: "أتظنين أن الحديث عن تلك الأمور المعقدة أمرًا سهلًا؟ لربما إذا أردنا أن نعبر عن شيء نقوله كالطعام والشراب، ولكن ثمة أمور لا تُقال فنبقى عاجزين عن الحديث أو التفكير فيها. حقيقة تلك الفترة لا أريد أن أتذكرها بل أمحوها كما محيتُ أخواتها من قبل. كما قلتُ، سيرينا، من دونك أنا لا شيء، مجرد نكرة."

فوجدتها تعبث بإحدى الورود ثم تقدمت نحوي: "لا أعرف ماذا أقول، لكن كل ما ذكرته لا يمس الواقع بصلة، حتى لو ظننت نفسك كما تقول.

بالعكس، أنت بالنسبة لي أفضل بشري، لديك من الإنسانية ما يغطي جبال ومحيطات. ولكن يعيبك فقط أن لا تملك تلك الثقة. لقد سلب منك العزيمة والأمل وحب الحياة. ولكن يا عزيزي، يجب عليك صدهم ومواجهتهم، فأنت لا تقل عنهم بشيء بل تمتاز عنهم في أمور شتى. تعلم؟ أنا لا أظن أن هناك قلب كقلبك من البشر قط. بصفتي من عالم آخر، واجهتُ كثيرًا من البشر على كافة أطيافهم، ولم أجد فيهم ولو جزء بسيط مثلك. فأنت مثالي يا عادل. لو كان بإمكاني منحك الثقة والقوة لفعلتها، كما غيرتُ من وجهك. ولكن تلك النفس لا تتغير ولا تتبدل إلا بإرادة صاحبها. بالنيابة عن كل ما مررت به، أنا أسفة على كل قطرة دمع وعلى كل كسرة قلب." لم أستطع النظر إليها، لأن ذلك الصوت ووصف مشاعري بذلك الشكل جعلني أن أصمت ولا أتحدث.

فتاة العالم الاخر

بعد مرور عدة أيام في صومعة العزل مع أمي في انتظار تحقيق العدالة، أتى اليوم الموعود.

خرجتُ أنا وأمي، وكان الأمر سريًا. اتخذ رجال عالمنا بوزرائه أمرًا بنفي أمي نحو المجهول، ونفيي أنا إلى عالم البشر.

كان كل شيء سلسًا وغريبًا، خاصة في عالم كمملكتنا الذي لا تسرى فيه مثل تلك الأمور إلا بالعلن.

لا أفهم صراحة لماذا تم نفيي إلى عالم البشر وليس مع أمي، لكن لا وقت للتفسير. حيث دخل ذلك الحارس المأمور ليأخذنا نحو وجهتنا الجديدة. عاتبتني أمي كالعادة، لكنها سامحتني في الأخير واعطتني ورقة، وابلغتني بألا أفتحها إلا بعد وصولي لعالم البشر. فوافقتُ وقبلتها آخر قبلة. فأنا لا أعلم حتى في أي عالم ستبقى.

لم يهملني الحارس وقتًا طويلاً، فأخذ أمي أولاً عنوة، وبعدها أنا.

عدتُ لذات المكان تجاه المزرعة، وكان الوقت في ذلك الحين ليلاً. فذهبتُ مرتجفة نحو منزل أبي، فلم أجده بل المنزل كان فارغًا. بابه مفتوح وكأنّه مهجور.

سمعتُ أصواتًا لبشر قادمة، فدخلتُ وأغلقتُ الباب بلا تفكير حتى مروا القادمين. التفتُ للمنزل جيدًا لتأملّه، فهو كما هو، ولكن أبي ليس فيه. اقتربتُ من المنضدة وجلستُ لا أعلم ماذا أصنع. صرتُ وحيدة كما خشيتُ منذ أول ليلة في عالم البشر.

الفتى في الغالب لا زال في عالمي، وأبي لا أعلم أين. يبدو أنه ترك المنزل منذ فترة، وامي كذلك، حتى تذكرتُ تلك الورقة، فأمسكتُها وبدأتُ أقرأها. ومع كل سطر، أتعجب. وفي الأخير، نهضتُ وقلتُ: **"أنا بشرية!"**.

لا أعرف أكون سعيدة أم حزينة. أنا أعشق ذلك العالم منذ الصغر، ومع ذلك تملكني القلق، رغم أنني كنتُ أتمنى ذلك طوال عمري. ولكن عندما قرأتُ ذلك، لا أعلم شعوري. وتساءلتُ: ماذا سيكون شعور الفتى إن عرف؟ وهل يهمه الأمر؟ وماذا عني؟ هل سأعود لعالمي؟ سأكون هنا وحيدة بلا أمي وأبي، ولا حتى أصدقائي.

إلا أنني قررتُ انتظار الصباح لأذهب إلى منزل الفتى واترقب عائلته. ولربما يكون عاد، خاصة أن أمي وعدتنا بعودة مارك إليهم.

في الصباح، استيقظتُ بتثاؤب على صيحات نقر العصافير في زجاج المنزل. وكان ضوء الشمس خفيفًا يحمل بعضًا من السخونة والدفء. ومن حوله، السحب متقاربة ومتشابكة في آن واحد، ليرسم لوحة جميلة في صباح مشرق لعالم البشر.

نهضتُ مسرعة حينما تذكرتُ الذهاب لمنزل الفتى. وكان أول خطوة فعلتها بعد معرفتي بأنني بشرية.

بدلتُ ثيابي لتلك الموجودة في هذا المنزل لمحاكاة البشر. وبدأتُ أسير في الشارع واثقة على غير العادة، متجاهلة تلك الأنظار المحدقة بي حتى ألقيتُ السلام على إحدى الباعة المتجولين. إلا أن وصلتُ لوجهتي، وبدأ التوتر والقلق يتحكمان بي. أخذتُ أقدم قدم في تردد وخيفة، حتى أطلقتُ قدماي عانها ووصلتُ إلي الباب الذي يفصلني عن عائلة الفتى.

طرقتُ عدة مرات، إلا أن فتحت فتاة تقريبًا في عمري، وعلى ثغرها ابتسامة لتستقبلني فرحة وكأنها تعرفني منذ زمن. حتى صاحت بقدومي لكل أهل المنزل وأدخلتني وقالت: "إنها الفتاة يا أمي، ادريان إيثان قد جاءتني الفتاة!".

عند سماع اسم الفتى، زادت دقات قلبي ولم أستطع كبحها. فدخل الفتى مع أخيه الغاضب ومعهم الأم ليرحبوا بي تباعًا. لأرد عليهم بجلجلة في استحياء وخضوع. في تلك الأثناء، بحثتُ عن الهدوء والثقة، لكنهما تبخرا تمامًا ولم يكن لهما وجود، حتى قطع حبل أفكاري الفتى وقال: "نحن ممتنون لك، أنكِ أنقذت حياتنا".

فقلت: "لم أفعل شيئاً بل العدل كان واجب التنفيذ".

فتدخل شقيقهم الأوسط، أدريان، قائلاً: "لو كان العدل موجوداً حقاً، لما كانت سيرينا حاكمة لعالمك".

لم أرد وشعرت بأنني سأبكي ولم أستطع حينها أن أوقف مشاعري، لذا نهضت لأنصرف، فأوقفتني الفتاة ووالدتها، ولكن لم أقو على البقاء وأصررت على الرحيل.

بعد المغادرة، سرتُ بين طرق وأزقة ضيقة، واستمعتُ إلى همسات أخرى غير التي سمعتها في الذهاب، تقول إن الرجل الغريب قد عاد. أيقصدون أبي؟ ترى أتكون أمي معه؟!

جاءت لي لحظة تفكير في أن أعود لعالمي، لكن كيف وقد صدر حكم ضدي؟ لا أعرف حتى ماذا أفعل إن كان أبي قد عاد.

توجهتُ في خطوات متعثرة إلى منزل لا يحتوي الإ على أشياء جامدة، لا روح فيه،

حتى دخلتُ ووجدتُ روحًا مكنونة ذائبة. "أبي"، عندما رآني نهض واحتضنني بشدة وقال: "اشتقتُ لكِ".

قلتُ ببرود: "نعم يا أبي، أنت أيضًا".

فقال: "تعالي، اجلسي أمامي. ألم تشتاقي لوالدكِ؟"

فقلتُ: "بلا، ولكن أين كنتَ منذ عدتَ إلى هنا ولم أراكَ؟ حتى ظننتُ أنكَ غادرتَ للأبد".

فقال: "كيف أفعل من دونكِ؟ قد سئمتُ العيش، ولم أكن أعلم أنكِ ستأتي لهنا. لولا والدتكِ، ما كنتُ أتيتُ".

قلتُ: "والدتي؟ أرأيتها كيف حالها وأين هي؟".

أجاب: "على رسلكِ تمهل، هي بخير، وتطلب منكِ السماح مجددًا بشأن ذلك الأمر".

فقلتُ: "لا بأس، لو كانت أخبرتني مباشرة، لكان أفضل. على أي حال، أين هي؟ أهي في عالم البشر معنا؟".

فقال: "لا، إنها في مكان ما ليس بعالم، وإنما حيز صغير أخذتني إليه امرأة بشرية كي أراها، ولا أعلم تحديدًا".

فقلتُ مسرعة: "يعني هنا؟".

قال: "لا، وإنما كانت قد قالت طلاسم غريبة، ووجدتُ نفسي في ذلك الحيز الصغير الذي لا يتسع إلا لفردين".

فقلتُ بتساؤل: "حسنًا، ألم تخبرني متى ستعود؟ أبي، إن عالمنا فيه شيءٌ مريب لا أفهمه. منذ متى تصدر مثل تلك الأحكام سرًا وليس علانيةً؟ كما أن أمي تنفي لعالم مجهول. أي عالم هذا؟ أتعرف شيئًا؟"

فقال بتلعثم واضح: "شيئًا كماذا؟ لا، كل ما حدث أمرٌ طبيعي. فوالدتك ملكة هذا العالم، ومن الطبيعي أن يؤخذ الحكم هكذا حتى لا تعمّ الفوضى. إنك صغيرةٌ لم تنضجي بعد، حتى لم تفهمي قواعد عالمكِ."

قلتُ بسخرية: "عالمي، ربما."

فقال: "أعلمتِ أن الفتى قد عاد لأهله؟"

فقلتُ: "نعم." فقال: "هذا جيدٌ بالنسبة لهم ولنا."

وتابع قائلاً: "ترى ماذا لو اتحد العالمان معًا واختلط الإزرقيون بالبشر دون عداوة؟"

فقلتُ بتعجب: "اتحاد، أيُمكن أن يحدث هذا يومًا ما؟"

فأجاب: "ممكن، وأنتِ من تملكين ذلك المفتاح."

فقلتُ بتعجب: "أنا؟ وما شأني؟ وأي مفتاح أملكه؟"

فقال: "إنكِ بشريةٌ وتريدين البقاء هنا، ألم تحاولي من قبل أن تكوني مثلهم؟ لما لا تفعلين الآن؟" فقلتُ: "ماذا تريد يا أبي؟"

كان الليل قد حلّ والضوء قد بدأ في عملية التلاشي وانخفض نسق الحياة،

رددت أن مع مرور الأيام ربما يعود الأمل أكثر إشراقًا وأقلّ بؤسًا عن كل ما فات.

بعد تفكير مطول، قررتُ أن آخذ بنصيحة والدي هذه المرة، لعلي أنجح في أمرٍ عظيم كهذا، خاصةً وأنه أمر متعلق بالفتى.

في الغد، بدأت نشاطي كالعادة ولكن هذه المرة قررت أعمل على تحقيق اتحاد العالمين، مستغلةً فرصة أنني بشرية.

قطع أفكاري بضعة طرقات على الباب، الأمر جديد فلم يسبق وقد طرق احدا ذلك الباب حتى وجدتُ أبي متمسكًا بعصا غليظة، يهمس لي أن أبتعد، ففعلتُ.

تذكرتُ ليلة الحريق، إلا أن أبي قال بصوتٍ عالٍ للطارق: "من أنتَ وماذا تريد؟".

فأجاب الطارق: "مالك، أيها السيد".

فقال أبي: "أتريد إيذائي؟ ألم نعيد أخاك مقابل أن تتركونا.. أنكم غادرون وتنقضون العهود أليس كذلك؟".

فقال الفتى: "أنا بمفردي، وقد جئتُ لأتحدث لا أكثر، حتى أن عائلتي لا تعرف مجيئي لكم. أنا أعلم أنك زوج المرأة الغربية، حتى وإن تبدل شكلك، فأنا أعرفك أبي أخبرني عنك حينما كنتم أصدقاء".

لم أفهم ماذا يعني "يتبدل شكلك"، لكن وجدتُ أبي ينظر إليّ وفي جبينه كانت قد تجمعت نقط من الماء، رغم أن الجو ليس بحارًا. لكني وجدته يفتح الباب أخيرًا، وقال: "ماذا تريد؟".

فأجاب الفتى: "أريد أن أعقد صلحًا بيننا. ما رأيك أن نمحو الماضي ونبدأ من جديد؟".

فقال أبي: "أبهذه السهولة؟".

فرد الفتى: "بالطبع، إن وافقتَ، فمن جهتي لن أؤذيك، وسأكون سعيدًا أن أصبح ابنًا لك".

فقال أبي متعجبًا: "بعد كل ما حدث، أتُصنع فخًا ما؟".

فرد الفتى: "أنا لستُ مثلما تظن، لن أخدعك ولن أخذلك، كن على يقينٍ من هذا. أما عن أخواتي وأمي، فلا أعلم أمرهم، لكني جئتُ لك لتقبل ذلك الصلح بيني وبينك".

فقال أبي بعد لحظات: "حسنًا، إذا سنرى".

والتفت تجاهي وقال: "هلا ، أرحبتِ بضيفنا؟".

فقلتُ: "مرحبًا".

فلم يجيب، لكن عندما تحدث أبي مجددًا، انتبه له وكأنني لم أتحدث لتوّ.

ذلك الموقف أحرجني بشدة، فدخلتُ غرفتي بغضب وأغلقتُ الباب بقوة دون إرادتي.

دخل أبي بعد دقائق يطلب مني أن أقابل الفتى قائلاً: "إنّ الفتى يرغب في رؤيتي والحديث معي".

كنت سعيدة تلك اللحظة، وخرجتُ وأنا على استحياء شديد يعود لي فقط عندما يذكر اسم الفتى. فماذا عندما أراه وأتحدث معه في منزل أبي الذي لا يدخل بشر قط؟

عندما خرجتُ، تركني أبي وقال إنه سيفعل شيئاً للفتى.

فكنت بمفردي عندما التقيتُ بـ "مالك".

فوجدتهُ قد نهض وقال: "كيف حالكِ هلا؟". فردّيتُ بخجل: "بخير".

فقال: "أتعلمين لماذا أتيتُ؟ لقد جئتُ لأعتذر عن سخافة أخي، فهو هكذا عندما يتحدث لا يفهم ما يقول". فقلتُ: "أعلم".

فقال: "إذاً لماذا حزنتِ وأصررتِ على الرحيل؟"

فقلتُ: "إنّها أمي، حتى لو كان صحيح ما يقول، في النهاية هي عائلتي الوحيدة".

فقال: "لذلك اعتذرتُ".

بعد صمت دام دقائق، قال: "ما رأيكِ أن أخذكِ إلى مكان مميز الليلة مع والدكِ إن أردتِ؟"

فقلتُ: "لا أعلم".

تذكّرتُ أنّي بشرية، وكنتُ سأخبر الفتى إلا أن أبي تدخّل في تلك اللحظة، فابتلعْتُ الكلام عنوة.

قائلاً: "ألا تخشى أن تخرج معنا أمام الأهالي؟"

فرد الفتى: "بالتأكيد لا، كما أنه مفترض أن تتأقلم وتخرج وتتحدث مع الناس، حتى تزيل عنك الأساطير وتلك الأمور وتكون واحدًا منّا."

صمت أبي واتجه نحوي يسألني: "ما رأيك؟"

أومأت بعدم المعرفة، لكنه اتخذ القرار وقال: "حسنًا، متى؟"

فقال الفتى: "الآن إن أردت."

وافق أبي ونزلنا معًا أمام أنظار جميع أهل القرية في خوف وحذر، كان يتملكني شعورًا بالرهبة والحماسة، ومع ذلك تمكنت أن أظهر شجاعتي وأخفيت ضعفي بداخلي، إلا أن أخبرنا الفتى أن نتوقف عند سور معين طويل يتزين باللون الأخضر الداكن، يفصلنا عن تلك المياه الكثيفة والتي تبدو عميقة، لا أعرف ماهيتها فهذه أول مرة أشاهدها ولكنها كانت جميلة مبهرة، تعكس الشمس عليها بقوة ودلال في آن واحد، أعصابي هدأت تمامًا ومحت كل مشاعري المختلطة ليحل محلها سكون ورخاء مثير، حتى قطع الفتى صفوة شرودي قائلاً: "أهذه أول مرة لكما للخروج؟"

ارتبكت مجدداً وقال أبي: "بالنسبة لهلا نعم، أما عني فكنت صغيرًا عندما أتيت لهنا منذ زمن لم آتِ، هناك أشياء كثيرة تغيرت."

فقال الفتى: "عالمنا جميل، ليس بقبيح كما ظننت، فقط فيه بعض الأشياء السيئة والخارجة، ولكن يبقى جميل."

فسألته هذه المرة: "كيف هذا؟"

فقال: "أنظري إلى وجوه البشر، بعضها فارحة واخرى حزينة، أترين أولئك الأطفال كيف يلهون؟ أنهم أبرياء ولم يتلوثوا بداء الحياة، أن الأيام تصنع منا ما لا نرغب."

كنت متعجبة ولم أفهم أي شيء مما قال، لكنه أعاد الحديث لي مجدداً: "أحيانًا أقول كلام لا أفهمه، ولكن هذه المرة أدرك ما أعنيه، ما فعله أهل القرية سابقًا لا يدل على كل البشر كمجمل، وإنما يمثلون جزء بسيط، ولا أنكر أنهم ما زالوا موجودين حتى ينتهي العالم، ولكنهم مع ذلك أقلية لا يمثلون إلا أنفسهم."

ثم نظر لأبي وقال: "أتفهم مشاعرك، خاصة عندما يتعلق الأمر بالإيذاء النفسي، ولكنك مررت بما يمر به الكثير، أتسمح لي أن أبدي تحيري كيف لرجل مثلك أن يكره البشر بهذا الشكل؟ ألم تقابل أي إنسان طبيعي قط؟"

لم يلقِ إجابة من أبي، ربما شرد ذهنه، ولكن تلك الليلة جعلتني أرغب في معرفة أبي أكثر. يبدو أنه يحمل همًا من زمن بعيد، وأيضًا لم أفهم ماذا يعني الفتى "حتى لو تبدّل شكلك" موجهاً حديثه لأبي عندما كنا في المنزل.

لطالما شعرتُ أن أبي يخفي أسرارًا وخفايا، ولكن لم يصل سقف تخيلي إلى حد الإيذاء النفسي وكرهه للبشر بهذا الشكل. كنتُ أظنّ من شدة حبه لأمي فقط يفعل ما تأمره بغير اكتراث.

بعد عودتنا، لم يرغب أبي في الحديث، ظلّ صامتًا ودخل غرفته وأغلقها، وتركني حائرة في تساؤلاتي.

استيقظتُ على عدة طرقاتٍ متسارعة وقوية، حتى نهضت بفزع، وذهبتُ لأعرف من الطارق، ووجدتُ ما خشيتُه على مدار سنوات.

مجموعة من البشر يوسطهم رجلٌ قوي البنية يهتف: "أخرجوا من هنا والّا قتلناكم قتلاً، وهذه المرة سنتأكد بأنفسنا قبل أن نذهب."

خرج أبي مذعورًا أيضًا، قائلاً: "ما الأمر؟"

فقلت بقلق: "لا أعلم يا أبي".

فقال لي: "ادخلي غرفتك ولا تخرجي معنا حتى يحدث".

فأومأت برأسي ودخلت حتى سمعت صرير الباب وأصواتًا كثيرة متداخلة إلا أن اتضح صوت المتحدث مع أبي ويبدو أنه كان الرجل القوي ففتحت الباب ببطء وأنصتت إلى ماذا يقولون ولكن في لحظة ما، وجدت الرجل ينقضّ على أبي كوحش كاسر، حتى أسقطه على الأرض وانهال عليه بالضرب. لم أستطع أن أكون مكتوفة الأيدي، فأقرب شيء أمسكته وضربته في مؤخرة رأس ذلك الضخم حتى سقط بجوار أبي نازفًا ماءً حمراء كثيفًا، ووجدت الجميع يغادر تباعًا.

صاح أبي وقال: "ماذا فعلت؟".

الفصل السادس

أيّقظتني المرأة العجوز فَرِحة مبتسمّة قائلةً: "هيا انهضْ، قد جئتُ لك بالأخبارِ الحسنةِ". وأعطتْني شيئًا ما وطلبتْ منّي أنْ أشْرَبَهُ حتى أَفُوقَ لما ستُخبرني بهِ. وبعدَ لحظاتٍ قالتْ: "أنّ أخاكَ قد عادَ لعالمِكَ سالمًا. وأمّا الفتاةِ فقد صدرَ الحكمُ مبكراً هذه المرة وهو بأنّها ستضطرّ للعيشِ في عالمِكِ. أمّا عن سيرينا فلا نعلمُ بعدُ."

تلكَ الأخبارُ المتتاليةُ جعلتْني لا أحرّكُ ساكنًا حتى أنّ المرأةَ تحدّثتْ عنْ أمورٍ شتّى، ولكنْ تركيزي انعدمَ عندما ذكرت أن "أخي وهلا في عالمي. حتى أوقفتُها عنِ الحديثِ متسائلًا: "كيفَ هذا؟ ألمْ تخبريني أنّ مثلَ تلكَ الأمورِ تحتاجُ للأيّامِ وكيف عاد أخي".

فقالتْ: "هذا ما حدثَ، أمّا عن السبب فستعرفه عندما تعود لعالمِك".

فنهضتُ مسرعًا لا أعرفُ ماذا أفعلُ حتى قلتُ: "كيفَ أخرجُ منْ هنا لأعودَ لعالمي؟"

فقالتْ: "تعالَ معي".

وذهبتُ خلفَها عبرَ الطرقِ الضيّقةِ وفوقَ رمالٍ سوداءَ لمْ أرَهَا أو أصادفَهَا منْ قبلُ. ولكنْ هنا فلا شيءٌ معقولٌ وقد اعتدتُ الأمرَ، حتى توقّفتْ المرأةُ وقالتْ شيئًا ما حتى فتحتْ دائرةً متوسّطةً وطلبتْ منّي أنْ أدخلَ فيها لأصلَ لعالمي. ففعلتُ بريبةٍ وبالفعلِ عدّةُ لحظاتٍ ووجدتُ نفسي ملقىً بجوارِ المزرعةِ.

كنتُ سعيدًا، وأخيرًا عدتُ لمنزلِنا والتقيتُ بأخوتي جميعًا وأمّي خاصةً، وحمزة وسارةَ فقد اشتقتُ لهما إلى حدٍّ لمْ أعلمهِ سلفًا.

رحّبَ بي أهلُ القريةِ وتوالتْ الأيّامُ بديعَةً. وبالطبعِ لمْ أنسَ الفتاةَ. فكّرتُ كثيرًا بشأنِ ذهابي لذلكَ المنزلِ الذي حذرني منهُ الكثيرُ. ولكنّني ما زلتُ مقتنعًا أنّ منْ بداخلهِ يستحقّونَ الحياةَ، حتى ذلكَ الرجلُ الذي تردّدَت مطوّلًا بشأنَ أنْ أسامحهُ. وما حسمَ أمري في النهايةِ هو الفتاةُ.

ذهبتُ والتقيتُ بهما، وكان الأمر غريبًا ومع ذلك ليس صعبًا كما توقعتُ. الأمر الجيد أنني أنهيتُ الخلاف، ومع الأيام القادمة سأحاول أن أجعل ذلك الرجل صديقًا لأهل قريتنا.

ما يؤسف هو أن عاداتنا شديدة وقوية وخطيرة إلى حد توارثنا لأفكار كارثية وخاطئة، والتسليم بها منذ نعومة أظافرنا وننقلها لأبنائنا دون حذر.

لذلك، من جهتي وبحسب قدرتي الضئيلة، حاولتُ أن أزيل تلك العوائق. وكانت أول خطوة هي الذهاب إلى ذلك المنزل الذي يبغضه أهل القرية، وتعمدتُ أن يروني أدخله بل وأخرج مع من فيه، لأثبت لهما أنهما ليسا أشرارًا ولا نيتهما قتلنا كما نحن نردد ذلك لأهلنا وعشائرنا. ولكن ما لم أضعه في الحسبان هو اليوم التالي لتلك الخطوة.

أيقظني أخي الصغير: "مالك، إن أهالي القرية ذهبوا لمنزل الرجل والفتاة. إنني أخشى أن يحدث أمر ما".

فنهضتُ مسرعًا لألحق الرجل وابنته، ولكن أمي أوقفتني وحذرتني: "أياك أن تفعل، لا تخرج واترك الأمر يمر، نحن لا نريد حربًا".

فقلتُ: "أمي، اتركيني الآن، وعندما أعود سأشرح لك".

صاحت أمي: "قد أخبرتك ولن أعيد ما قلته، تلك الفتاة ستبتعد عنها للابد. في المرة الأولى تم إنقاذك بمعجزة وكدت تودي بحياة أخاك. عود إلى غرفتك".

تعجبتُ وقلتُ: "ما الأمر يا أمي؟ ألا تعلمين أن تلك الفتاة التي يهاجمونها الآن هي من أنقذتني؟ أتريدين مني أن أتركها لأولئك القتلى الذين لا يؤذون عالمنا فحسب، بل والعوالم الأخرى المجاورة؟"

تنهض وتابعتُ: "أمي، دعيني أخرج من هنا، وفي وقت لاحق سأخبرك بكل شيء. لا تقلقي".

قالتْ: "إذا خرجت من هنا لمنزل ذلك الرجل والفتاة، أقسم بأني سأتبرأ منك".

بالطبع لم أفهم أبدًا تلك ردة الفعل المبالغ فيها بعد الشيء، ولكن ما كان بوسعي أن أغضب أمي حتى ولو كنتُ على صواب. لذا لم أرد واتجهتُ لغرفتي اشتطاط غضبًا. لا أعرف ماذا أفعل. هل أنا جبانٌ إلى هذا الحد؟ يفصلني عن الفتاة بضعة خطوات ولا أقوى على التحرك. أي خزيٍ هذا!

قطع تساؤلاتي تلك الأقدام المهرولة أسفل منزلنا تهتف بعضها "الغرباء قتلوا زياد". لم أفهم ولم أستوعب: قتل مجدداً؟ وهذه المرة أحد رجال قريتنا! أيعقل؟ لا!

حاولت أن أجد تفسيرًا، وما قيدني هي أمي. فما كان بوسعي إلا أن أسمع تلك الصيحات من الخارج. وما فهمته في الأخير أن أولئك الرجال كانوا قد تجمعوا ليذهبوا إلى منزل ذلك الرجل الغريب ويطردوه من قريتنا. فلم يستجيبوا وماطلوا هو وابنته حتى أتت الفتاة بعصا غليظة وانهالت على ذلك الرجل المدعى زياد، والباقون تمكنوا من الهرب.

تلك الرواية لم أصدقها بالطبع، وإن كان لا أثق بعد بوالد الفتاة، إلا أن من المستحيل أن يقوموا بأمر كهذا، خاصة وأن تلك المرأة سيرينا ليست معهم. فكيف يعقل؟
دخلت أمي غرفتي وأنا أنصت لأولئك الشبان وروايتهم حتى قالت: "أتسمع جيدًا؟ أترى كم هم خادعون وكاذبون؟ لم يمر على قدومهم إلا فترة وجيزة وانظر ماذا فعلوا؟".

فرديت: "غير صحيح، تلك افتراءات وأنت تعلمين هذا يا أمي، لماذا تطلقون الإشاعات وترغبون في إيذائهم بهذا الشكل؟".

فنهضت واقتربت لتجلس بجواري قائلة: "هم ليسوا منا ونحن لسنا منهم. ولا يريد أحد إيذاء غرباء أو ما شابه، وإنما حمايتنا في المقام الأول. أما عنهم فتتوالى عليهم أساطير وروايات شتى، حتى وإن كانت غير صحيحة فتبقى قائمة والحماية واجب حتمي علينا. لا نريد التهلكة".

فقلت متعجباً: "ولم لا نعيش معهم متحدين معاً؟ ماذا لو أثبت بطلان تلك الادعاءات هل سيتعدل الوضع؟".

فأجابت: "لا أعلم، ولكن لا أظن ذلك. عندما تقترن الأساطير وتتوارثها الأجيال، يصبح أمرًا مسلمًا به وغير قابل للعكس. غير أنه إذا أثبت شيء فسيكون لتلك الأسرة فحسب. أما عن أجدادهم فستبقى معلقة في الأذهان. سيكون كما لو أزلت قشرة لا أكثر".

أدركت أن الحديث لن يقدم شيئًا، وأصررت على أمري. لن أجيب على أمي.
فوجدتها تهم بالمغادرة، ولكنها وقفت فجأة والتفت قائلة: "أن كنت تهتم بأمانة والدك وشأننا فلا تفعل شيئًا يهلكنا، خاصة ضد الأهالي هنا".

فأومأت برأسي حتى خرجت.

حتى وجدت غرفتي في أحد أركانها ينبعث منها ضوء أزرق ساطع دون سابق إنذار، بدأ في التقلص تدريجيًا بشكل ما،

ثم توقف. ورأيت بنفسي مجددًا عيون رجل ليس بجسد كامل، وإنما بنصف جسد.
تصببت عرقًا وكاد قلبي يتوقف، لا سيما بعدما تحدث قائلاً: "قد جئت لك بأمر من السيدة سيرينا أنها تملى عليك وجوب خضوع أهل القرية والتوقف عن العبث مع السيد عادل وابنته، وإلا انتقمت شر انتقام. وإن كنت لم تفعل هذا بشكل ودي، ستتدخل هي وستكون عائلتك أول ضحاياها. وأردت أن أبلغك أيضاً بتحذير لا تخبر أحدًا مهما يكن بتواصلك مع السيدة سيرينا.

هذا التحذير ضعه نصب عينيك حتى لا تكون جثة هامدة". وبدأ في التلاشي واختفى، لم أنبش بكلمة ولم أتحرك منذ ظهر هذا الرجل واختفى حتى تراخت أعصابي تمامًا وافركت عيني جيداً وأخيراً تمالكت نفسي.

خرجت مسرعًا لأخبر أمي حتى وجدتها تعبث بشيء ما. وعندما رأتني، قالت متعجبة: "ما الأمر؟ لِمَ تبدو مرتبكًا؟ هل حدث شيء؟".

فرددت مسرعًا: "ألم ينصت أحد هنا لذلك الرجل؟"

فردت: "أي رجل؟".

تذكرت التحذير فقلت: "لا شيء، أعني اختلطت الأمور. أمي، أين خالد؟"

فقالت: "لا أعلم، ربما في الخارج".

فقلت: "حسنًا، سأنزل أيضًا. لا تقلقي، لن أذهب للفتاة".

ونزلت لا أعرف أين أذهب وماذا أفعل. أوقفني أحد المارة وصاح قائلاً: "قد أقحمت قريتنا في شر ذلك العالم. وكما أقحمتنا، عليك إخراجنا من ذلك المأزق.

في السابق عائلتين احترقتا، واليوم قتل أحد الشباب القرية. أنت من عاود تلك الأيام.

هذه المرة، أنت وعائلتك غادروا من هنا واتركونا".

رددت: "تمهل يا رجل، ما الأمر؟ ومن ذلك الذي مات؟"

فقال: "زياد، ألا تعلم؟". فقلت: "في أي مشفى؟" . فلم يجيب.

فقلت: "إن مات حقًا، أخبرني أي مشفى".

فرد مرتبكًا: "وما الفرق؟ فقد رأوه يضرب بعصا غليظة من فتاة ذلك العالم".

فقلت: "حسنًا، بالإضافة إلى طلبك لي بالمغادرة، فلن افعل ذلك سواء أنا أو عائلتي. وأياك أن تتحدث معي بهذا الشكل مرة أخرى".

وتركته وغادرت.

عند اقترابي من المزرعة، تذكرت تلك الأيام الماضية التي حملت الحب والخوف معاً، وحتى تأثيرها لم يتركني بعد. فالحب كما هو، وكذلك الخوف، وكلاهما لا يزال مفقودًا.

أعترف بأنني أحب الفتاة، وصراحةً هذا سبب رئيسي لتقربي لوالدها، ولكن الأمر اتضح لي فيما بعد أنه أكبر مني كبشري ومنها كملاك تنسب لشيطانة، فأنا إذا كنت

بمفردي لكنت فعلت ما أريد، ولكن هناك عالمين متناقضين: أحدهما يحمل العدل والرحمة ويتراسه أفعى والآخر يحمل الظلم والأنا البشرية.

تساءلت كثيرًا عن كيفية إنقاذ عالمي وعائلتي دون أذية الفتاة وعالمها؟

أخشى أن يأتي يومًا ما أضطر فيه إلى فعل دنيء يجعل مني شخصًا جبانًا كأهل قريتي الذين يفعلون أي شيء لأجل أنفسهم دون مراعاة الآخرين.

جلست في أحد زوايا المزرعة على حصير تبرز ألوانه البديعة عنان السماء وجمالها الصافي أودية وجبال وبساطتها الأنيقة التي تبغض التعقيدات، أثناء ذلك،

أتي أخي خالد من العدم فأنا كنت شاردة في مستنقع من الأفكار، صاح قائلاً: "مالك، أتسمعني؟ أنت بخير؟"

فانتبهت وقلت: "نعم، ما الأمر؟ ولماذا أنت هنا؟"

فأجابني: "في الحقيقة، أنا المفترض أن أسألك، لماذا أتيت هنا؟ ألم تخبرك أمي أن ترتاحي قليلاً؟"

فقلت: "بلا، كما تعرف لا أحب الجلوس في المنزل مطولاً."

فقال: "أخي، أيمكنني أن أطرح عليك سؤالًا ولا تنزعج مني؟"

فقلت قلقًا: "ما هو؟"

فقال: "أتعرف شيئًا عن هذا العالم الغريب وتلك المرأة سيرينا؟ فهي أخبرتنا أنك من تسبب في كل هذا وكادت تودي بحياتك لأجل كشف عالمهم، أليس غريبًا؟ أو تعرف شيئًا عن هذا؟"

فقلت بتردد: "أقالت لكم هذا؟ أخي، إنك تعرفني، أقسم أنني لم أكن أعرف ذلك العالم."

فسألني مجدداً: "وكيف عرفته؟"

ارتبكت وأخبرته عن تلك الليلة حينما رأيت أشخاصًا من عالم مملكة الإيقاع حينما ذهبت بالفتاة لوالدتها.

بعدما انتهيت، قال مجدداً: "إنه أمر لا يصدق، كل هذا بسبب ذهابك بالفتاة لوالدتها؟ ماذا كان سيحدث لو كشفت عالمهم حقًا؟" وضحك.

بادلته الابتسامة، ولكن ذلك الحديث زاد من قلقي وحرصي عند اتخاذ أي خطوة، وسألته هذه المرة: "أصحيح ما حدث مع إحدى شباب القرية؟ أهو مات؟"

فقال: "بلا، حتى الآن لم يمت، وإنما أصيب بإصابة قوية في الرأس، يقولون إن هلا في المنزل الغريب من فعلتها، وأشك في ذلك، فلا أظن أنها تملك تلك القوى."

فقلت: "اتفق معك، على أي حال، من الجيد أنه لم يمت."

وتابعت قائلاً: "ما رأيك في عالم مملكة الإيقاع؟"

فقال بتعجب: "مملكة الإيقاع؟ أهذا اسم عالم الفتاة؟"

فأجبته: "نعم". فسألني مجدداً: "وكيف عرفت؟".

فرديت :"لا تنسى أنني انتظرت عدة أيام وتلك المرأة التى استقبلتنا عرفتني أموراً شتى عن ذلك العالم وبالطبع من ضمنها الإسم".

فقال بعد تفكير: "إنه غريب يا أخي، ومع ذلك جميل، أنا لم أرَ عدلاً كهذا، أنهم قوم لا يخلفون القواعد مهما كان الثمن، وليسوا مثلنا، نخشى على أنفسنا دون مراعاة أحد. رغم أنني قضيت وقتا قليلا فيه إلا أنه أثار فضولي وانبهاري في آن واحد.

كما أن بساطتهم في الحياة مثالية ورائعة، أنهم أسوياء يا أخي، لا تعرف من بينهم من هو ثري ومن فقير، إنهم قوم واحد لا يفرقهم شيء سوى الموت.

ثم صمت وتابع: "أتعجب كون سيرينا تلك حاكمة عالم كذلك انهم عالم لا تشوبه شائبة، أنه مثالي لا يستحق تلك المرأة المريضة. وأنت ما رأيك؟

فابتسمتُ وقلتُ: "كما ذكرتُ، أنا أوافقُكَ. ترى، أيمكن للبشرِ التأقلمُ مع الازرقيينَ هناك؟"

فقالَ: "أزرقيون؟!

فقلتُ: "أعني شعبَهم. من يعيش فيه يطلق عليهم أزرقيون ،أيمكن أتأقلم معهم؟".

فردَ قائلاً: "لمْ أفكرْ من قبلُ، ربما نعمْ، لما لا؟

فقلتُ: "كيفَ وهمْ يبغضونَ أيَّ شيءٍ غيرِ بشريٍّ؟ أتَسمعُ عن الأساطيرِ التي لا زالوا يرددونَها اليومَ؟"

فقالَ: "لكنَّها حقيقيّةٌ. أمي وأبي شاركوا في إحراقِ المنزلِ بتلكَ المرأةِ المريبةِ.

فقلتُ: "أعرفُ، لكنَّ علينا أنْ نخففَ من حدةِ العداءِ. التفتُ لهُ وتابعتُ: "انظرْ، منذُ ذهابِنا هناكَ لمْ نلقَ إلا معاملةً حسنةً. لمَ لا نفعلُ المثلَ هنا؟"

فقالَ: "لا تنسي أنَّنا فقد من يدرى بوجودِ ذلك العالمِ.

فقلتُ بارتباكٍ: "أعلمُ. أعني ما رأيكَ أنْ نتكاتفَ ونُزيلَ معًا الماضي القاسي والصورةَ السيئةَ لعالمنا بالنسبة للمملكةِ الإيقاع؟"

فردَ أخي: "ما بكِ؟ تبدو مهتمّةً حقًّا بالأمرِ".

فقلتُ: "ألمْ تحذرْنا تلكَ المرأةُ عند عودةِ حمزة بضرورةِ عدمِ التعرضِ لعالمِهِمْ أو أذيةِ العجوزِ والفتاةِ؟ انظرْ ماذا يحدثُ اليومَ. ألا تخشى أنْ ينقلبَ الأمرُ علينا؟

فقالَ بعد تفكيرٍ: "وما شأنُنا نحنُ؟ لمْ نتعرّضْ للمنزلِ أو العجوزِ أو الفتاةِ. أيمكنُ أنْ تؤذينا لمجرد صمتَنا فحسب؟

فقلتُ مسرعًا: "بالطبعْ، لمَ لا؟ إنَّها ترى الجميعَ كبشرٍ ولا تفرقُ بينَنا وبينَ من آذى زوجَها وابنتَها. أفهمتَ قصدي؟

فقالَ: "ماذا نفعلُ إذاً؟

قلتُ: "نصلحُ بينهم. انظرْ، لا أستطيعُ فعلَ هذا بدونكَ. فلنبدأ نحنُ.

سأتواصلُ مع الرجلِ، وأنتَ تحدثْ مع أصدقائكَ أولًا. شاركهم بعدُ أفكارَكَ بشأنِ الأساطيرِ، وبينَ لهم حقيقة الافتراءاتِ التي كبرنا عليها."

فقالَ: "وما الدليلُ على ذلكَ؟ أنا نفسي لم أصدقْ بعدُ."

قلتُ: "أنّها امرأةً واحدة سيئةً ، ولكن عالمَها مثاليٌّ كما تعرفُ."

لم ألقَ ردًا حتى نهضَ أمامي وقالَ: "سأفعلُ ما بوسعي، لا تقلقْ.

هل ستعودُ الآنَ أم ستبقى هنا؟"

قلتُ: "سأبقى قليلاً".

غادر أخي وتركني في حيرة من أمري. ظللت أفكر مطولاً حتى مضى الكثير من الوقت وبدأ السحاب ينجلي ليحلّ ظلام الليل في رخاءٍ وسكون.

أثناء ذلك، أتت سيدة عجوز تبدو مألوفة بالنسبة لي، تتكئ على عصا. فنهضتُ وأتيتُ بكرسي من أرضنا وقلتُ: "تفضلي. اعتقدتِ أنّكِ ضللتِ الطريق. كيف أساعدكِ؟". فأجابتني: "لم أضلّ الطريق بعد."

حتى شاركتنا الجلوس. كنتُ سأعود للمنزل في ذلك الوقت، ولكن مجيئها قد أحرجني أن أتركها.

تحدثتْ أولاً قائلة: "أنتَ ذلك الصغير الذي يتهرب من قصصي ورواياتي، أليس كذلك؟". فقلتُ متسائلاً: "عذراً، يبدو أنّكِ اختلط عليكِ الأمر."

فقالتْ: "لا، أنا واثقة. تلك العيون لم تتبدل منذ زمن. فأنتَ لم تتغير. ما زلتَ الطفل ذو السبع أعوام."

فقلتُ: "أنا لا أعرفكِ. من الممكن أن تقصدي شخصاً آخر."

فضحكتْ وقالت: "ألا تتذكر العجوز التي تأبى أن تسمع لحكايتها وتخشى منها؟ ما بكَ؟ ألا تتذكرني؟"

بالفعل، كانتْ مألوفة. أتذكر تلك العصا وذلك الصوت، وحتى ثيابها وألوانها الغريبة. بعد تفكير، وجدتُ أنّها امرأة عجوز كانت تروي لصغار القرية أساطير وحكايات عن عوالم متعددة تعيش مثلنا، وعن كائنات تعشق العنف وتبغض الحياة، وآخرون في ذات العالم يعشقون السماحة ويألفون الحياة.

ونحن من أي عالم ننحاز إليه، وكان ذلك سؤالها في كل يوم تجتمع فيه بأطفال القرية الصغار.

فقطعتْ تفكيري قائلة: "إنني أعرف أموراً لربما تساعدكَ في تلك المحنة والكوارث التي تهدد حياتكَ وحياة أسرتكِ. كما أنّ لديّ حلاً لكَ وللفتاة بعيداً عن مشاكل تلك العوالم."

كنتُ مندهشاً ورددتُ: "ماذا؟ كيف عرفتِ أموراً كهذا؟ أأنتِ تابعة لتلك المرأة سيرينا؟"

فأومأتْ بنفي وقالتْ: "أعرفها كما أعرف عالمها. أنا أدرك نواياها وسمومها. لهذا أتيتُ لكَ لتدرك حقيقة الأمر." فقلتُ: "وما هو؟"

في اليوم التالي، انتظرتُ طويلاً أن تحضر الفتاة كعادتها منذ أن عادتْ إلى هنا، ولكن لم تأتِ بعدُ.

بعد ساعات من الانتظار، طُرِقَ الباب، وكان القادم ليس الفتاة بل والدتها. لم أفهم شيئًا، بل متى عادت تلك الملعونة؟ انتابتني مشاعر مختلطة ما بين رغبتي في طردها وفضولي حول سبب قدومها حتى تحدّثت مع أختي وأمي وأخيرًا قالت سبب زيارتها.

فجأة وكأن ضجيج العالم قد توقف لتخبرني جملتها قائلة: "أتمنى ألا تكون قد اختُطفت". ظننت الأول أنها لعبة تحكيها كعادتها، ولكن الفتاة لم تظهر حقاً منذ ليلة أمس. لا أعلم لماذا. وتذكرت عائلة القتيل خاصةً بعدما تأكدت أن ذلك الشاب قد مات. ربما هم من اختطفوها لأنها الأضعف.

فالأم شيطانة والأب يخشونها كذلك. حتى تذكرت الأضعف ربما تخبرني عن مكان الفتاة. كانت المرأة تعيش في كوخ صغير يكاد يكون مأوى لفرد واحد. فدخلت عليها ووجدتها جالسة تمسك ببعض الأشياء الصغيرة تعبث بها فسألتها: "أتعرفين أين اختفت الفتاة؟"

ردت: "نعم، أعرف". فقلت: "أين هي؟"

فقالت: "بشرط أن توافق على ما عرضته لك ليلة أمس".

فقلت غاضباً: "أتعلمين أنك تساومين على حياة فتاة بريئة؟"

فردت ببرود: "كما تريد، اذهب واتركها. ما شأنك بها تموت أو لا".

فقلت: "رجاءً، أخبريني مكانها فقط".

ثم تنهدت وتابعت: "حسنًا، سأفعل ما قلته أمس. أين هي؟"

فنهضت ونظرت تجاهي وقالت: "سأخبرك، ولكن كيف أصدقك أنك ستفعل لو أخبرتك؟"

فرديت: "أعدك بشرفي، ولا تنسي أن فعلتي تلك ستمحى شراً كبيرًا وستهدأ غضبي أيضًا لأنني سأثار لعالمي".

فقالت: "حسنًا إذا. ثم أخبرتني بالفعل أن تلك العائلة اختطفتها ووضعتها في منزل مهجور أعرفه أنا. فهو لا يسكن بها أحد منذ زمن كما أنه بعيد عن المنازل وبل وكل شيء تدب فيه الحياة".

فذهبت مسرعًا، ولكن عند دخولي وجدت ثلاثة أشخاص ساقطين فاقدين ومقعدًا به حبل طويل وسلاحًا ملقى على الأرض.

فاتصلت بالإسعاف. وقررت أن أتجه لمنزل الفتاة. فأنا أتوقع أن تلك الملعونة هي من فعلت كل هذا.

أثناء ذهابي وجدت الرجل مصابًا بطلقة في ذراعه اليمنى. تساعده ابنته وزوجته. فساعدتها أيضًا وطلبت إحضار الإسعاف، لكن تلك المرأة رفضت وأصرت أن أفعلها أنا. وبالفعل تمكنت من إخراج الرصاصة.

ثم سألتها: "ماذا حدث؟" لتجيبني ببرود وتبرر فعلتها: "حماية لأسرتها الصغيرة". عدت وسألتها مجددًا: "ماذا فعلت تحديدًا؟".

تدخل زوجها وبعد ذلك هي، ولا جديد في الأمر وكأن الأرواح ليست لها قيمة.

لم أتحمل الانتظار فغادرت وعدت للمنزل. بعد ساعة تقريباً، دخل أدريان غرفتي وقال: "إن الرجل المجنون ينتظرك بالخارج يريد أن يراك".

تعجبت وخرجت بلا تفكير حتى أفهم الأمر، وبالفعل كان لقاؤه بي قد ساعدني في بعض الأمور، منها إيقاف مخطط تلك الملعونة سيرينا.

بعدما غادر الرجل، عدتُ إلى غرفتي لأفكر قليلاً. وبعد مرورِ دقائقَ معدودة، دبت جلبةٌ مفاجئةٌ، فخرجتُ من غرفتي لأجدَ أخوتي وأمي ينظرون من النافذة بقلقٍ بالغ. فسألتهم: "ما الأمر؟" فأجابني خالد دون أن يلتفت إليّ: "انظرْ".

ومن هنا علمتُ أن عالمنا مهددٌ بالخطر، كما قالتِ المرأةُ العجوزُ ليلةَ أمس.

أمس،،

جلستِ العجوزُ معي بعضَ الوقتِ لتخبرني بأساطيرَ ورواياتٍ عن عوالمَ أخرى لا يعلمُها من البشرِ إلا قلائلُ. ولكن لكل عالمٍ عقبة.

في سياقِ مشكلتي مع تلك المرأةِ المريبة، كان حديثُها في الأغلبِ عن سيرينا وطفولتها المدللةِ، حتى أصبحتْ شابةً وانتقلتْ من عالمٍ لآخر حتى عشقتْ السحرَ وحبّ السيطرةِ والقوةِ وإرهابَ كافةِ الكائناتِ الأخرى، سواءً من جنسِها أو من جنسٍ آخر. وكان هذا هو طابعُها ولا يزالُ هكذا منذ زمنٍ طويل.

كانَ تجمعُ العجوزِ بسرينا علاقةً أخويةً، واتضحَ أن هذا من جهةِ العجوزِ فقط. أما عن سيرينا، فاتخذتها كي تعلمها التأقلمَ مع البشرِ. وعندما لم تلقَ أيّ فائدةٍ منها، تركتها وتصنعتْ المغادرةَ حتى رأتها العجوزةُ تقتلُ شخصاً ما، واذاعتْ الأمرَ حتى بدأتِ الناسُ تصدقُها وبدأوا يلاحظون تلك المرأةَ ذاتَ العينينِ الزرقاوين المتسعتينِ.

ومن هنا صارَ كلُّ ما يقتربُ منها أو يتعاملُ معها عدوّاً أو غريبَ الأطوارِ بالنسبةِ لأهلِ القريةِ. وكلما حدثَ أمرٌ ما أو اختفى طفلٌ، يلقي الناسُ اللومَ على تلك الغريبةِ. حتى حدثتْ الواقعةُ الأخيرةُ _أحراق المنزلين_ أمامَ مرئي ومسمعِ العديدِ من الأهالي، وكان هذا بمثابةِ تصديقِ تلك الرواياتِ والأساطيرِ التي تُروى عنها.

فتاة العالم الاخر

بعدما رأيتُ ذلك الضخم ينزفُ كثيراً وأبي يصرخُ بي بهذا الشكل، ارتعدتُ. لا أعرفُ ماذا أصنعُ في تلك الحالة إلا أن غادرتُ مسرعةً إلى أي مكانٍ أختبئُ فيه. وقد نسيتُ أنني غريبةٌ، بل منبوذةٌ في هذا العالم. سرتُ متخفيةً قدر الإمكان، أسيرُ من زقاقٍ إلى آخر حتى أنني أجهلُ أين أنا. فكل ما أعلمهُ حتماً هو أنني ضللتُ الطريق.

فكرتُ في الأول في الذهابِ للفتى وإخبارهِ عن الأمر، ولكن تراجعتُ عندما تذكرتُ شقيقهُ الأوسط الغليظ ذاك، بل ونظراتِ باقي البشر إذا صعدتُ لمقابلةِ تلك العائلة بعد تلك الجريمةِ التي ارتكبتُها. لربما يعاملوهم بسوء.

كنتُ أعلمُ أنني لتوّ قتلتُ بشري، فلم أقصدْ هذا، لكنني خشيتُ على والدي وكانتْ ردةُ فعلي تلقائيةً وساذجة في ذاتِ الوقت.

في إحدى الشوارعِ المجاورة، كنتُ قد بقيتُ وحيدةً بجوارِ بائعٍ بشري حتى لا يشكّ أحدُ المارةِ بأمري. لاحظ ذلك الرجلُ وقوفي فسألني: "من أنتِ؟".

كنتُ لم أظهرْ وجهي، لكنني أجبتُ بترددٍ: "وما شأنك؟".

فردَ باستفزاز: "شأني أنكِ غريبةٌ وواقفةٌ بجوارِ محلي التجاري، ونحنُ هنا لا نسمحُ ببقاءِ الغرباء. فمن تكوني؟".

فلم أجِبْ، بل سرتُ مشياً على الأقدامِ مهرولةً نحو المجهولِ حتى أوقفني صوتٌ ما قائلاً: "أنتِ، أتظنينَ أنكِ ستفلتينَ من عملتكِ تلك؟ لتوّ قتلتِ ابني، وسأثأرُ أنا بهِ".

قبل أن ألتفتُ، لقيتُ ضربةً قويةً على رأسي حتى فقدتُ الوعي، ولم أفقْ إلا على عدةِ أصواتٍ في مكانٍ ما يبدو شبه مهجوراً. وبدأتُ أرى تدريجياً حتى اتضحتْ الرؤية. وكان هناك ثلاثةُ بشريين: اثنانِ من الرجالِ وامرأة. اقتربَ أحدهم وقال: "أتعلمينَ من نحن؟".

ردّ الآخر ضاحكاً: "نحنُ آخرُ وجهٍ سترونهُ".

ثم تابع: "إن كنتِ تجهلينَ ما ستفعله بك، فسنعرفكِ. أنتِ من بدأتِ بالقتل، ونحنُ هنا نثأرُ لمن قتلَ غدراً وظلماً. فما بالكِ عندما يكونُ أخي؟".

نسيتُ أن أخبركِ أنني شقيقُ زياد الأكبر، وتلك المرأةُ زوجته وذلك الرجلُ أبيهِ. وأنتِ، أيتها الصغيرة، قتلتِ واحداً منّا عزيزاً علينا جميعاً. ومن دورنا أن نثأرَ حتى ولو كانَ ضدكِ أنتِ ووالدتكِ الغريبةُ وأبيكِ.

والآن علينا انتظارُ والدكِ. كي نقتلهُ أمامكِ؟ أليس هذا ما حاولتي فعلهِ؟ آخرُ ماتَ بسببكِ. فلتنهِي بابيكِ عندما يأتي.

وإشارةً لرجلِ الأخير، قالَ: "الآن".

لم أفهمْ، ولكن وحدتها يأتي بشيءٍ غليظٍ وضمّ يداي على بعضها البعضِ بقوةٍ، ثم أتى بقطعةٍ من الثيابِ حتى يغمي عيناي.

بعد قليلٍ، سمعتُ أحداً قادمًا، وقالتِ المرأةُ: "قد جاءَ الرجلُ".

علمتُ أنهُ أبي، ووددتُ حقاً لو يغادرُ سالماً معافى. ثم بدأ يتبادلونَ الحديثَ، تارةً بسخريةٍ وتارةً أخرى بجدية.

حتى فجأةً، أصدرَ أحدُ الموجودينَ الثلاثةِ شيئاً أصابَ أبي، فكانَ يتوجعُ ألماً.

أثناء ذلك، دوى ما يشبهُ انفجارٌ تجاهَ البابِ الذي رأيتهُ قبل وضع عصابة العين وعلمت بطبيعة الحال أنّ أمي من فعلت ذلك، فالباب تهشم أثر اشعاعها القوي ثمّ جاءت لتفكّ قيدي بعد ذلك وتساعد أبي.

عاونتها بدوري حتى عدنا إلى المنزل، ولكن كان بانتظارنا الفتى ليستقبلني بقلقٍ، وغادر بغضبٍ من أمّي.

ولكن قبل أن يغادر، خرجت معه لأشكره على ما فعله. فقلت: "شكرًا لك".

فتبدل وجهه الحازم إلى آخر كما اعتدت عليه. نظر إليّ وقال: "أنا لم أفعل شيئًا. هذا من واجبي. لا تقلقي، سأكون معك دائمًا".

فابتسمت وقلت بحرج: "لا أعرف ماذا أقول، ولكن على أي حال لا تغضب من أمي رجاءً. فقط أنس ما فعلته في الماضي".

عاد العبوس إلى وجهه مجددًا وقال: "أن والدتك تلك شيطانة. لا أعرف كيف تكونين أنتِ ابنتها. إنني أشفق عليكِ بمثل تلك الأم".

لم أجِب وفضلتُ الصمت. فعاد وقال: "أنا آسف، لم أقصد أن أجرحكِ. ولكن لا تنسِي أن تلك المرأة آذتني كثيرًا، أكثر حتى مما تتوقعين. إنها تُسلب الأرواح كيفما تشاء دون حساب أو رقيب".

فسألته: "وهل هناك أرواح سلبتها؟"

فرد بعد صمت بتردد: "لا أعلم ، سأغادر من بعد أذنك."

وتركني وذهب. عدتُ للداخل في شك من كلامه هذه المرة. هل يعقل أن تكون أمي قتلت من قبل؟ خشيت أن تكون هذه حقيقة. إنني أعلم أمي حينما تغضب أو تقرر شيئاً ما، ومع ذلك لا أتوقع تصل لمرحلة القتل.

دخلت غرفتي لأكون وحيدة بعد الوقت لأعرف أي خطوة قادمة سأتخذ. ثم طرق الباب ودخلت أمي قائلة مبتسمة: "ما الأمر؟ هل تعاقبينني أيضاً لأني أحاول أن أساعدك أم ماذا؟"

فرددت: "كنتُ أتمنى ألا تفعلي هذا. على الأقل لم أكن منبوذة هنا أو في عالمي."

ثم خرجت بملامح جامدة. شعرت أن قدوم أمي لعالم البشر حتماً لسبب ما، وليس والدي هذه المرة هناك أمر مريب يحدث لا أعرفه بعد.

قررت في الأيام القادمة أن أراقب أمي عن كثب.

مرت أيام ولا جديد، لكن لاحظت أن علاقة أبي بأمي تتوتر يوماً بعد يوم وبينهما شيء ما يخفيانه عني.

كان ذلك واضحاً في كل اجتماع بيننا كأسرة. حتى سمعت في أحدى مرات الجدال في غرفتهما يقول أبي بتهجم: "سيرينا يجب أن تتوقفي عن ذلك الأمر وإلا كانت عواقبه وخيمة. إنك تشكلين خطراً علينا جميعاً."

لترد أمي: "ألم توافقين في الأول؟ ما الذي غيرك؟ أهذا الفتى مجدداً؟"

فرد أبي: "أجننتِ أم ماذا؟ فتى بعمر ابنتي يغيرني ولما لا تقولين أنها أزال الغبار الذي قمت بوضعه على عيني."

فصاحت أمي غاضبة: "انسيت من تكون؟ بمجرد أن أزيل ذلك الوجه الذي صنعته لكنت مشرداً أجرب كما عرفتك وحينها لم يكن ينظر لك الفتى ولن تكون لك زوجة أو ابنة. أنا من صنعتك وجعلتك بشرياً مثلهم."

لم يجيب أبي بل غادر المنزل. أكاد أجزم أن لولا عدم وجود أحدا يقترب من منزلنا لكان الأمر أشبه بعرض كبير.

أنا لم أفهم شيئاً قط مما قالت أمي لتو. وفي ذات الوقت تركتها لتهدأ قليلاً حتى يتسنى لي معرفة ما يدور وما حكاية ذلك الوجه. فكنت قد سمعت الفتى في السابق يحدث أبي عن هذا الموضوع أيضاً.

بعد مرور عدة ساعات، لم يعد أبي من الخارج. كنتُ قلقةً بشأنه، ومع ذلك قررتُ أن أواجه أمي لأفهم كل شيء. فذهبتُ إليها وكانت في تلك الأثناء تتحدث مع أحدٍ

ما، لكنني لم أستطع أن أراه، فذلك العمود يحجب الرؤية. ومع ذلك حاولتُ أن أنصتُ لِهَمْساتهما جيدًا، وشيئًا فشيئًا اتضح مع من تتحدث. فهو رجلٌ ليس بشريًا ولا من عالمنا، ربما كائنًا من عالمٍ ثالث لم أذهب إليه من قبل.

كان صوتها منخفضًا وكذلك هو، لذلك سمعتُ القليل. وفي الأخير قالت: "اذهب الآن حتى أبلغك الإشارة".

فعدتُ لغرفتي مسرعةً حتى لا تكشفني أمي، ثم تصنعتُ الخروج مجددًا كي أحدثها وأطرح عليها بعض الأسئلة. فقلتُ: "أمي، لماذا تجادلتِ مع أبي؟ في العادة لم أراكم هكذا من قبل".

فرددتْ: "لا شيء، هو فقط يخالفني في بعض الأمور".

فسألتُها بألحاح: "مثل ماذا؟".

فردتْ: "لا تكترثي لأمرنا، سيعود لرشده عما قريب".

فعاودتُ لأسألها مجددًا: "حسنًا، وماذا عن وجه أبي؟ منذ قليل كنتِ تقولين بمجرد أن أزيل وجهك لكنتِ مشردة أجرب. ماذا تعنين بتلك الجملة؟ ما به أبي؟".

ارتبكتْ ورددتْ: "ما هذا الحديث؟ أكنتِ تراقبيننا أم ماذا؟".

فأجبتُ: "بلا، لكن صوتكما كان عاليًا. أخبريني بالحقيقة يا أمي، أنا ابنتكم ومن حقي أن أعرف كل شيء".

فقالتْ: "حسنًا، لكن لا تخبري أباكِ أي شيء، اتفقنا؟".

فأومأتُ برأسي بالإيجاب، ثم تابعتْ قائلة: "أن والدك عاش طفولة قاسية لمجرد أن شكله غير لائق بالنسبة لأهالي قريته. فكان الأطفال لا يحبونه بل يسخرون منه حتى ابتعد وبقى معزولًا عن أقرب الأشخاص إليه، حتى عائلته.

فكانت سببًا رئيسيًا في تحطيمه. من جهة يمزحون على شكله حتى أطلقوا عليه اسم "الأجرب"، ومن جهة أخرى لا يعيروني أي اهتمام وكأنه لا وجود له.

فكان حقًا وحيدًا وسط مجموعة من البشر لا يقدرون مشاعره ولا يتركونه يعيش. حتى كبر وأصبح شابًا، وساء الوضع أكثر لدرجة أنه قرر أن ينتحر.

وهنا كان التقائي به. في الأول لم أعلم أنه أراد الانتحار، لكن بعد ذلك أخبرني.

على أي حال، تلك الليلة التي رأيته فيها أول مرة لم اهتم بمظهره أو تلك التفاهات التي يرددها أهالي قريته. بل جذبني بتميزه ورحمته. فكان طيب القلب، عطوفًا، به

سمات عدة لم ألقها في أي بشر من قبل. حتى أنه كان يتركني ولم يخشاني كباقي الأهالي، بل عاملني بحب ورأفة حتى أحببته. وكان ذلك أول وآخر حب في حياتي. وقررتُ أن أتزوجه.

عارضني أبي بقوة، لكنني أصررتُ على موقفي ثم حاولتُ إقناع والدك بأن يعيش في عالمنا، لكنه لم يوافق . فقررتُ أن أعيش معه في عالمه البشري. وكنت كل يوم أراه يعود حزينًا من الخارج بسبب تنمر بعض أبناء الأهالي له. وفي كل مرة يعود منهارًا لذات السبب. كنت أغضب ويزيد كرهي للبشر أكثر.

حتى فكرتُ في تبديل وجهه مهما كان الثمن. فعدتُ لعالمي وكنتُ كما تعلمين أعشق عالم السحر وعالم أخرى. فمن هناك أتيتُ برجلٍ استطاع أن يبدل وجه والدك حتى صار كما ترين اليوم. ومن حماقة البشر ظنوا أنه مات أو قتل، ولا يدركون بعد أن والدك هو ذات البشري الذي كانوا يسخرون منه.

قلتُ بتعجبٍ: "كيف كان وجهُ أبي حتى تسخر منه الأهالي؟ كيف يكون ذلك الوجه زائف؟ وهل رأيته أنا من قبل؟"

فردّدتُ: "لا، ليس بعدُ."

فسألتُها مرة أخرى: "أمي، لا أرغبُ أن أقولَ هذا، ولكن عليّا قولُها: أنتِ وأبي بارعانِ في الكذبِ في حياتِي بأكملِها. لم أرَهُ كذِبًا كهذا في الأولِ. عشتُ في عالمٍ لم أنتمِ إليهِ حتى لم أعدْ أستطعُ العيشَ إلا فيهِ، ليتضحَ أخيرًا أنه ليس عالمي، بل عالمٌ صرتُ فيهِ مكروهةً وغريبةً. والآنِ تخبرينِني أن أبي هذا ليس وجهَهُ، وكيف تخفينَ عني هذا؟ ألا تعلمينَ خطورةَ أن يعودَ وجهُهُ في مرةٍ وأعاملهُ أنا بدوري بقسوةٍ كبشريٍ غريب؟

رجاءً، في المراتِ القادمةِ، اكذبوا كيفما شئتم، ولكن ليس في تلك الأمورِ المصيريةِ.

صمت ثم تابعت قائلة:"**أمي، أريدُ أن أسألكِ رجاءً لا تكذبي هذه المرة. أقمْتِ بقتلِ أحدٍ من قبل؟ أحقًا حرقتِ ذلك المنزلينِ من غيرِ عمدٍ وأنتِ لا تعلمينَ أن بداخلهما أحدًا؟"

فنهضتْ وأدارتْ ظهرها قائلةً: "بالطبع، ذلك الفتى ملأَ عقلكِ بالافتراءاتِ، صحيحٌ؟"

فقلتُ: "أتمنى هذا، وألا تكونَ حقيقةً. إنكِ لتوّ عايرتي أبي بشيءٍ ثقيلٍ عليهِ وتدركينَ ذلك، وفي ذاتِ الوقتِ تدّعينَ أنكِ تحبينِهِ، كيف هذا؟"

فالتفتتْ لي وصاحتْ قائلةً: "لا تتدخّلينَ في أمورٍ لا تعنيكِ ولا تحاسبينِني بهذا الشكلِ. وإن كنتِ تلومينِني على كلّ هذا، فماذا عنكِ وقد تسبّبتِ في قتلِ أعزّ صديقاتِكِ؟ أتتذكرينَها، أم أنّ الفتى محى عقلكِ تمامًا وإنساك أنه قاتلها؟"

فرديت بغضبٍ: "لم يفعلْها، وأنا متأكّدةٌ من هذا."

فقالتْ ببرودٍ: "هذه المشاعرُ تجاهَهُ تجعلكِ تنسينَ ما فعلهُ، حتى ولو لأحبّ صديقةٍ لكِ."

أمي حتى اليوم لم أعرف بعد ما حدث لها، لكن أعدكِ أن من فعل بها هكذا سأجعله يندم، حتى ولو كان أنتِ! هكذا رديتُ، ثم عدتُ لغرفتي غاضبة.

بعد قليل، طرق الباب فخرجتُ لأفتحه، وكان ذلك أبي، فسألته: "أين كنتَ؟"

فرد: "عند الفتى".

لم أفهم حقًا، ذهب هناك وكيف استقبله شقيقه الأوسط؟ على أي حال، دخل أبي وطلبتُ منه أن يبقى معي لبعض الوقت.

ثم قال: "هناك أمر يجب أن تعلميه أولاً، لربما تستطيعين أنتِ إيقاف والدتك عما ستفعل".

ثم نهض وذهب بضعة خطوات تجاه الباب، فتحه ونظر في أنحاء المنزل قليلاً، والتفت لي وتابع قائلاً: "أنّ والدتك تنوي شرًا على عالمنا، نحن البشر، وأنّ لم يوقفها أحد فسينهار كل شيء، سواء هنا أو في عالمها".

فسألته بقلق: "ما الأمر؟"

فرد: "أولاً يجب أن تعلمي أنّني لم أقصد أبدًا أن أضر أحدًا، حتى ولو آذاني، ولكن والدتك دائمًا ما كانت تقوي لديّ روح الانتقام، وكنتُ لا أعلم، أتبعه بحماقة كالأعمى، لربما لأنني كنتُ أصدقها.. ابنتي عليكِ أن تعديني أنّكِ لا تكرهيني أبدًا، ومهما عرفتِ عني، فأنا ربما بالفعل دخلتُ طريق الشر، ومع ذلك سأخرج منه بإرادتي كما دخلت".

ثم أخبرني بما قالته أمي منذ قليل، وفي الأخير قال: "عندما يعود وجهي ومظهري كما كان، لا تخافي، وإن كنتِ لا تريدين العيش معي، فكما ترغبين، لكن أعلمي أنّني أحبكِ ولطالما كنتُ كذلك".

فقلتُ: "لا تقل ذلك يا أبي، ما يؤلمني حقًا هو الكذب، وبما أنّك قلتَ كل شيء، فأنا أسامحك".

صمت قليلاً، وعدتُ لأسأله: "أبي، ما الأمر الذي يجب أن أعرفه عن أمي؟".

اقترب وجلس بجواري قائلاً: "أنّها تنوي إقامة حرب فعلية بين العالمين، وقد أعدّتْ جيشًا مهولًا على الجانب الآخر، وفي أي وقت قد ينقض علينا هنا".

هتفتُ قائلة: "ماذا؟! وكيف عرفت؟"

فأجاب: "رأيتُ بيانًا كانت قد أخفته في حجرتها وربما أرسلته لقائد الجيش في مملكة الايقاع، ولكن ما أجهله حقًا أي إشارة تلك التي ستصدرها كي يبدأ الهجوم".

قلتُ متسائلةً: "ولماذا ذهبتَ للفتى؟ أهو ذاتُ السببِ؟".

فأومأ بالإيجاب، وكان هذا بمثابة بداية النهاية لعالمِ أمي أو البشرِ. حتماً تلك النوايا السيئة التى تحملها أني لا تؤتي إلا بالشر ليس فقط على عالم البشر وأنما على عالمنا مملكة الايقاع أيضاً وكل هذا لأجل تحقيق غايةِ غير عادلة، في الأخير الأمر صار تهديداً مباشراً في كلا العالمين أن لم يتحرك أحد ويوقف تنفيذ ذلك الاقتحام.

كنتُ شاردة حتى قطعَ أبي حبل أفكاري قائلاً: "أتعلمين ماذا قال الفتى؟".

ثم صمتَ ونظرَ في الأنحاء، وتابعَ قائلاً: "أنه يعلمُ ويحاولُ منذ أيام إيقافَها، ولم ينجحْ بعدُ. عزيزتي، هناك شخصاً هنا يعلمُ حقيقةَ والدتكِ أكثر مني ومنكِ، وذلك الشخصُ هو من أخبرَ الفتى بكل شيء يخص سيرينا".

فسألتهُ بتعجبٍ: "من يكونُ هذا؟".

فأجابني بعدم المعرفةِ، ولكنهُ أشارَ إلى أنها امرأة عجوزة، بل وبشرية.

أثناء ذلك، حدثتْ جلبة قوية في الخارجِ، على عكس الطبيعي خاصةً هنا بالقرب من منزلنا.

ألقيتُ نظرة عبر النافذة الصغيرة، ورأيتُ وميضاً أزرق ساطعاً منبعثاً بقوة في كافة أرجاء القرية، فأنا بالكاد أراهُ. ومع الوقت، لم أستطعْ أن أنظرَ إليه من شدة قوتهِ. والآنَ، بدأت في التلاشي بشكل تدريجي ليتضح أنها إشارة تنم عن بدء عملية الاقتحام أو المعركة.

سيرينا نوكتورا

لم يبقَ الكثير، فكلّ واحد يلعب دورًا مهمًا في خطتي. لا يدركون بعد ماذا يصنعون. لطالما وطّدتُ علاقاتي لمثل هذا اليوم، سواء كان بالقوة أو بالتحايل أو حتى بالخداع والألاعيب. هكذا، أبطال خطتي يسيرون على نهج مختلف، ولكن مؤداهُ حتما واحد لا غير.

فابنتي استغليتُ عاطفتها الجامحة في عالم البشر أما عن زوجي ورغبة انتقامها جعلتْ منها لهيبًا لا يشفق ولا يرحم. كل هذا في سنواتِ معرفتهِ، فقد ظنّني فريسة، في حين كان هو الطعم.

أما عن العوالم الهشة الأخرى من السحرة والعفاريت، وحتى عالم الظل والخفايا، فكلها أدواتٌ جعلتها خاضعة بإرادتي.

أبلغُ أنا حلمًا قد بنيتهُ على مدار سنوات. انتظرتُ الإشارة من عالمي حيث ذهبتُ بكامل جيوشٍ هائلة، كنت قد جمعتها بكلّ كائناتها وأطيافها من عوالم شتى قمتُ باجتياحها سابقًا لمثل ذلك اليوم المهيب، لأضمّ عالمًا آخر كبيرًا عظيمًا مؤذيًا كعالم البشر.

ما ساعدني على ذلك هو شكوى الكائنات في العوالم الأخرى من البشر. فالحيوانات تأذّت دون سبب، والمياه بأنواعها المختلفة تلوثت. أما عن الرياح، فقد تآكلت وتشقّقت أثر غارات من صنع البشر وأسلحة صنعت لقتل اخرين وقنابل المدمرة لتتسرب رائحة البارود الهائلة. متناسين حقّ تلك العوالم التي رغبتْ في العيش بسلام دون عنف أو اضطهاد،

فالبشر لم يكتفوا بآذية أنفسهم فحسب، وإنما دمروا معهم الطبيعة الخلابة والأنهار المتدفقة والصخور الشاهقة. والمناظر الساحرة، كل شيء بدا يندثر. وإذا استمرّ الوضع لربما قتل بعضهم بعضًا وانتهى من كلّ الكائنات على سطح الأرض، ولتوقف عن هذا فما كان مني إلا أن انتقم شرّ انتقام لهم من ذاك العالم الخطير.

لذا، أخذت الجيوش كي اقتحم ذلك العالم وانتظرت اختراقاً واحداً بعد تلك الرسالة التي بعثتها للفتى. واتى مراقبي يخبرني بتعقد الأمور كما أردت، ومع ذلك لم يأتي أمر الاختراق.

فانتظرت في حافة عالم مصغر لا يتسع إلا لفردين أو يحمل عدداً قليل.

أثناء ذلك، تذكرت أنني ما زلت منبوذة في عالمي وأنني إذا أتى الاختراق واقتحمت، فربما يتحد العالمان ضدي، سواء البشر أو مملكتي. ففكرت في أمر به

مجازفة واضطرار وخشية، وهو البدء بخضوع عالمي عنوة واقتلاع جذور قوانين العدالة والحق وغيرها من الترهات التي يتبنونها منذ زمن طويل.

فانطلقت بالفعل لعالمي عنوة وأبلغت الإشارة للجيوش للتحرك والاستيلاء على ما يرغبون حتى يتجهزوا للمعركة الكبرى في عالم البشر.

كان الأمر ميسراً. واتضح أيضاً أن عالمي هش. أعلنت العصيان والتمرد على الحكم وأبلغت قائد الجيش باعتقال كل ما من شأنه أن يفتعل نارا أو شيئاً إلي صومعة العزل. حتى امتلأ على آخره. فبنيت الكثير ولم أتوقف، وجعلتهم من حكام إلى ضعفة ومساكين.

بدلت القواعد والقوانين وكنت صاحبة القرار الأخير. ومن لا يعجبني كنت أنفيه حيث أريد.

بعدما أحكمت السيطرة على عالمي، ولم تأتِ الإشارة من عالم البشر بعد، قررت الذهاب بنفسي حتى أتعجل الأمر واقتحموا نهائياً.

مررتُ عبر البوابة الفاصلة، وكانت وجهتي الأولى نحو عائلتي الصغيرة. كان السير في تلك القرية مثيرًا، وخاصةً عندما قررت السير دون إخفاء وجهي ومظهري حتى بلغت منزلي ووجدت زوجي أخيرًا وابنتي وبشريًا ملقى على الأرض ينزف دماءً كثيرة. أخبرني زوجي عندما رآني: "هلا من ضربته.. انظري ماذا سنفعل؟"

فقلت: "تمهل يا رجل".

وتقدمت نحو ذلك البشري فوجدته ما زال حيًا. فقلت لهم: "لم يمت بعد. أخرجوا من المنزل حتى يراه الأهالي ربما يساعدونه، حتى نثبت حسن نيتنا على الأقل".

قلتُ هذا بدافع خداع ابنتي وزوجي، وكان سهلاً ففعلوا ما قلت، بينما أرسلت في تلك الجلبة رجل الظل بأمرٍ ليقتله مسرعًا قبل مساعدة الأهالي.

أتت الرياح كما أردتُ، وكان واقع هذا الأمر بمثابة بداية الحرب. في الأول، بعثتُ رسالة لقائد جيشي "شادو ويفبليد"، تحمل في مضمونها قلقاً بالغاً، سواء من إعلان ما حدث لعائلتي، أو مدى خطورة الوضع كعالم ضعيفٍ هشّ بالنسبة للبشر. وكنتُ قد أبقيتُ أعواني ليشيعوا ما أصدرتُ دون تفكير أو اكتراث، حتى أتمكن من تبلور فكرة العداوة بين مملكتي وعالم البشر. حتى من وضعتهم في صومعة العزل، أصررتُ أن يكونوا من أوائل معرفتهم بالأمر، حتى يكونوا معي في تلك الحرب وتتبدل أفكارهم ولو قليلاً بشأن البشر، خاصةً في ذلك الوقت.

بيان

من سيرينا نوكتورا إلى مملكة الإيقاع العظيمة الأبية. بصفتي حاكمة عالمكم، سواء بالشرعية أو بالقوة، يجب أن تعلموا أن الوقت قد حان، ولا سبيل أمامنا سوى الاتحاد. فإن لم نفعل، فسنكون على حافة الهاوية.

إن الفرص ضئيلة في الحياة، لا سيما عندما يتعلق الأمر بالنفي أو الاضطهاد من عالم لا يعرف إلا التسامح والود ومحاولة التصالح مع العوالم المحيطة إلى آخر عنيد ظالم أناني يفعل أموراً دنيئة لحمايته وإيذاء الآخرين.

فقد سبق وخضعنا لهم، ولكن اليوم لنسابق ونفعل أموراً مضطرة، ألا وهي اجتياح عالم البشر بدلاً من أن يسبقونا بخطوة.

قد أصدرت قراراً بوجوب التدخل لإنقاذ عالمنا المشترك، بصفتي حاكمة وبصفتكم أزرقيون. أن عالمنا كتب عليها أن يقاتل أعداء من نوعاً خاص وأن نقف في صف لا يفرقنا أحد. أن عالمهم الكبير الذي ربما لا يتسع لجيشنا، ولكن أيها القائد الأعظم، يجب أن تدرك دورك جيداً وتعلم أنه ليس مقتصراً على حمايتنا فحسب، وإنما لأجيالنا القادمة. لذلك علينا جميعاً أن نتحمل بعضنا البعض ونقف ضد عالم الشر الذي جذبنا لأعماله الفاسدة.

أنهم أحرقوا في سابق منزلاً بسيطاً لابنة حاكمة المملكة، وكنت بداخله أنا وابنتي وزوجي البشري، واليوم يعاد الأمر مجدداً حيث قتلوا رجلاً منهم ويريدون قتلنا بافتراء أن ابنتي من فعلته. إن عالمنا تحكمه الدلائل، ولكن لديهم يحكمهم الظلم.

أيها الأزرقيون الأعزاء، قد صدر بشأنكم جميعاً قراراً بإخراجكم من صومعة العزل وانضمامكم نحو نظام يعيد تشكيلها وهويتنا.

فمنذ اختلاطنا بعالم البشر، كثير منا غادر أو تغير. ستضع بعد تلك الحرب قوانين أخرى تحافظ على نهجنا وعدلنا وهويتنا.

ختاماً، أردت أن أحيطكم علماً بمدى سوء الوضع والتجمهر الذي نواجهه هنا بصفتنا غرباء في عالم البشر، بينما نحن نضمهم إلى عالمنا دون تفرقة أو تمييز، ونقوم بأفضل الواجبات لأجلهم. هذه عاداتنا ولا شيء فيها يثير الغرابة، بينما هم يتخذوننا عبيدًا جبناء. لقد أعلنت الحرب، فكونوا على أتم الاستعداد حتى أبعث برسالة بدء المعركة. ومن خلف البيان وضعت وصفه سحرية كي يختفى بعد الكلمات لأرسالها بصفة خاصة لقائد الجيش بدلاً من نائبه فكنت قد ارسلته لمهمة

بعيدة عن مملكة الإيقاع ليتسنى لي فعل ما يجب دون رقابة أو شيئاً من هذا القبيل تلك الكلمات كالتالي: أيها القائد "ليث ستارك"

بصفة خاصة، إن عالمنا يقع حمايته عليك، فانتبه ولا تحيد عن تطبيق العدالة والحق، وانتظر حتى يأتيك الأمر.

بعثتُ ذلك البيان وانتظرتُ مطوّلاً لتأتي إشارة بدء الحرب. ما وجدته تلك الأيام لم أضعه في الحسبان حيث رأيتُ الفتى يتحدث مع ابنتي مراتٍ عدة ويتبادلانِ الابتسامات، وكأنّ ما حدث في الأيام الماضية لم يكن شيئًا.

تعجّبتُ، وكلما سألتُ عادل، يُخبرني بعدم معرفته، وأنهُ أيضًا لاحظ تلك العلاقة بينهم منذ مدة. ما أثار تعجبني أن أبنتي لم تحاولْ على الإطلاق أن تتحدث مع بشري، فما بالك بشخصٍ كهذا؟ كما أخبرني زوجي أن تلك الليلة التي غادرتُ فيها كانت بسبب الفتى، فكانت تراقبهُ كثيرًا دون أن يدري أحد، وهذا تفاجأتُ بهِ أيضًا.

كنتُ أظنّ أن ابنتي فعلتْ كلّ هذا بنظر الشفقة والرحمة والفضول لتملّكها ذلك القلب الصغير، ولكن بعدما رأيتُ عينيها بعد كلّ مقابلةٍ مع ذلك الفتى وارتجاف صوتها عند التحدث عنه، أدركتُ أنها وقعتْ في فخّ والدتها. وهذا ما لا أضعه في الحسبان أو في خططي لتخلّص كافة من عائلته، وهو.

منذ عودتي لعالم البشر لم أرَ الفتى وجهاً لوجه. حذرت زوجي وابنتي أن يخبروه بقدومي، فكنت أفعل كل شيء سرّاً. عاد أهل القرية يخشوننا مجدداً، خاصةً بعد تلك الواقعة التي حدثت لأحدهم ومات فيها. حتى اكتشفت عن طريق الصدفة مكيدة قد صنعها أهل القتيل لنا، وهذه المرة ليس عن طريق إحراق المنزل، وإنما باختطاف ابنتي أولاً.

لذا عندما علمت ذلك، ذهبت مسرعة غير مبالية بنظرات الأشخاص تجاهي إلى منزل الفتى حتى وصلت وطرقت الباب عدة مرات مترددة إلى أن فتح، وكان ذلك الفتى.

لم يتحدث، فقط كان ينظر لي ببلاهة إلى أن أتت فتاة بعمر هلا تقريباً قائلة: "ما الأمر إيثان؟".

ورأتني ثم أدخلتني. سألت مباشرة: "أين هلا؟".

لم ألقَ إجابة. الجميع كان يحدق بعضهم ببعض. ثم أتت والدتهم هذه المرة وصاحت قائلة: "أنتِ، ما الذي أتى بكِ إلى هنا أيها الملعونة".

فقلت ببرود: "أبحث عن ابنتي. أين هي؟".

فقالت: "أخرجي من منزلي الآن".

رديت: "حسناً، ولكن أريد أن أعرف أين ابنتي؟".

فرد هذه المرة الفتى وقال: "لم تأتِ اليوم. كانت آخر مرة هنا ليلة أمس".

فقلت بقلق حاولت إخفاءه: "أتمنى أنها لم تختطف.".

خرجتُ من ذلك المنزل قلقة بشأن ابنتي، فأنا لم أتوقع أن تكون في خطراً كهذا، لا أدري حتى أين أجدها، حتى تذكرت رجل الخفاء، فبعثت به حتى يأتيني، وطلبت منه أن يعثر على ابنتي سواء في تلك القرية أو عالم البشر بأكمله.

أثناء انتظاري بجوار منزلي رأيت شقيق الفتى الأوسط قادماً، فنهضت مسرعة ربما وجد ابنتي أو أي شيء عنها، ولكن خاب ظني، فقد جاء ليسأل عنها مثلي، بل وزاد من قلقي.

فقال بسخرية: "أحقاً من هم أمثالك يكترثون لأمر ابنتهم؟ أشك في الأمر، ولكن على أي حال، أخبريني كيف شعورك عندما اختُطفت؟"

فقلت: "أذهب من هنا؟".

فرد: "ليس بعد، قد جئت لأراك تتعذبين حتى تتذوقي ما كنت تفعليه حينما اختُطفتِ أخي الصغير، هل تتذكرين تلك الأيام؟"

فقلت:" إن كنت لم تغادر بهدوء، فستكون عبرة لكل المارة من أهل قريتك".

فتراجع وقال: "سأغادر بالطبع، لما أبقَ مع قاتلة!." وذهب.

بعد قليل خرج زوجي من الداخل في قلق بالغ قائلاً: "أن أحدًا من عائلة القتيل تواصل معي وأبلغني محذّرًا بضرورة لقائه وحدي دونك حتى أستعيد ابنتنا".

فقلت: "أتصدق هذا؟ ربما يبعث معك".

فقال: "قد سمعت صوتها، أنها بخير حتى اللحظة".

فقلت: "حسنًا، لا تقلق. متى ستذهب؟"

فقال: "الآن".

فنهض وأقبلت عليه كي يطمئن وقلت: "لا تخف سيكون كل شيء على ما يرام فقط أذهب وكن على علم أنني لن أتخلى عنك أو عن هلا".

فقال :"ماذا ستفعلين أنتِ تعلمين أن حياتي على المحك وكذلك ابنتنا".

فقلت: "أعلم ما عليك سوى أن تسير لتلك العائلة هيا حتى لا تتأخر عليهم".

ثم غادر حتى أتى بعدها رجل الظل قائلاً: "أنها في منزل مهجور قرب مصنع المنشود على بعد ثلاثة كيلومترات من هنا تجلس فيه معصوبة العينين برفقة ثلاثة أفراد الأول شقيق القتيل والآخر أبيه أما الثالثة فهي زوجته .. هل تريدين معرفة شيء آخر؟".

فأومأت برأسي بالنفي وقلت: "عود لعالمك وكن على استعداد لتلك المعركة فحتما لك دوراً مهم".

فذهبت لذلك المكان التي تقبع فيه ابنتي سيرت بحذر شديد حتى ابتعدت عن المنازل المتلاصقة شيئاً فشيئاً حتى قل البشر من حولي بل انعدمت ولم يوجد أي كائن حي ما كان أمامي سوى رمال وسماء ومنزل مهيب ضخم لأدرك أنه المكان المهجور حيث يغطيه الغبار بشكل كثيف من كل الجهات .. مكون من دورين أما الأول فبالمنتصف باب ضخم مصنوع من معدن وفي الجهة اليمنى تمثالاً ضخم يمثل شيئاً وفي الجهة اليسرى نفس التمثال ولكن بوضع عكسي وفي مدخل ذلك المنزل عدة درجات.

شاهدت هذا من على بعد وقررت أن أتقدم حتى سمعت صوت صوت مفاجئ وقصير لم أسمعه من قبل ليتبعه صراخ اليم أنه صوت مألوف ليتبين أنه عادل زوجي فتوقفت وقررت أن لا يروني قادمة حتى لا يأتوا بشيء متهور يضر ابنتي.

دخلت دون صدور أي أصوات حتى بات لا يفصلني عنهم إلا باب، وقررت أن أستخدم شعاع عيني بالرغم من أنه مخالف للميعاد في عالمنا، ولكن لطالما كانت القوانين والقواعد موجودة لاختراقها.

أطلقت العنان لذاتي التي تحمل الغضب والكره والبغض من كل أنواع البشر، حتى تهشم الباب كاملاً ودخلت دون تفكير للتخلص من تلك العائلة مطلقاً. كان فعلي أسرع من ردة فعلهم.

لأتمكن أخيراً من إنقاذ ابنتي، بعد فرحتي بسقوط الثلاثة أرضاً، وجدت زوجي ينزف وابنتي معصوبة العينين ومربوطة بشيء غليظ. فقمت بفكها أولاً، ثم ساعدتني على أخذ عادل وإخراجه من ذلك المكان.

عدنا إلى منزلنا أخيراً، حتى رأيت الفتى منتظراً عند بابنا في حيرة وتوجس.

عندما رأيناه، تقدم علينا ليساعدنا، وسند زوجي واقترح أن يأتي بطبيب، لكنني امتنعتُ لأنها فكرة ساذجة. ثم بدأ في إجراء عملية بسيطة ليد زوجي، فهي من

أصيبت بعدما أطلق شقيق القتيل طلقة من أداة كان يحملها. وتمكن الفتى من إخراجها أخيرًا بأعجوبة.

بينما أنا أتظاهر بالانشغال بمصاب زوجي، قال الفتى: "ماذا حدث؟".

نظرت لي ابنتي فرديت قائلة: "أنهم أرادوا قتل أسرتي الصغيرة، لذلك ذهبت بنفسي كي أحميهم". فقال: "ماذا فعلتي تحديدًا؟".

ثم تابع: "إياكِ أن تكوني قد قتلتِ أحدًا".

فضحكتُ ولم أتمكن من إيقاف نفسي. فقال زوجي بعدما استرد صحته قليلاً قائلاً: "سيرينا، أنتِ لم تقتلي أحدًا، صحيح؟".

فتوقفتُ عن ضحكي وقلتُ بتعجب: "لا أدري، فقد ألقيتُ شعاعي تجاههم، حتى ولو ماتوا، ما شأننا نحن؟ ألم يختطفوا هلّا؟ ماذا تظنون أن أفعل.. بالإضافة إلى محاولاتهم قتلك؟".

لم يُجب أحد، ثم خرج الفتى في تهجم واضح، وخلفه ابنتي. نظر لي زوجي بنظرة لم ألقها منذ بدء علاقتنا، وصراحة لا أفهمها. فقلتُ له: "ما الأمر؟ هل فعلتُ شيئًا خاطئًا؟".

فرد: "قد أخبرتكِ وحذرتكِ بألا تعرضينا أنا وابنتي في خطر، وكأنكِ لم تستمعي جيدًا لنصيحتي. إنكِ لا زلتِ تفعلين أمورًا لا أفهمها.

في السابق، أحرقتِ منزلين رغم علمكِ بمن فيهما من عائلتين لمجرد قيام صغارهم بالسخرية منكِ، ثم قتلتِ أعز صديق لي دون سبب، والآن لو حدث لتلك العائلة نفس المصير، سأقف أنا ضدك، أن عالمكِ لا يمثلكِ، وانتبهي جيدًا في الفترة المقبلة على أي فعل من شأنه أن يجعلكِ محظورة في عالمي هذه آخر مرة لتحذيري لك".

ثم التفت وذهب نحو غرفته. قلتُ في نفسي أن هذا الرجل ربما نسي من يكون، ووعدتُ نفسي بأني سأذكره وأيضاً تلك الكلمات البائسة سأجعله يندم عليها عاجلاً أم آجلاً.

بعد قليل أتت ابنتي من الخارج، لم تتحدث لي أو حتى تعيرني اهتمامًا، وفعلت كوالدها ودخلت غرفته. وكان هذا مرهقًا على نفسي، فدخلت خلفها مبتسمة قائلة: "ما الأمر؟ هل تعاقبينني أيضًا لأني أحاول أن أساعدك أم ماذا؟" فقالت: "كنتُ أتمنى ألا تفعلي هذا. على الأقل لم أكن منبوذة هنا أو في عالمي".

خرجتُ اشتطاطَ غضبًا وقلتُ في نفسي: "ذلك العالم الذي فرقنا سيكون حتمًا سببًا ليجمعنا".

خرجتُ من الدار متوعدةً لأي كائن كان قرر عرقلة خطتي أو صار عقبة في سبيل هدفي. تلك الإشارة التي اعتدتُها منذ أيام قيد التنفيذ الآن.

خرجتُ لأعودَ لعالم مملكة الإيقاع مجددًا وهذه المرة حتى أقودهم نحو انتصار عظيم.

انتقلتُ عبر الضوء بجوار مزرعة الفتى، كان استقبالًا على غير العادة، خافضة حزينة. ومن وجوههم أدركتُ أن الأزرقيين لم يتخذوا القرار بعد، فعزمتُ أن أوقد النار مجددًا.

في ساحة المملكة بدأتُ في عرض صور وفيديوهات مرئية وسمعية، عبر إشعاع من نوع خاص صنعتها خصيصًا لذلك اليوم، فكان طوله هائلًا وعرضه شاهق.

ولأني أريد أن أوقد النار مجددًا بين العالمين فكرت جيداً في تغيير أسلوبي لأصل لحل جذري آخر، ففشلت في المرات السابقة في إيقاع العداوة بينهم، والآن سأجعلهم يتبعونني على كل أمر أقرر.

ففي تلك المرة لستُ أنا من يخبرهم، وإنما عبر الأدلة التي جمعتها في فترة تواجدي بعالم البشر، وكان ذلك يتضمن مشاهد لاقتحام مجموعة من البشر لمنزل هلا وأبيها ليبين بوضوح مدى العداوة والكراهية لأي غريبٍ ليس بشري يشبههم، وأن الأمر لم يقتصر على واحدٍ منا، وإنما لكل من يقترب ويتعايش معنا. وكان هذا حالًا عادلًا بالنسبة للأزرقيين، مع رصد بعض حديث الأهالي بشأننا، وأنهم لا يعلمون حتى بوجودنا، وأننا مجرد أساطير تروى لأطفالهم. ليدركوا جيداً أننا نقدر البشر وتعشق عالمهم في حين أنهم غير معترفين ولا مرحبين بنا. أردت أن أقلب الميزان قليلاً لصالحي ولكن ما ينقصني هم الأزرقيون أنفسهم.

فما كان مني إلا أن أتبع ذلك الأسلوب.

نظرتُ للوجوه بدقة، وتأملتُ لعلي أرى من يدعمني ويتقدم في الصفوف لمجابهة البشر. حتى بدأ يتقدم بعضهم البعض، وحدث ما أردت، فالغالبية وافقت على المشي قدماً نحو عالم البشر، بينما قرر البعض الآخر عدم المشاركة. الجزء الذي سيذهب معي ليس بكثير ولا بقليل. ومع ذلك جمعتُ بعضاً من الكائنات من عوالم أخرى، كعالم الحيوان، والأزهار السامة، والسحر، والعديد ممن يحملون عداء مباشر وصريح للبشر. وفي النهاية، أطلقتُ إشارتي للبدء في المعركة وكان القائد "ليث ستارك" هو الموصي بتلك المهام الحاسمة.

ليث ستارك

أوكلت مهمة حامي عالم مملكة الإيقاع من شر الطامعين والغرباء من كافة العوالم المحيطة به. خرجت منتصراً في العديد من الحروب ولم أهزم من قبل أبداً. وكان سر هذا هو فطرتي وحسن إدارتي وتأكدي من وجود سبب شرعي أحارب من أجله، فلم أذهب لأي مكان دون سبب. لطالما هذا ما يميزنا طوال الوقت.

ففي السابق حاربنا الذئاب لمجرد أنها ظنت أننا ضعفاء مساكين وأرادت أن تكون ولية علينا. فانتصرنا ثم أتت معركة أخرى لعالم يدعى "إلموريا". وكانوا سذج أيضاً وحاولوا تشويهنا بأكاذيب وافتراءات، ولذلك كانت هزيمتهم شيئاً أكيد.

فالأمثلة تكثر ولا تنتهي في هذا الشأن. أما الآن فالوضع يختلف بسبب الشك وعدم اليقين بعد. فقد حان الدور تجاه عالم يدعى عالم البشر، ذلك العالم الذي تُمليه عليه المشاكل في الأوان الأخيرة. ذلك الفتى الذي أتى إلينا ليتضح براءته لاحقاً. كلها أمور مثيرة وحدثت بسرعة غير مسبوقة، فنحن في مملكة الإيقاع نتسم بالتآني والوضوح.

ولولا انشغالي الفترة الأخيرة لم أحقق في الأمر جيداً، تابعته عن طريق الاستكشاف والبحث والمراقبة عن بعد.

فأنا في عالم آخر تم استدعائي قرر إحلال العدل بدلاً من الظلم، وكان دوري هو سن القواعد وتنفيذها، فكنت أشرف على هذا الأمر وكان هذا بسبب من سمعتي التي ذاعت في كافة العوالم الأخرى.

على أي حال، كل هذا كان باتفاق بين العالمين الذي أعمل به والأصلي، والذي طلب مني ذلك كانت السيدة سيرينا معللة ضرورة إحلال المثل العليا في كل العوالم المحيطة بنا. وبناءً على ذلك، وافقت وتركت مملكة الإيقاع لنائب لي يرسل لي الأخبار من حين لآخر. ومنها اتهام السيدة سيرينا وابنتها ونفيهما إلى آخره.

حتى بلغني يوماً بتمرد السيدة وعودتها بقوة وبطريقة غير مشروعة، بل وبجيش أيضاً لا يعلم من أين أتت به. حتى قررت العودة لمملكة الإيقاع ولم يهملني الوقت لأفهم أي شيء. حيث عدت وأول شيء انصب تركيزه عليّه هو ذلك البيان الذي قد أرسل لي نائبي حينها نسخة، ولكن عندما أعدت قراءته وجدت شيئاً غريباً خلفه، فالقيت به في وعاء به شيء يشبه المياه كي أعرف ما فيه، وقد وجدت بضعة كلمات موجهة لي من السيدة سيرينا لي خصوصاً:

أيها القائد "ليث ستارك"

بصفة خاصة لك، إن عالمنا على المحك ويقع حمايته على عاتقك، فانتبه ولا تحيد عن تطبيق العدالة والحق، وانتظر حتى يأتيك الأمر.

لأستنتج ما يلي:

* أن الفتى بريء ولم ينوي يوماً إيذاءنا نحن الأزرقيين.

* كذلك الفتاة ابنة سيرينا ساعدته لأنها ظنت أن ما سوف يحل بالفتى سيكون بسببها. فما فعلته يشبه ردة فعل طبيعية.

أما ما لا أكتشفه بعد:

* من قتل صديقة هلا؟ ولماذا؟

* ما دور حاكمتنا سيرينا بكل هذا؟

ثارت تساؤلات عديدة، فدور تلك المرأة بارز وغامض. ربما أن كشفنا عن أمرها تنحل باقي الألغاز.

حتى بعد صدور حكم بنفيها كان غريباً وجديداً في آن واحد، لأن مثل ذلك القرار لا يتخذ إلا على يد الملأ والإعلان.

حتى الآن كان الأمر طبيعي وإن كان فيه بعض الغموض، حتى عادت إلينا بعد حكم النفي وتقوم بصدور عدة أحكام منفردة باحتجاز العديد من الأزرقيين وزيادة مساحة صومعة العزل، بل وبناء العديد منها حتى زادت من واحدة إلى تسعة عشر أخرى.

ومن ثم ذهبت لعالم البشر وبعد أيام أرسلت بياناً مضموناً عن دخول حرب ضد البشر. وفي ذات البيان، من خلف رسالة خاصة وبارزة، ذكرت أنها ستجلب دلائل واضحة لإثبات أن الهجوم الذي سيجري سيكون شرعي ومفروض علينا كأبناء عالم مملكة الإيقاع.

كان الأمر يتطور بسرعة رهيبة، حتى أتى يوم إيضاح الدلائل بكافة الطرق والأشكال. لتصدر بعدها إشارة لبدء المعركة بعد نحو ساعة من صدور الأمر، في ظل عدم وجود أجوبة لأسئلتي.

في تلك الأثناء كنت متردداً، ليس خوفاً من البشر فأنا حاربت العديد وانتصرت، وإنما أن أظلم عالمنا ويحمل عاراً كهذا فلا أقبله.

ذلك التردد ليس من عاداتي، وإنما تلك الحرب تحديداً أشعر بأنني أدفع للتسبب في الظلم بدلاً من إبراء المظلوم. وبالرغم من ذلك، وبصفتي حامياً ومطيعاً لصاحبة الجلالة والحكم، اضطررت للخضوع. وقد قمت بإعداد جيش قاهر قادر على محاربة البشر بأعداد هائلة على كافة أشكالهم من العوالم الأخرى كما ذكرت. فلم اقتصر على ضم الأزرقين فقط، بل حيوانات وطيور وآخرين حتى بلا اسم، مجتمعين في صف واحد ضد عالم تتحقق فيه صفات الاضطهاد والظلم.

في تلك الأواني، أتت لي امرأة مسنة كنت قد سمعت عنها في السابق أثناء المحاكمة الشهيرة للفتى البشري. فكانت تساعده بقوة حينها، واظن أنها قادمة لذات السبب، قائلة:

"ليث، أيها القائد العظيم الذي لا تهزه افتراءات وأكاذيب، قد أوكلت منذ سنوات أن تكون حامي عالمنا ضد أي عدو أو غريب. كما أنك مفترضٌ أن لا تخضع لظالم مهما كانت مكانته بيننا، حتى ولو كان حاكماً. لذا سأطرح عليك سؤالاً بسيطاً وهو: هل البشر قاموا بآذيتنا من قبل؟

أنت لم تكن هنا حينما تمردت سيرينا ضد عالمنا وقد قامت بزيادة المحتجزين هنا في مملكة الايقاع ولذات السبب وكأن البشر وجدوا لكي نكتشف تلك القاتلة سيرينا.

إلا تعلم بعد أنها تفعل ما بوسعها كي توقع البشر في شر أعمالها. فهل تتوق حقاً على قرار الهجوم وألا تخشى أن تكون ظالماً؟"

فرديت: "إنها أوامر، وعليه تنفيذها. وبعد ذلك سأحقق في الأمر، لا تقلقي."

فقالت: "أتقصد بعد أن تؤذي البشر تعود لهم وتعتذر؟"

فقلت معتذراً كي ينتهى النقاش: "أنا آسف، الوقت ينفذ وبقيت ساعة تقريباً للغروب، وكما تعلمين بعدها تبدأ الحرب. عن إذنكِ." وغادرت.

حاولت أن أوقف عقلي ومشاعري عن التفكير أو الإحساس حتى يتسنى لي التركيز أكثر نحو الانتصار الأزلي بيننا وبين البشر ولو مؤقتاً. منذ فترة بالفعل لم أكن هنا ولاحظت منذ عودتي زيادة بناء صومعة العزل والمحتجزين من الأزرقيون وزيادة أعداد الكائنات الأخرى في عالمنا حتى لا أعرف تفاصيل التمرد أو شيئاً من هذا القبيل ومع ذلك عليه التجاهل والمضي قدما وبعد الانتهاء سأحدد الأمر ولو كانت تلك المرأة سيرينا حقا قاتلة سأطبق حينها العدالة حتى ولو أتت متأخرة بحسب أعرافنا وتقاليدنا نحن الأزرقيون.

الفصل السابع

في ساحة مكتظة بالسكان والمباني والاحياء، يلهو الأطفال من جهة ويتحاكى الكبار من الجهة الأخرى. أسدلت السماء الستار بغتة دون تحذير مسبق لهؤلاء الأهالي حتى توافد بعض من الكائنات التي لا اسم لها ولا عنوان ينسب لها بل غير مؤلفين بالمرة.

تلك الجمهرة دخلت عنوة في قرية صغيرة عبر ضوء بجوار مزرعة الفتى الذي اشتهر مؤخراً بقصته مع امرأة ذات الشعاع وزوجها وابنتها.

عند لحظة الهجوم في تلك الأثناء لا أبطال يحملون القرية على أعناقهم ولا قائد كتب عليه توحيد الصف.

ذلك العدد المهول الذي يتكون من أشياء عدة كان قد ينبض بالحياة يوماً ولكن البشر سلبوها منه عنوة ليأتي اليوم لسبيل واحد لا غير إلا وهو الانتقام فقد حملته كغصة منذ عقود بل قرون في داخلها المكلومة لأجل ذلك اليوم. قد أتت خصيصاً لتدفع البشر أثماناً باهظة لا سيما عند استمرارهم على انتهاك حقوق والحق في الحياة تماماً مثلهم بلا أدنى خجل أو شفقة أو حتى اعتذار.

تلك الحرب أطرافها بشر ضد رياح عاتية ومعادن قوية و وأخيراً الأزرقيون أبناء مملكة الايقاع وكائنات أخرى لا اسم لها.

فأما الأولى قد تدهورت والثانية صنعوا منها أسلحة وذخيرة والثالثة فدفعت ثمن ليس لها به شيء.

في البداية، أتت الرياح العاتية بقوة وعمد، لتضرب وتقتلع كل ما من شأنه أن يؤذي هذا الهواء الطلق، لتتحمل المسؤولية كاملة عن تجريفها محملة بأتربة وأمراض خطرة لعلها تتخلص من ذلك الصرح العظيم من مصانع وقهاوي مليئة بالدخان والتسميم.

ثم تابعها قطع تتراوح أحجامها بين كبير وصغير، ولكن لا يتعدى حجمها أيدي بشري من معادن شتى، سواء حديد أو صلب أو حتى نحاس متين.

فعلى مر العصور، أخرجها البشر من ثباتها لاستخدامها ضرراً للقتل والانتقام والفزع. والإبهام جاءوا هرعين خلسة تحت وطأة الرياح متجهين نحو أشخاص معينين، صنع منها أدوات للقتل والتفريق والتشريد لضحايا جدد من نفس جنسهم. لينضم إليهم عدة قطرات من المياه تشبه الكتلة مجتمعة موحدة نحو بعضها متفقة

ضد أهالي تلك القرية، كان يستخدمونها في أشياء ملوثة جبراً وعنوة ليتبادل الاثنان أمورًا خطرة.

ليأتي خلفهم حيوانات لاقت عذابًا لا يقوى على تحمله بشر من هررة وكلاب. نزفت أعناقهم من أثر الضرب المبرح والإذلال، وأيضاً انتقاماً لأسلافهم القتلى.

وأخيراً، بعض من الازرقيين الذين صدقوا تلك الأدلة التي عرضتها سيرينا، منهم من عانى حقاً من الظلم والاضطهاد والتمييز. ومنهم من خمسة أن يحل بها شيء مماثل لن ولأبنائهم من بشرى لئيم.

جميعهم تجمعوا في ضريح ليل غائر كي ينتقموا.

تلك المرأة وضعت هدفاً غير مشروع لتحقيقه بواسطة من عانى وتألم لتستغلهم أفضل استغلالاً. كل شيء غير مشروع. الحرب على أشدها فرضت على كلا الجانبين. ما فعلته سيرينا كان لا يحتاج إلا تعزيز الاتحاد نحو كلمة واهية لا أساس لها من الصحة إلا وهي الانتقام.

فقد وهبت زوجها تلك الروح الشريرة وبعدما فشلت ورأته يتراجع انقلبت عليه وثار بالنسبة لها كباقي البشر.

ما صدق على تلك الكلمة لم يفكر قط بأن البشر ذاتهم يؤذون بعضهم البعض على الصعيدين، عمداً أو بغير قصد.

يتفننون في التنمر والعنصرية، وفي ذات الوقت يبغضون الانتحار والاكتئاب.

ما يعيبهم حقاً هو التناقض الواضح في مختلف الأمور. لا يسيرون ولا يتفقون على اتباع قاعدة مثالية ربما تحل كافة المشاكل. عندما يطرحون هذا السؤال قبل الإقدام على أي قول أو فعل من شأنه أذية الآخرين: "هل يقبله على نفسه أم لا؟"، هذا السؤال الذي يرتب عليه حتماً السلام، فإذا قبل فليفعل، وإن لم يقبل فليصمت. الأمر بسيط وليس معقد، وهذا ينطبق على كل شيء وليس مقتصراً على مجرد مواجهة قضايا كالتنمر أو التمييز.

كلا الطرفين غير مذنبين. فالأزرقيون عاشوا على احترام وتطبيق مثالي عليا كالعدالة والتسامح والحب والسلام. والبشر يعرفون تلك المصطلحات ومع ذلك لا يفهمونها، وتلك مشكلتهم الشائكة. مملكة الإيقاع الأمر جديد عليهم، فلم يعتادوا مطلقاً على رؤية الظلم أو التمييز إلا عندما خرج بعضهم إلى عالم البشر، بينما البشر اعتادوا على ذلك ولم يعتادوا مطلقاً على العدالة والحق إلا في كتب وروايات تروي وتحكي فقط لأطفالهم.

حرب غير عادلة

تقدموا بكثرة تجاه الأفراد من كل جانب وكل صوب في تلك القرية الصغيرة حتى أن بعض أهلها فروا هاربين والبعض الآخر أحكم إغلاق داره وقرر البقاء منتظراً مصيراً مجهولاً لذلك الهجوم الوحشي من قبل غرباء وكائنات غير معروفين.

من بين الذين أصروا على البقاء أسرة منزل الفتى الذين أول من علموا عن قدوم تلك الليلة العصيبة عاجلاً أو أجلاً. ومع ذلك لم يتحضروا لهذا اليوم جيداً.

فالأم أغلقت النافذة وأمرت الجميع بألا يخرج من المنزل حتى يغادر الغرباء أو تلك الكائنات.

خالد الشقيق الأوسط كان غليظ القلب ومع ذلك كان ارتجافه واضحاً واتخذ جانباً ووضع يده على رأسه في صدمة غير مصدق حتى هدأ من روعه رأفة بشقيقته وشقيقه الاصغر.

أما الصغير فظل بجوار أمه محتضناً خشية أن تعود تلك الأيام إليه والفتاة حالها لا يختلف كثيراً فكانت لن تعي بعد ما حدث لتو.

أما الفتى فلم يأبه وإنما تعجب لا يعرف ماذا يفعل، أيخرج أم يبقى خاصةً أنه المسؤول الأكبر.

في الأخير الأبناء الثلاثة استمعوا لنصيحة الأم ولم يتحرك أحداً ساكناً.

حتى مر بضعة دقائق وانطلق موكب كبير من الحجارة نحو النافذة حتى دخلت عليهم وأصابت أحدهم.

استمر إلقاء الحجارة بغزارة مع طرقات باب المنزل حتى زادت حدتها لتتيقن تلك العائلة أنه حتماً ستتواجه في مواجهة لا يرغبون بها.

طلب الفتى من الجميع أن يتوجه إلى غرفته ولا ينظروا خلفهم ويحاولوا قدر الإمكان عدم إصدار أي صوت.

في الأول تجادلوا حتى زاد اختلاج الباب أثر تلك الضربات بل وكاد ينهار من أيدي الغرباء ففعلوا كما طلب الفتى من بين نظرات خوف وريبة وأن ينتهي الأمر بمأساة تقضي عليهم أجمع.

انهار الباب تمامًا لتتوافد نحو جسد هزيل معلنة عن نيتها القاتلة والسامة. ليفر الفتى مسرعًا نحو إحدى الغرف البعيدة نسبيًا عن أختها الأخرى التي يقبع فيها أفراد أسرته.

أغلق الباب بإحكام ثم بدأ يردد بضعة كلمات غير مفهومة تبدو وكأنها طلاسم تلك الأمور التي كان قد تعلمها وحفظها عن ظهر قلب لمثل ذلك اليوم. ومن ساعده في ذلك المرأة العجوز البشرية عندما التقت به تلك الليلة في المزرعة.

بعدما انتهى، انتظر ماذا سيحدث.

بدت الضوضاء في الخارج تقل شيئًا فشيئًا حتى تلاشت وانتهت. لا يعلم ماذا يفعل.

لكنه بقي منتظرًا بعض الوقت حتى قرر الخروج. وببطء شديد فتح الباب ليرى أن المنزل شبه فارغ فطمأن قليلاً ثم خرج.

كانت تلك الحجارة قد سكنت فألقى نظرة بحذر تجاه النافذة ليرى بعينيه أن تلك الكائنات تقتحم منزلًا تلو الآخر وتأسر الكثير من البشر. ومن يعارضهم يضربونه ضربًا مبرحًا حتى يفقد وعيه ومنهم من يعرفه على المستوى الشخصي والجيرة.

تذكر حديث المرأة حينما قالت: "تلك الطلاسم ستحميك وستحمى من تحب. أما غير ذلك فلا أثر لها مهما حاولت. وتلك التعويذة أهديتها لك لأنني أدرك تمامًا أنك تستحق ويقع عليك حمايتنا من شر سيرينا وأمثالها."

كانت الضوضاء في الأسفل مرتفعة إلى حد كبير. ومع ذلك قرر الفتى أن يتصدى لذلك الجمع الغفير حماية لأبناء قريته وحتى لأملاك والده التي تركها أمانة وعهدة لديه.

فالتفت وعاد لغرفة أسرته وصاح لامه قائلاً: "سأذهب يا أمي ولا تقلقي لن يصعد أحدًا إلى هنا. ولكن رجاءً، أيا كانت الأسباب لا تنزلوا من ذلك المنزل. فأن خرج أحدكم حينها سيعرض نفسه حتماً للخطر وسيكون مثل الأهالي في الطرق والأزقة والشوارع."

أثناء مغادرته أوقفته أمه قائلة مترجية: "أتريد أن تقتل نفسك؟ ابق معنا ولا تنزل."

ليرد الآخر: "أنا آسف لا وقت لشرح الان يا أمي. أعدك أنني سأكون بخير لا تقلقي."

ثم نظر لشقيقه الأوسط نظرة تحمل دلالة ومعنى صريح على ضرورة تحمل مسؤولية العائلة ولو بشكل مؤقت في ظل غيابه.

ذهب الفتى ليغير مصير شعبين سواء في عالمه البشري أو مملكة الإيقاع. فكما تسبب في كل ما يحدث له الآن من حرب هوجاء بلا معنى أو أساس، حتما سيوقفه بطريقة ما.

تلك الطريقة التي اختارها في حقيقة الأمر ليست من تفكيره أو اجتهاده، وإنما تبعية من أفكار واجتهاد المرأة العجوز التي بدأت حديثها بمشاورات وانتهت بأمر كالثأر وما شابه لأجل البشرية جمعاء.

اتبع الفتى سيرًا معينًا أثناء ذلك الهجوم غير المبرر لطرفين غير متكافئين في حرب غير عادلة بالمرة.

سار الفتى في طرق عديدة، ملتوية وأخرى مستقيمة، مارًا بين اثنين يتشاجران أو يزيدان في كل خطوة يخطوها بأسلحة غريبة وأدوات عجيبة.

ولا يستطيع أحد أن يقترب من ذلك الفتى لأنه محمى بشيء ما صنع خصيصًا لحمايته، ولقدرته وحده على التصدي لعدوان القاتلة سيرينا.

حتى وصل لمكان تتواجد فيه شخصية محورية، وهي الفتاة.

ذهب تجاهها مسرعًا، كان مترددًا وفي ذات الوقت حازمًا.

اتخذها بالقوة من بين أبيه و الغرباء، ثم وقف على إحدى الأماكن العليا واقترب منها قائلاً: "أين القائد المسؤول عن ذلك الهجوم والفوضى؟"

لتجيب بصراخ كي يسمعها: "على الجانب الآخر من هنا، يتابع من الخارج وليس هنا".

فعاد وتحدث قائلاً: "أتستطيعين أنت أن تنقليني لعالمكم، صحيح؟"

فرددت: "نعم، لكن هذا خطير".

أشاح نظره عنها ليوجّه في الأنحاء بسخرية، ليهتف قائلاً: "رجاءً، فقط ساعديني في الذهاب إلى هناك".

هذه المرة وافقت، وذهبا الاثنان حتى وصلا إلى المكان المعلوم اي بجوار المزرعة، وبالفعل انتقل الفتى لعالم مملكة الإيقاع عبر ذلك الضوء بمساعدة الفتاة.

وعندما دخل لم يلقِ أي ضوضاء، بل سكونًا على عكس الجانب الآخر.

أسرع نحو القائد ليعود ليسألها: "ألا تعرفين أين يكون متواجد ذلك القائد؟"

فأومأت بحزن على عدم المعرفة.

فذهبا ليبحثا عن ذلك القائد حتى تمكنوا من إيجاده في أحد المنازل، وأمامه عدة شاشات تراقب الحرب الجارية عن كثب وفي كل زاوية وصوب في عالم البشر.

كان لمشهد مهيبًا وحافلاً، حيث يتصاعد القلق والخوف في الجانب الآخر، وهنا يحل السلام والسكينة وكأن لا شيء يجري مطلقًا، بل وكأنهم ليسوا جزءًا مما يحل بالبشر التقى. بالقائد أخيرًا "ليث ستارك" وكانت معه الفتاة.

عندما وقع نظرهما على بعضهم البعض، أصروا على الصمت ولم ينبش أحدهم بكلمة.

كانت النظرات فقط هي من تتحدث، حتى قطعت الفتاة ذلك الموقف موجهة حديثها نحو القائد قائلة: "لماذا هاجمتم البشر بهذا الشكل؟ هل هذا من عاداتنا أن نهاجم الآخرين دون وجه حق؟ منذ متى كنت هكذا؟"

أشاح القائد نظره عن الفتى ليجيب الفتاة قائلاً: "ألا تعرفين أن قدومك أثناء الحرب مع عدونا هو أمر خطير"

لترد: "بلا، قد ذكرت عدونا، وهذا ليس صحيحًا، إنه صديق لعالمنا، وأي كلمة قد قالتها أمي بحق البشر أو ذلك بالضرورة ليس صحيحًا أتعرف لماذا؟ لأنها تتحدث عن نفسها فقط غير مباليا بعالمنا أو بالبشر".

تدخل الفتى هذه المرة قائلاً: "أخبروني مسبقًا عنك وأنك بطل شاركت في العديد من الحروب منتصراً، ولكن اليوم لا أظن ذلك، فأنت حتماً مهزوماً. أتعلّم لماذا؟ لأنك دخلتها تلك المرة ظالمًا وليس مظلومًا. ألا تعلم؟"

لم يرد القائد بما قيل لتو لكن في قرارة نفسه شعر أن هناك أمر خطير. وقال في نفسه: "إن كان كلامهم صحيحًا فسيكون ذلك وصمة عار بصفة شخصية لها ولعالمه أيضًا".

لذلك قرر أن ينصت لهم، وحتى لا يفعل شيئًا خاطئًا جعل الحرب دائرة هناك بينما هو ينصت لهما هنا. وإن اتضح حقًا ما يدعونه، حتماً سيوقف تلك الحرب بل وسيتخذ موقفًا صارمًا تجاه تلك المرأة سيرينا. لأنها كانت ستودي بعالمين إلى التهلكة، وسيكون نحن أيضًا الظالمين. وهذا لم يحدث في تاريخنا من قبل.

قطع شرود القائد الفتى قائلاً: "أتظن حقًا أنك لست ظالمًا؟ كل ما يجري هناك أنت مسؤول عنه بصفتك قائد جيش يدعي أنه لا يحارب بالظلم وانك فتن وذكي". ليرد القائد بتأني هذه المرة: "حسنًا، وما الدليل على ما تقوله؟".

ليجيب لفتى قائلاً:" أنت من تعدى على عالمي أولاً، لذا مفترض أن تجيب على هذا السؤال. ما الذي فعلناه نحن البشر كي تؤذينا في أعز ما نملك؟"

ليرد الفتى: "هناك دلائل مادية ترى وتسمع عن انتهاكات صريحة لمن يعيش منا او ليس بشري يشبهكم عندكم".

ثم عبث بجهاز صغير بجواره وأعطى الاثنين ذلك الدليل الذي قيل لتو، وكان فعلاً يتضمن هجومًا من قبل مجموعة من البشر تجاه هلا، وعلى وجوههم نية تشير لشر والأذى.

بعدما شاهدوا، نظر لهما مجددًا ليقول: "ما رأيكم؟ أليس صحيحًا؟"

ليجيب الفتى هذه المرة بثقة قائلاً: "صحيحاً، ولكن لا يعني بالضرورة أنها تمثل البشر ككل وإلا كانت قد تجمعت الأهالي نحو المنزل. أفهمت ما أعني؟".

ليرد الآخر: "ليس بعد، ماذا عن الانتهاكات السابقة كالمحاولة التي اجتمعوا فيها البشر نحو منزل صغير أرادوا حرقه ليقتلوا من بداخله بشكل عمدي وتلك المرة اتفقوا الأهالي جميعهم".

ظنّ أنه أوقع بالفتى، وهذا ما لم يحدث.

ليرد الفتى قائلاً: "اسمع ما سأقوله، ما فعلته أهالي قريتي لا يمثل البشر وهذا أمر متفقون عليه. أما عن الشق الآخر، بأن الأهالي أجمعوا على إحراق منزل ليتخلصوا ممن بداخله، فهل تعرف باقي القصة أم أكملها لك؟

أولاً، ما فعله الأهالي لا يمكن تبريره مطلقاً، ومع ذلك يجب أن تبحث عن السبب. أتظن أنهم فعلوا هكذا حباً في الانتقام أو كما تقول للتخلص من الغرباء؟

ثم نهض ليقف أمام القائد والفتاة ليكمل قائلاً : "سبب ذلك هي سيرينا، فهي رأس الأفعى. أتعلّم أنها من بدأت في بث السموم بيننا وبينكم، فهي أقدمت مسبقاً على حرق منزلين عمداً، وكان بداخل كلّ واحدٍ فيهما لا يقل عن عشرين شخص. إنها عائلات صارت ضحايا في لحظة قررت فيها تلك المجرمة قتلهم.

أتعلّم يا سيدي أن لم ينجو أحد سوى القليل، بل ومن نجا بعد قتل عائلته صار أما معاقاً أو مريضاً نفسياً. لم يخرج أحد من المنزلين سليماً. أهذا أفضل حالاً؟

لتنهض الفتاة قائلة بحزن وشك في آن واحد: "هذا ليس صحيحاً. تلك الفترة كانت نهاية الموسم".

التفتت للقائد قائلة: "وأنت تعلم أن قواعدنا هنا تتحكم بنا. فذلك الشعاع حتماً يخرج في ذلك الوقت. الأمر كان خارجاً عن سيطرتها". ليرد الفتى: "كنت أتمنى كما تدّعين، ولكن ألا تلاحظا أن ذلك الوقت معلوم وهي بالطبع تدركه؟ ومع ذلك قررت

الخروج، بل وعند المنزلين أطلقت الشعاع تجاههما. بدلاً من السماء مثلاً أهذا أمرا طبيعي؟"

تدخل القائد متسائلاً: "حتى ولو كان صحيحاً، ما الفائدة؟ لماذا تفعل ذلك؟"

ليرد الفتى: "حتى تحكم قبضتها على عالمي، وعالمكم".

لتتحدث الفتاة غاضبة: "أنا أعلم أن أمي ربما تبدو سيئة وتفعل أموراً أسوأ، ولكن أبداً لا يمكن أن تقتل أو تنوي إلحاق الأذى بهذا الشكل عن عمد وإصرار".

لتلتفت للقائد وتقول: "عليك إيقاف تلك الحرب أولاً، وبعدها سنرى، رجاءً".

ليجيب القائد بعد تفكير مطول قائلاً: "حسناً، ولكن بشرط واحد."

ليرد الاثنان معاً: "وما هو؟"

ليكمل القائد ليث قائلاً: "أن تبقيا هنا حتى تتضح الأمور، وأكشف بنفسي عن الأمر. ما قولكما؟". لتجيب الفتاة: "حسناً."

ولكن مالك أصر على الصمت، حتى تعابير وجهه لا تنم عن الموافقة أو الرفض.

حتى عاد وقال القائد: "ألا توافق؟ أن كنت لم تفعل، فا مع الأسف الحرب ستستمر ما دام أساسها حتى اللحظة هو تحقيق العدالة وتنحى الظلم حسب الدلائل التى بلغتني بشكل علاني ورسمي. وبعدما تنتهي تلك الحرب بانتصارنا، سأحقق بالأمر حتى ولو كنت ظالماً."

ليرد الفتى أخيراً: "حسناً ، ولكن عليّ أولاً أن أخطر أهلي حتى لا يقلقوا. يكفي ما جرى في الماضي."

ليوافق القائد فوراً . ويبدأ في خطوات إيقاف تلك الحرب الهوجاء عن طريق إخطار يمكن تأثيره بقوة في أوقات الحروب.

مؤداه إنهاء العدوان ولجوء لحل آخر شفهي ومدعوم بدلائل مادية وواقعية.

وبالطبع في عالم العدل والسلام وتحقيق الأمنيات، يمكن تجاوز الأمر بل والخروج منه بأقل الخسائر الممكنة.

أخطر الفتى عائلته بمكانه وبقائه في عالم مملكة الإيقاع مؤقتاً بمساعدة القائد. أما عن الأخير، فقد تمكن من إيقاف الحرب مع إمكان استئنافها عند إثبات أن ما تدعيه

سيرينا، وإن كان خاطئاً، حينها ستوقف الحرب مع معاقبة كبيرة لمن تسبب بالأمر وثار بلبلة عن عمد.

أما الفتاة، فساء حالها بعدما شاع مؤخراً عن تورط أمها في الأمر.

وكانت تعلم أن جزءاً من تلك الإشعاعات صحيحة، ولكنها حاولت تجاهلها حتى لا تكون ضد والدتها يوماً.

كانت حقاً مسكينة حائرة بين رغبتين متناقضتين، أحدهما إثبات براءة أمها والآخرة إثبات العكس.

كان واقع الأمر على الأزرقيين والبشر مفزعاً. أما عن الأولى فلأنهم لم يتوقعوا يوماً أن يقاتلوا أحدًا خاصةً أن العديد من أصدقائهم كانوا من جنس البشر. أما عن الثاني فكان متفاجئًا حتى لم يصدق ما جرى إلا بمغادرة أولئك الغرباء.

في دقائق عدة، انهار كل شيء، فمنهم من فقد منزله ومنهم من فقد أثر عائلته والجميع يبحث في الفراغ واللاشيء، حتى هبت عاصفة تسبح لحافات قوية نسبيًا محملة ببعض الهواء مختلطة بالماء لينتج عن ذلك عودة كل شيء كما كان. فالبيوت عادت معتمرة والأطفال يلهون بالكرة والكبار يتحاكون على القهاوي والشوارع والأزقة.

لينظر الجميع حول بعضهم البعض ويتساءلوا: أكان حلم ما جرى من فوضى عارمة يا ترى؟ فالكل التف حول نفسه وظل يسأل من يجاوره: هل رأيت ما رأيت؟ أليس منزلك مفترضًا أن يكون مهدومًا؟

ليجيب عن ذلك القائد ليث ستارك:

عندما وافق الفتى كان لابد من عودة كل شيء كما كان بل وأفضل حتى ولو عاد وانهار مجددًا.

في الأعوام السابقة، تعرّف القائد على كائنات تحمل موهبة بإمكانية أعادة كل شيء وأياً كان كما هو.

فاستعان بأولئك الأصدقاء وكانوا خمسة فقط، ومع ذلك نجحوا في مهمتهم التي أوكلت لهم.

أن أهم ما يميز عالم مملكة الإيقاع هو اختلاطه بحفاوة ناجحة نحو العوالم الأخرى مجتمعة بل واتخاذ ما يميز كل عالم على حدة ليكون سندًا لمملكة الإيقاع عند حدوث

مثل تلك المواقف. لذلك كان هذا العالم هو الأعرق من بين الآخرين ولكن لطالما عالم البشر أعظم بكثير.

مالك

بعدما كشفتُ عن نية تلك المرأة الشيطانية سيرينا من العجوز تلك الليلة، قررتُ أن هذه المرة أن أسبقها بخطوة. وبدأتُ فعلاً في إعداد فخ محكم تظن فيه أنني وقعتُ. وانتظرتُ تلك الحرب التي بنيت على أسباب غير منطقية كي أبدأ في التنفيذ. وبالفعل مرّ الأمر على خير، وانتقلتُ كما أريد إلى عالم مملكة الإيقاع كي أقابل ذلك القائد العادل بمساعدة هلا.

عمدتُ أن أُخذها معي ليس فقط لكي لا يكون انتقالي من هنا لهناك صعبًا، وإنما لتكشف بنفسها حقيقة والدتها.

إلا أن دار الحوار بيننا نحن الثلاثة، وانتهى على توقف الحرب ولو بشكل مؤقت، وإعادة كل شيء كما كان بصورة صادمة مع إمكانية استئنافه لاحقًا في حالة صحة تلك الأدلة التي قدمتها سيرينا. كنتُ على علمٍ يقين أن تلك الأدلة ستنعكس لتصبح ضدها.

بعدما توقفت الحرب، انتظرتُ تلك المرأة كي أرى في عينيها خيبة أمل. ظننتُ أنها ذكية، واليوم ستكشف بنفسها أن كانت كذلك أم لا.

كان مفروضا أن أبقى في المملكة، ومع ذلك لا زلتُ غريبا خاصةً في ذلك الوقت الحاسم كما أن من المستحيل أن أبقى ليستقبلني أحد.

حتى تذكرتُ العجوز هنا، ومن غرائب المصادفة أنها في تلك اللحظة أتت واستقبلتني بحفاوة، وأصرت دون أن أتحدث أن أقضي معها تلك الليالي حتى يستقر الوضع.

عندما عدتُ مجدداً لمنزل المرأة العجوز، انتابني مشاعر مختلطة بين شجاعتي والدفاع عن أبناء جنسي وبين من أهدى لي ذلك الشعور.

لم أحلم قط أن هناك كائنات قائمة حقًا على العدل، بل والأدهى مجازاة من يخلف عن ذلك حتى ولو كان من أشد الأعداء كحالنا الآن بيننا وبين الأزرقيين.

قطعت شرودي العجوز قائلة: "مرحبًا بكِ، مكانك محفوظ لم يتغير".

لأرد مبتسماً: "شكرًا لكِ، أتعلمين؟ كنتُ سآتي إليكِ حتى ولو لم تأتي من المصادقة أنني كنتُ أفكر بكِ".

كنتُ قد تركتُ الفتاة خلفي وأنا أعلم جيدًا عما ستفعل، ولذلك أصررتُ أن أرحل وأتركها حتى تعرف حقيقة والدتها.

نظرتُ للعجوز متسائلاً: "هناك أمر لم أستشر أحدًا به من قبل، ولكنه يؤجج قلبي ولربما يصل إلى أن أضطر لفعل شيء غير مرضي، فهل تسمحين لي؟"

لتجيب: "بالطبع، ما الأمر؟"

لأستكمل قائلاً: "سيرينا قتلت أبي، وكان هذا منذ مدة..أن أبي كان صديقًا لزوجها، وكانت تجمعهما صداقة كبيرة، وتبخرت تلك العلاقة منذ أن أتت تلك المرأة وقررت أن تتزوج هذا الرجل ليصبح كلاهما في عالمنا غرباء الأطوار، خاصة أن ذلك الرجل كان منظره بشعًا وليس على حالته الآن، وقد بدلت تلك المرأة وجهه كي تكسب ثقته. وقد كان حتى بعدما علم أن أعز صديق له قتل على يديها لم يحرك ساكنًا، بل استمر معها للنهاية حتى أدرك مؤخرًا واستيقظ ضميره من ثباته العميق عن لؤم سيرينا التي عشقها وتزوجها ظنّ منه أنه سيُعوض تلك الأيام القاسية بالانتقام من البشر أجمعين.

لكنه بدلاً ذلك اكتشف أن لا مكان له هنا في مملكة الإيقاع أو في عالم البشر.

لذلك أصبح معي ضد المرأة الكاذبة وفي ذات الوقت حماية لابنته هلا.

كل ما ارتكبته سيرينا لعائلتي تحديدًا أثار الشك مطولًا. لا أفهم لماذا فعلت كل هذا لعائلتي فقط على الرغم أن أبي كان صديقًا لزوجها. برأيك، هل أؤذيها كما آذتني؟

قد سلبت والدي سابقاً والان تريد سلب عالمي ماذا افعل معها هل اقتلها بنفسي قصاصاً لوالدي ام أعترف عليها في كل شيء ارتكبته بحقي وحق عائلتي هنا في ربما تنال ما تستحق".

لا أعرف هل كان من الصحيح أن أتحدث صراحة هكذا أم لا ولكن ذلك حمل لم أقوى عليه مطلقاً خاصة في ظل ضرورة إخفاءه عن أمي وأخواتي.

كان الأمر مرهقاً حتى لم يعد بالإمكان تحمله.

بعدما انتهيت من الحديث لم تتكلم المرأة إلا أن أخيراً قالت: "من أين عرفت كل هذا؟ لو فعلت سيرينا كما تقول لكان الأمر الآن مختفياً ولم يعرف أحد".

لأرد قائلاً: "أنه كذلك لا يعلم أحد سوى أنا وقد علمت من صديقة لها كانت من البشر ومثلها مثل الباقي الذين وقعوا في فخ سيرينا لتأخذ منها ما تريد وتتركها أفهمت".

لتقول العجوز: "لطالما شعرت أنها مريبة.. عاراً علينا أن تمثلني تلك المرأة.. على أي حال يا فتى أن كنت حقا تريد نصيحتي فلا تقتلها فلطالما القتل كان بوابة للشر وسيفتح عليك أبواب أخرى كثيرة.

أما عن ماذا ستفعل فاستمر بما تقوم به فأنت ستكون بمثابة المنقذ بالنسبة للعالمين.

لأرد قائلا: "تقصدين فضحها والكشف عن أمرها هنا"

أومأت بالإيجاب.

لأستكمل قائلا: "تظنين أن هذا كافٍ وماذا إن لم يصدقني أحد وفي الأخير أيضاً لا تنسى أنني مجرد ضيف هنا".

أجابت مبتسمة تلك المرة قائلة: "الا تتعلم بعد، على أي حال من هذا الأمر لا تقلق من المستحيل أن يفلت الظلم ربما الفترة الأخيرة كانت الإسوء في تاريخ عالمنا ولكن ما زالت المبادئ موجودة والرغبة في تحقيق العدالة كذلك .. بداخلنا نحن الأزرقيين ربما ما فات ستكون بمثابة ذكرة سيئة لكن حتما لن تتكرر ومع ذلك احذر ، عليك أولاً أن تأتي بدلائل تثبت ما تدعيه والا سيكون الأمر خطيرا وكارثيا".

لأرد قائلاً: "حسنا ولكن يجب أن تنتقل المرأة العجوز في عالمي لهنا لأنها هي من تحمل الدلائل ومعها كل الأسرار قد قلت لها لكنها رفضت وآبت أن تأتي ماذا أفعل ". لتجيب المرأة: "لا تفعل شيئاً أنا من سآتي بها لهنا لا تقلق ولكن صف لي شكلها

وأين هي موجودة تحديداً في عالم البشر".

لأرد حائراً: "صحيح أنك ستفعلي هل سبق وذهبت لعالم البشر من قبل ؟".

لتجيب :"لا ،لكن طالما هذا ضروري وفي مصلحة الجميع سأفعل".

ساد الصمت بيننا عدة دقائق لأقطعه أنا قائلاً: "حسنا كما ترغبين".

وبدأت في وصف شكلها وملامحها بدقة وأيضاً عن احتمالية وجودها في مكان ما واعطيت لها عنوان بديلاً آخر في حالة لم تجدها في الأول.

بعدما انتهيت قالت بطمأنينة: "سيكون كل شيء بخير ، ولكن متى ذلك الميعاد التى ستتم به المناقشة وجها لوجه".

رديت :"في الصباح الباكر أظن في الثامنة بتوقيت البشر تحديداً".

لتجيب :"حسنا سأحاول قدر استطاعتي أن أصل لكم في الميعاد"

ثم نهضت وتابعت: "من الأفضل أن أذهب الآن حتى لا أتأخر عليك ضمانًا."

حاولت إيقافها لكنها كانت مصرة وقررت أن تذهب بمفردها وأن أبقى أنا لأنال بعضا من الراحة وأستعد ليوم الغد.

كنت وحيدًا في المنزل وقتًا طويلاً لدرجة أن الملل تمكن مني، فقررت أن أخرج لأستنشق بعض الهواء. وبالفعل تجولت قليلاً هناك شيء مختلف عن المرتين السابقتين حيث وجدت عيونًا كثيرة تراقبني، وعلى وجوههم ما ينم عن قلق أو سعادة، وبعضهم الآخر عن حزن أو غضب.

حتى تقدم أحد الصغار يحدثني هاتفًا: "أصحيح أنك من البشر السيئين؟ لماذا لم تكن جيدًا كصديقي البشري؟ أتعلم أنك تُسيء إليهم؟"

انحنيت وأقبلت على الفتى وخضعت حتى صرت طوله وقلت: "ألديك هنا صديق من البشر؟".

ليجيب بعفوية: "ألا تعرفه؟ كيف هذا وأنت مثله؟"

لأرد مبتسماً: "أيها الصغير، هل تسمح لي أن أشيد بذكائك؟ كم عمرك؟"

رد الصغير قائلاً: "تسعة وباقي لي سنوات قليلة حتى أخرج وأزور عالمك. حينها سأحكم أنا بنفسي هل أنتم أيها البشر جيدون أم لا."

نادى أحدهم من بعيد على الصبي الصغير ليلتفت ويذهب مسرعًا من أمامي.

لأنهض أنا وأستمر في السير وحيدًا شاردا حتى شعرت أن الحركة باتت تنخفض تدريجياً وكان ذلك دالاً على شيء ما، إلا وهو غروب الشمس مما يعني ضرورة إلزام المنازل. فعلت مثل الكثيرين من هذا العالم وعدت للمنزل في سكينة وهدوء، وكان الليل قد حل بسواده العتيق بعد يوم شاق وعصيب.

لأغفو أنا في موضعي أمام النافذة متذكرًا بعضًا من اللحظات البسيطة والأوقات القليلة مع الفتاة، رغم أنني أحمل كراهية لوالدتها إلا أن تلك الفتاة لولا وجودها اليوم ما كنتُ حييتُ لحظة أو حتى لم أكن لأكتشف تلك الشجاعة لأقدم أخيراً على مثل تلك مغامرة.

اليوم فقط كشفت عن سبب فضولي وراء البحث عن ذلك العالم. فمنذ أول ليلة رأيتها وأنا أفعل أمورًا عدة وكأنها خارجة عن إرادتي، والفتاة هي من تتحكم بتصرفاتي وعقلي. في الصباح الباكر استيقظت على عدة دقات متسارعة وقوية، لأنَهض في فزع أثر تلك الضربات لأفتح الباب وأجد القائد والفتاة وسيرينا الثلاثة معًا، لأسأل: "ما الأمر؟ هل حدث شيء؟"

يتقدم القائد ثم يقول: "هل يمكنني الدخول أم نجتمع في مكان ما قريب من المواجهة؟"

لأجيب قائلاً: "بالطبع لا يمكنكم الدخول هيا."

لم أرغب في استقبال أو حتى رؤية تلك المرأة، ولحماقتي كنت أظن أنني فقط مضطر يوم المواجهة "المناقشة" لا أكثر.

جلسنا نحن الثلاثة بالقرب من بعضنا البعض ليبدأ حديث القائد قائلاً: "ربما تتساءل عن سبب قدومنا، ولأنني لا أحب المماطلة فسأخبرك أولاً.

قد جئنا لنفهم ما جرى في الآونة الأخيرة في كلا العالمين بشكل ودي دون علانية. وإن مر الأمر دون تنازع هنا، فلا حاجة لتلك المواجهة.

ولتحقيق ذلك يجب أن نتعاون على قول الحقيقة والصدق. فيجب أن تعلموا أنتم الثلاثة أن من يفكر بالخداع أو الكذب حتماً سيقع ولذلك لنكن واضحين اتفقنا."

قلت: "حسناً، هُيا فلنبدأ".

لينهض القائد وينظر لتلك المرأة ويبدأ في طرح الأسئلة عليها، وكان أول سؤال هو: "هل لديك عداوة شخصية مع البشر؟ وإن كان، فما السبب؟"

لتجيب ببرود: "نعم، في السابق أرادوا قتلي أنا وابنتي في ذلك المنزل، وادّعى على زوجي أنه مجنون وغريب الأطوار".

ليرد القائد: "وما السبب الذي يدفعهم لحرق منزل به أحياء؟"

ارتبكت، وكان ذلك واضحاً، لتجيب قائلة: "هكذا، دون سبب يستحق".

ليقول القائد: "أي سبب، حتى أحكم إن كان يستحق أم لا".

لتجيب مسرعة: "وهل للقتل تبرير؟"

ليرد: "وماذا نفعل نحن الآن في عالم البشر؟ ألسنا في حرب؟ وإذا كان بسبب ما تدعينه، هل تعتقدين أن التبرير يستحق؟"

لأتدخل هذه المرة قائلاً: "هناك سبب أيها القائد، هل تسمح أن أقول؟"

ليومئ بالإيجاب، ثم تابعت قائلاً: "أن صديقة لها من البشر قد أخبرتني عن السبب، وهو..."

ثم قاطعتني عدة طرقات، فكانت تلك هي العجوز وقد لتو ولكن ليس معها الأخرى، فقلت: "الم تأتي معك؟"

لتجيب بحزن: "قد ماتت في منزلها يا ولدي، أنا آسفة".

ثم دخلتُ ووجدتُ أن الثلاثة بداخل، لأعود إليهم في خيبة أمل كبيرة، لتتحدث هذه المرة المرأة بشماتة قائلة: "أكمل يا فتى، ما السبب؟ نحن ننصت؟"

لم أستطع الجواب، كان الأمر مباغتاً ومفاجئاً بشكل كبير، حتى أنني تلعثمتُ عدة مرات في الحديث، وكان هذا بالطبع جلياً، حتى شككتُ بل أيقنتُ في إمكانية فشلي في هذا الأمر، وأنني قد وضعت أحتمالا عاليا أكثر من تسعين في المائة على كاهل العجوز البشرية، لكنها رحلت بلا عودة.

ما فعلته في ذلك المأزق هو قول الحقيقة ومع الأسف بلا دليل أو شيء يثبت، لذا كنتُ في موقف حرج، حتى انتهى هذا الحوار بيننا بلا فائدة سوى الشماتة وخيبة الأمل.

ليرحلوا الثلاثة تباعاً، وأبقى أنا هنا مع العجوز في انتظار المواجهة التي يفصلنا عنها أقل من ساعة تقريباً.

في تلك الأثناء، لم يبقى أمامي سوى واحدة في صفي ، إلا وهي العجوز، لأنها ببساطة تصدقني طوال الوقت، ولكن كيف أجعلها تساعدني؟

كان الوقت يمر سريعاً بينما أردته بطيئاً. بدا أن كل شيء كان ضدي، على الأقل في تلك اللحظات الحاسمة.

تصبّبت عرقاً، وكاد القلق والتوتر يفتك بي. يبدو أن العجوز لاحظت ذلك، حيث قالت: "الأمر ليس على ما يرام. هدّئ من روعك، وأنا أثق أن العدل والحق سينتصران. ما عليك سوى قول الحقيقة والصدق حتى يساعدونك هنا. الأهالي لربما يلتمسون الحقائق عنك ويساعدونك. هل فهمت؟"

لأجيب يائساً: "تلك المرة لا تشبه سابقتها. ففي الأولى كنت جاهلاً لقوانين ذلك العالم، ولولاكِ لربما كنت ميتاً. ولكن أتظنين أن تلك المرة سأنجح؟ أتعلمين؟ ليلة أمس قد خرجت بين المنازل في الشوارع والأزقة. كان كثيرون يحدقون بي بتعجب، والبعض الآخر بكره كبير.

في المرة الأولى كانت علاقتهم بالبشر جيدة نوعاً ما، أما الآن لا أعلم. سيرينا، ماذا وضعتِ في عقولهم ليكرهوننا بهذا الشكل؟ قابلتُ طفلاً صغيراً هنا، أتعلمين ماذا قال؟ إنه يظنني سيئاً، وذلك يعني أن والديه من الازرقيين يروننا كذلك. تلك المرة، أتمنى حقاً ألا تكون نهايتي أنا أو عالمي."

لترد السيدة العجوز قائلة: "وأنا عكسك. سنرى بعد تلك المواجهة من هو الصحيح."

لتنطلق بعد لحظات مراسم المواجهة. ما فهمته أيضاً أن المحاكمة غير المواجهة، فالأولى تتحدث كمتهم، بينما الثانية فتشبه المناظرة. ومن حسن حظي أن ذلك ساعدني بشدة على تدارك الأمر.

فتاة العالم الاخر

قد جرى ما توقعت بعدما ظهر وميضٌ عالميٌّ، ومن هنا أيقنتُ أن الوقت قد حان، وأن ساعات الحسم قد بدأت لتوّ.

أبي حاول التغاضي عن الأمر وحذرني وطلب مني أن أبقى، ولا أفعل شيئًا يعرضني للخطر، وأراد الخروج، لكنّني أوقفته في الحال وسألته بحزنٍ: "أين ستغادر يا أبي؟ ألا تعلم أن الازرقيين لا يحبونك أيضًا؟"

ليجيب مبتسمًا: "أعلم يا عزيزتي، ومع ذلك أظنّ أن هذا هو الوقت المناسب."

ثم خرج، ولا أعلم إلى أين هو متجه، بات مصير أبي في المجهول. انتظرتُ مطولًا دون فائدة، وقررتُ أن أذهب أيضًا، ولكن قبل ذلك ألقيتُ نظرة أخرى عبر النافذة لأجد كائنات وظواهر طبيعية تفتك وتحارب مجتمعةً البشر.

كنتُ أظنّ أن تلك الحرب ستكون أقصاها بين الازرقيين والبشر فقط واتضح العكس.

بحثتُ عن أمّي في كافة غرف منزلنا الصغير، لكنّني لم أجدها، ووجدتُ بدلاً من ذلك ورقة صغيرة على فراشها، ففتحتُها بحذر، لأجد فيها أخيرًا بعضًا من الأجوبة على أسئلتي.

تلك الورقة تحملُ الغضب والعداوة ورغبة الانتقام الواضحة من جهة أمّي للبشر، مصرحةً عن إصرارها العميق نحو إصلاح البشر أو التخلص منهم، وأن ذلك ينصبُ نحو مصالح الجميع، فقد سبق وحاولتْ بالسلم، ولكن في النهاية كلّ الطرق استُنفِذَتْ، ليكون الحرب هو الحلّ الأخير.

أما عن الفتى فمسكين، ربما دفع أثمانًا باهظة لمجرّد انتمائه فقط لأهالي تلك القرية الأشرار.

ومع ذلك كان مجرد طعمٍ حتى يكون ثمة سبيل واقعي ليتدخّل عالم مملكةِ الإيقاع في شئون البشر.

كلّ هذا كان لأجل تحقيق غايةٍ نبيلة، ربما أنتِ وأبيك والأزرقيون والبشر أجمعين تظنّون أنني قاتلة أو مجنونة، وهذا ليس

صحيحًا، ومع الأيام سيتضح كلّ شيء، وأن ما حملته على مدار أعوام وليالي عذابي لتحقيق ذلك كان لأجلكم جميعًا.

هلا أنني والدتك قد تركتُ لكِ تلك الورقة لتفهمي جيدًا أن ليس عليكِ اختيار نفس مسيري، فلديكِ الحرية من بين أن تنضمي معي أو تسلكي طريقًا آخر مع والدك والفتى.

وأيّا كان ما قمتِ باختياره، سأظلّ أحبك ، ومع ذلك، كما تعلمين، أحيانًا بعض الأمور تحتاج للتضحيات.

أنا آسفة ربما بي عيوب كثيرة وخطرة وقد وجدت أخيرًا إحداها إلا وهي أنني لا أعرف أن أكون ام أو زوجة انت لا تستحقين أن أكون والدتك أو حتى زوجة لأبيك لأن كلا الأمرين متناقضين وربما بعد تلك الليلة قد يكرهونك البشر أكثر من ذي قبل لذا فكري جيدًا في أي صف ستختارين. ربما تلك النهاية وداعًا.

بعدما قرأت ذلك الكلام انتابني شعورًا بالرهبة والعجز وأيضًا لا إجابة لسؤالي لماذا تضطر أمي لتلك التحديات التي لا طائل أو فائدة منها إلا لأذية كافة المخلوقات هنا للبشر وحتى للأزرقيين ومن الموجودون من عوالم أخرى.

نهضتُ كي أبحث عن أمي لمحاولة إيقافها رغم يقيني وعلمي بأنها لن تفعل.

لم يعترضني في تلك الجلبة سواء من جهة البشر أو باقي العوالم حتى تذكرتُ مكانًا ما قريبًا من هنا كانت تتخذه أمي ملجأ عندما تحدث مشكلة مع أبي أو من البشر ربما تتواجد فيه الآن.

ذهبتُ على استحياء محملة بيأس وأمل في آن واحد.

لأدخل عليها لذلك المخبئ السري عنوة وعندما التقت عيناي بعينيها ارتبكت بل والإسوء من ذلك هو شعوري بأنها حقًا تحولت لقاتلة ربما في السابق لم ألاحظ أم الآن بات واضح سواء من نظراته أو حتى طريقة حديثها.

قطع الصمت بيننا سؤالي بجدية قائلة: "ماذا تفعلين يا أمي لست مضطرة لذلك رجاءًا عودي إلى رشدك".

لترد قائلة: "معنى ذلك أنكِ اخترت طريق الفتى وأبيك كنت أعلم ذلك على أي حال حاولي نسياني هلا وكأنني لم أكن ورجاءًا إياكِ أن يأتي يومًا وتوجهينني عنوة بلا خجل عليه".

ثم صمتت قليلًا وتابعت: "عليه الرحيل الآن فأنا على شفة حفنة من الانتصار وداعًا".

لأصرخ قائلة: "لماذا تفعلي كل هذا يا أمي ولا تقولي بسبب معاملتهم السابقة لك أو أنكِ منبوذة أو مثل تلك الأشياء مجدداً لأنها لم تعد تنفع".

توقفت وقالت: "تحاسبينني الآن".

قلت: "بلا ولكن أريد سببًا منطقيًا لكل هذا".

لتجيب قائلة: "أنظري لست أنت أو..."

كانت ستكمل لكن أتى صوتًا من الخارج وكان هذا هو أبي لتذهب فارة مسرعة دون حتى أن تلتفت ليدخل أبي ويجدني أنا فقط ليقول متسائلاً: "أين والدتك؟".

لأجيب قائلة: "عندما سمعتك غادرت ما الأمر يا أبي".

ليرد: "لا شيء ..يقع على عاتقنا أن نوقف تلك الحرب عاجلاً لكن تعال معي نعود للمنزل لأن وجودنا هنا خطر كبير هيا".

سيرنا ما بين الطرقات الجميع يتحارب ولكن البشر كانوا ما بين اضطرار أو استسلام على عكس القوى المواجهة فكانت آتية حقًا لسبب معين.

وصلنا أخيرًا للمنزل حتى يتسنى لنا التفكير بعقل وحكمة قبل الإقدام على أمر ما شأنه أن يهلكنا نحن أو القوى المتحاربة حتى وجدنا عدة طرقات متسارعة لأذهب على عجلة وأجد أن الطارق هو الفتى.

لم يتحدث الفتى مطولاً، وفي الأخير أخذني وطلب مني الذهاب معه نحو مملكة الإيقاع. لا أفهم لماذا، لكنه كان مُصرًا. لم يعترض أبي، وبالفعل ذهبت. وبعدما وصلنا، سألني إن كنت أعرف قائد تلك المعركة، لكني أجبت بالنفي.

حتى بحثنا في كل مكان، ووجدنا ذلك القائد أخيرًا في إحدى المنازل. يراقب الحرب الدائرة عن كثب.

جلسنا وبدأ حوار يجمعنا، إلا أنه انتهى على وقف الحرب، ولو بشكل مؤقت.

لحين عقد مواجهة بين كافة أطراف النزاع.

من حسن حظ الفتى أن ذلك القائد، ليث، معروف بالعدل والإحسان والحكمة.

افترقنا في الداخل، كل واحد منا ذهب حيث يشاء.

عدت للمنزل شاردة بالتفكير العميق على ذلك الحوار الذي دار للتو، مع ارتباطه بجواب أمي لتتشكل أمامي الحقيقة المفزعة والكاملة.

أن أمي مذنبة ذنبًا كبيرًا، وما يؤرقني حقًّا هو كيفية الخروج من ذلك المأزق وماذا أفعل أو أقول عند المواجهة.

أنها أمي...كنت مشتتة، وفي لحظات عابرة من التفكير، خشيت أن أضطر للكذب والخداع. وهذا ما جعلني راغبة في الاختفاء مطلقًا. لا أريد أن أقدم على شيء كهذا.

المواجهة في الغد وليس لدي ما أقوله بعد.

جلستُ في انتظار شيء مجهول، وأخذتُ أنظرُ إلى السماء لأبوح لها عن خوفي وحرماني، وكرهي وعشقي للحياة. جميعها مشاعر أتت مختلطة معًا في قلبا واحد .

فأنا بالكاد اقتربتُ من أبي في الفترة الأخيرة، على عكس ما سبق من سنين حينما ظننتُ أن أمي ملاكًا رحيمًا لا يصلح حتى لعالم مملكة الإيقاع، كونه يقع في أخطاء من حينٍ لآخر. واليوم اكتشف العكس ليتضح أن أبي مسكين وامي هي الظالمة.

ربما نسجتُ خيالًا واسعًا لم يكن موجودًا في الحياة يومًا.. حتى عندما تبدلت حياتي بظهور الفتى، أتى معه بأسرار صادمة تكاد تفتك بقلبي وعقلي معًا. إنها تهدم وتهشم تلك الصورة المثالية لأمي وحتى أبي.

حاولتُ تجميع المعلومات كاملة لأقف مع العدالة والحق دائمًا، ولو كان على حساب أمي. ربما تلك الواقعة لم تحدث قط في عالم مملكة الإيقاع، ومع ذلك ستكون الأولى، ومن سوء حظي ستكون أمي وأنا أبطالها. لن أخذل أجدادي، مهما كلف الأمر، ولينتهي الأمر حيث يجب.

بينما كنتُ شاردة، طرق أحدٌ على الباب. كان الوقت متأخرًا، ومن قواعدنا هنا حظر الخروج مهما كان السبب.

فانطلقتُ بحذر شديد كي أفتح الباب، وعند ضغطي على المقبض، دخل من في الخارج عنوة، بل ووضع يده على فمي كي أصمت ولا أصدر صوتًا، حتى بدأ يهدأ قليلاً، وأنا كذلك، ليتركني أخيرًا. لألتفتُ لأجد أنها أمي.

كنتُ واقفة ببلاهة، حتى أنني لا أفهم ولم أصدق لماذا تأتي لي خاصةً في هذا التوقيت، لكنها قطعت شرودي قائلة: "جئتُ كي تخبريني بماذا تفكرين وماذا ستقولين في الغد عند المواجهة؟".

لأجيب بتعجب: "لن أجيب قبل أن تخبريني أولًا لماذا تذهبين وتختفين فجأة؟ وفي كل مرة تتركي لي ورقة بها بعض الأسرار، ولما لا تخبريني بها مباشرة؟".

تنهدت ثم أجابتْ قائلة: "حتى لا يظنك أحد أنكِ معي وتعاونيني على الأفكار والرؤى. والآن ماذا ستقولين في المواجهة؟".

رديتُ ببرود: "الحقيقة". لتسألني مجددًا: "وما هي تلك الحقيقة؟".

وقفتُ حتى أبتعد عن أمي، وإلا اضطُرّ أن أفشي شيئًا مما سأقول.

لأجيب: "أنتِ أكثر من يعلم تلك القاعدة والأمر الذي يعني حظر المناقشة عند النزاع لحين عقد المواجهة، أليس كذلك؟".

لتقف أيضًا، قبالتي قائلة: "مع الأسف كنتُ أعلم أنكِ لا زلتِ ساذجة. أنتِ ستقفين ضدي في الغد، وأنا لا أحب هذا، لذا عليّ القيام بأمر يساعد كلانا. يرفع عنكِ عبئًا، وأنا يقدمّني بطلة ومضحية لعالمي". لأرد بعفوية: "لكنكِ لستِ كذلك".

بعد قولي ذلك، ساد الصمت بيننا وباتت أنظارنا نحو بعضنا تختلف وليست كتلك التي تشبه نظرات الأم لابنتها، وإنما تشبه شيئًا آخر.

حتى تحدثت أمي مجدداً، ولكن بنبرة لا أفهم فحواها، فهي تحمل التحذير والتهديد، وكان ذلك واضحًا. قالت: "هلا لا تنسي أنك ابنتي ومع ذلك، لا تظني أنني سأحميك كثيرًا وسأغض النظر.

أريدك فقط أن تعلمي أن ذلك الصبر له حدود، وكاد ينفد أنتبهي جيداً.

المرة الأخيرة، سأسألك: ماذا ستقولين في الغد عند المواجهة؟"

في تلك المرة بدأ الخوف يتسلل بقوة إليّ حتى تلعثمت في الكلام لأجيب أخيرًا: "لا أعلم، ربما عندما يُطرح السؤال أعرف أن أجيب هناك".

لتقول: "عندما يتهمونني في الغد، هل ستقفي معي أم ضدي؟ أريد أن أعرف فقط، حتى أتمكن من الدفاع عن نفسي. هل فهمت؟".

لأجيب مبتسمة ومرتبكة معًا: "معك في بعض الأمور وضدك في أخرى، لا تقلقي يا أمي".

قالت أمي: "إنني أشفق عليك تماماً كألازرقيون هنا تعيشون على قواعد ومبادئ تبدو مثالية لكنها واهية وسامة تحرمكم جميعكم من القيام بأشياء عدة حتى تجعل طموحكم ضعيف هش.

لطالما قلت عن ملل ذلك وقواعد عالمنا الجامدة التي لا تتغير إلا بعد مرور موسم كامل حتى ذلك التغيير يكون طفيف لدرجة عدم ملاحظته أو حتى تأثيره.

ذلك العالم كان ينبغي أن يتبدل حاله قليلاً وقد حاولت في السابق وباءت محاولاتي جميعها بالفشل لذلك اخترت أن أسلك طريق المخاطر والتحديات غير الميسرة بالمرة. ولم ولن يعاونني أحد من قبل بشأن هذا الأمر.

لا أحد يحب الشر، ليتضح أخيراً أنه الأصح. بعض الأمور لا تحتاج للرعونة أو عدم أهمية وإنما بدلاً من ذلك لقوة وسطوة وإمكان تنفيذ.

ربما مصطلح عدم المشروعية يُهاب ومع ذلك صالح وأصدق عن المشروعية وتلك الترهات فعلي الأقل معروف غير مجهول حتى ولو لا يرتقى إليه إلا القليل. وإن سائلة حتى عن من يدعو المشروعية وغيره ربنا لم يجيبوك.

الأمر معقد عزيزتي، وإن كنت تتمنين العدالة والحق والإخاء وما شابه فحتما هناك شائبة لا يراه أحد من قبل لا هنا ولا حتى بالنسبة للبشر.

ثم عادت مجدداً لباب الخروج وعزمت أن تغادر. خشيت عليها أن تتأذى أو يُراها أحد لكنها كانت حذرة في قدومها ومغادرتها . عدت لوحدتي مجدداً وهذه المرة تفصلني عدة ساعات عن تلك المواجهة. ذلك الحديث الأخير لأمر أربك تفكيري وعقلي وجعلني أتساءل في أمور شتى منها ما هي تلك المصطلحات كالعدالة والرخاء والكثير، هل لهما وجود وهل يطبقوا كما يفترض أم أنهما ألفاظا ثمينة له معاني عديدة ومع ذلك لا تطبق لأنها مثالية وشكلية فقط ومن العسير تطبيقها.

إن كان كذلك ماذا كنا نفعل نحن طوال الفترة الماضية وماذا عن القواعد والصدق في حوارنا، أهو أيضاً زائف؟

كل هذا انصب في عدة لحظات لأبقى عالقة في المنتصف.

ومع ذلك يبقى الخير والأمل معروفين نسبياً عن الشر والجشع. كلا من الفريقين يحمل بذرة صالحة وأخرى فاسدة ولكل منهم بحسب احتياجه فالبذرة الصالحة تنجذب نحو الخير أما الفاسدة فتذهب للشر ومع ذلك هناك جزء هنا وهناك يحمل عكسهما من الصفات. قبل ذلك الحوار الأخير شاهدت أموراً تشبه هذا ومواقف عدة لكن بعدما سمعت وتذكرت علمت أن هنا أمراً خاطئ حتى في عالم مملكة الإيقاع الذي يتميز بكل ما هو مثالي.

فكرتُ جيدًا في الأمر حتى اتخذتُ قرارًا يبدو واقعيًا وأكثر وجوبيةً من ذي قبل.

اتضحتْ الأمور والألغاز كشفتْ ولهذا السبب أيا كان القرار الذي سيصدر سيطبق مهما كان الثمن باهظاً. عند المواجهةِ حتمًا سيتخذ القرارُ الأصوبُ وإن كان هناك من يحزن فأمر طبيعي لأن الحياةُ دائمًا هكذا تسلب ولا تعطي مطلقاً.

عادل

تمرّ الأيام ويبقى القلب في رجفة باردة لا يهدأ لها بال. لطالما شعرتُ بالحزن، وعلى الأغلب لم أذق معنى السعادة والرضا وراحة البال.

في الأول عوقبتُ من بني جنسي لمجرد أن وجهي القبيح الذي لا يدّ لي فيه. وفي المرة الثانية خدعتُ من قبل امرأة ظننتُها يومًا ملاذي وملجأي الوحيد، ليتضح لي مدى سطوتها وقوتها عند مخالفةٍ فقط في الرأي أو شيء تافه لا يرقى أن يكون حتى عظيم.

جاءت في وقت كنتُ فيه مذمومًا، وحالتي كانت في أوج الحاجة لانبعاث ضوء أو نور جديد يقبلني دون شروط. وهذا كان أول الطريق المسدود، لأنه يعد بمثابة استدراج تحت مخدر يدعى بالحب والاحتواء، ليزول ذلك الدواء تدريجيًا ليتكشف أمامي وجهٌ آخر غير فتاة من عالم آخر. وجهٌ ليس قبيحًا بالمعنى المتعارف عليه، وإنما وجهٌ غاضب مريض بحب السطوة والتدمير، وكلّ شيء يؤدّي إلى الهلاك والتعذيب . إنها امرأة خدعت قلبي واستغلت ضعفي وقلة حيلتي، لأقوم بإيذاء أبناء جنسي لتحقيق غايتها عن طريقي.

كنتُ أحمقًا ساذجًا لدرجة التسليم بما تقوله أياً يكن، وإن كان شرًا أو انتقامًا. لكنّها تناست أمرًا مهمًا تبرّع هي فيه، لدرجة أن اليوم صرتُ أكثر براعةً منها، وكلّ هذا يعود لها فهي علمتني دون أن تشعر الخداع والكذب.

وأيضًا كانت تظنّ أنّني غالقًا لجميع نوافذ عقلي، وقد كنتُ أفعل في السابق، لكن يوم التقيتُ بالفتى بعدما الأمور استقرت حينما أقدم الينا تلك الليلة في المنزل، بدأ ضميري يتحرّك من موضعه وعقلي فتح نافذة تلو الأخرى حتى بات يتبعني ويحذرني بأيّ مصيبة وقعت.

منذ أظهر الفتى نيّته الحسنة، وأنا بداخلي شيءٌ ما يتغيّر. وبدلاً من أن يحرّكني نزعة الكره والانتقام، حرّكني عقلي بالتفكير والتدبّر وعدم الحكم على الجميع بين بني البشر.

كان هذا ثاني تغيير محوري في حياتي. الأول عندما كنتُ طفلاً بريئًا وتحوّلي لشاب مزعج تعيسًا، والثاني هو وأنا كهل لأعود مجدّدًا عاقلًا راشدًا بدلًا من سموّ عواطفي على حساب عقلي وتتدبري كالسابق.

كلّ ما مررتُ به كان مؤلمًا لا يمكن إنكار ذلك، ولكن ما اختلف الآن هو راحة البال وإخماد صوت الضمير، مطمئنًا في سكينة ورخاء لم يذيقهما منذ زمناً طويل.

حاولتُ إصلاح ما أفسدته منذ تعرّفتُ على سيرينا زوجتي، وكان من ضمن أولوياتي لذلك الإصلاح هو تحسين علاقتي مع ابنتي هلا والاعتراف لها بكلّ شيء يختلج قلبي، لأتفاجأ بها تسامحني. وكان هذا مباغتًا تمامًا كيوم قدوم الفتى.

أردتُ أن أوقف سيرينا عما تعمل، فأنا الوحيد الذي يدرك أنّها تريد اقتحام عالمي البشري من خلال ورقة قد أرسلتها لقائد مملكة الإيقاع، ليث ستارك بالطبع لم تقولها صراحة وإلا كانت ستلقى رفض.

رأيتُ تاريخ الإرسال لكنّي لم أجد تلك الإشارة، ومع ذلك كان الفتى أول من يعلم بهذا الأمر. لا أعلم هل يصدّقني أم لا، لكن على الأقل أرحتُ ضميري.

ليخبرني أنّه سيفكر بالأمر وماذا يمكنه أن يفعل، وحدثني مجدّدًا بأمورٍ عدّة كانت من الماضي وتخص حياتي للشخصية ولكنّها ذات تأثير على حاضري وحاضر ابنتي.

ذلك الفتى، لاحظت أنه رغم سنّه الصغير، إلا أنّه ذو عقل كبير يفكر ويتأمل، ويستخدم عقله كي يرى الأشياء بنظرة لما يراها أحدٌ إلا وكان مثله.

صراحة هو من علمني أن أفتح عقلي ولا أغلقه إلا حينما أريد.

رغم أنّ ليس هناك أحدٌ من عائلته يقبلني إلا إن قد فعل، وجعلني ذو مشاعر فياضة لم تكن فيّ من قبل. كانت آخر مرة عندما كنتُ صغيرًا فحسب.

صرت أراقب سيرينا عن كثب، لكنها كانت حذرة جداً، وكادت تكشفني في العديد من المرات، لكني أيضاً كنت أجد طريقة لأتهرب منها.

حتى قالت في مرة: "تبدو غريباً، وأخشى شيئاً ما. إن كان صحيحاً، ستحزنني يا عادل، ولا أتمنى هذا".

وفي إطار المراقبة، كان أول شيء وجدته تلك الرسالة المبعوثة لليث ستارك وعالم مملكة الإيقاع، وكان هذا بمثابة سابق إنذار. مرت أيام على هذا الحال حتى بتنا نتشاجر بين الفينة والأخرى، حتى صارت توبخني علناً بلا خجل، حتى ولو كان أمام ابنتي.

في الأخير، ذكرتني بمن أكون وكيف كنت وأين صرت.

حتى غادرت المنزل بأكمله غاضباً،،،

وعند عودتي، صارحت الصغيرة بكل شيء، إلا أن وقع الاقتحام في تلك اللحظة، فكرت في شيء ما، وطلبت من هلا بألا تفعل شيئاً يؤذيها أو يعرضها للخطر، وألا

تقلق، لأنه من غير الممكن أن يقتحم بشرياً أو من مملكة الإيقاع هذا المنزل، فهو بطبيعة الحال محمي من قبل تلك المريضة سيرينا.

كما أن هلا أو حتى أنا لم نقترف خطأً يودي بتلك الفوضى العارمة الجارية الآن.

غادرت المنزل على عجلة حتى أستطيع، ولو بمساعدة بسيطة، تخفيف حدة هذا الصراع. وكان الذهاب للفتى هو أول خيار. ومع الأسف، عندما وصلتُ منزله، لم أجده، بل وجدت أسرته التي تكنّ لي كراهيةً شديدة.

حتى عندما سألتهم عن مكان الفتى، لم يستجب أحد، وبدلاً من ذلك، أغلقوا الباب في وجهي. صرختُ كي يتفهموا، ولكن الضوضاء في الأسفل لم تسمح لصوتي بالوصول. توقفتُ فجأة وتعجبتُ كيف لا يقدم أحد على هذا المنزل، رغم أنه لبشري، وليس أي بشري، إنما الفتى الذي يعتبر من أبرز أسباب تلك الحرب.

عندما لم أجد أي استجابة، قررتُ أن أغادر لعلي أجد شيئًا ما. حتى أنني حاولتُ أن أصل لمملكة الإيقاع، لكني فشلتُ. كان يجب أن آتي بهلا معي، لذلك عدتُ مجدداً لمنزلي. طرقتُ الباب بكل قوة ممكنة، حتى أيقنتُ أنه من المستحيل أن يكون هناك أحد في الداخل.

أين ذهبت هلا؟ وماذا تفعل سيرينا الآن؟ حتى مفتاح المنزل لم أحمله اليوم فلولا تلك الجلبة الصادرة من الخارج والقلق والتشويش مما هو قادم لربما تفقد المفتاح قبل نزولي على عجلة هكذا.

حتى جاء بعض الأفراد من البشر غير مؤلفين بالنسبة لي بوجوها مكفهرة.

هنا أدركت كيف ستكون نهايتي والتي لم أكن أتمناها قط أخذوني بالقوة نحو إحدى المنازل التى تم اقتحامها من قبل وبدأ ينهالوا بالضرب المبرح لأسقط مغشياً علي لأستفيق واجدهم نفس المجموعة يقهقهون ضحكا ويقولون :"أيعقل أن مثل سيرينا يخشى من كهل عجوزاً كهذا والآخر يرد أنه حمقاء ماذا سيفعل هذا الرجل إذا كان أخذ بعض اللكمات وسقط أنها ضعيفا جدا.

استنشط غضباً ليس بسبب تلك الادعاءات التى تبدو حقيقية تماماً وانما بسبب هذا الخداع انبعث أفرادا من عالمي كي يضربوني لتخلص مني ألهذا الدرجة امرأة كاذبة انها حقا تبث السم في كل من تقابله.

لم افكر يوماً أنها تفعل ذلك ظننت فقط أنها تسعى نحو هدفها اللعينة دون ايذائي أو حتى قتلى. كانوا أربعة أفراد يبدون في حالة من السكر يجلسون بطريقة جيدة بحيث

لا يرونني، ولكن من حين لحين يلتفت أحد يرى هل أفقت أم لا. وفي كل مرة كنت أنجح في التصنع بأنني فاقداً للوعي.

أثناء ذلك كنت أفكر في طريقة لأتهرب حتى وجدت في أحد الأركان عصا غليظة. نهضت وسرت ببطء شديد وأمسكت العصا بقوة وتقدمت حتى ضربت أول رجل رآني منهم حتى فقد الوعي.

أما الباقون فما زالوا لا يدركون ما حدث لتو، ولكن نهضوا مترنحين كي يمسكونني. لكن تلك العصا كانت الأسرع، وضربتهم جميعًا ليوقعوا متألمين. حتى خرجت بأقصى ما لدي نحو أي مكان أستطيع أن أختبئ فيه ولو بشكل مؤقت. ولم يكن أمامي حل سوى منزل الفتى، عسى أن يكون عاد ولو وصل الأمر إلى أن أتوسل له ولعائلته.

حتى توجهت لهم بخطوات متعثرة أثر ذلك الضرب والآلام وصعدت وبدأت في طرق الباب بهذا الضعف والوهن الذي حل بي.

ليفتح بحذر وأجد والدة الفتى تنظر لي بتعجب قائلة : "لماذا عدت؟ ألا تفهم بعد هيا أذهب منه؟"

وكادت تغلق الباب في وجهي كالمرة السابقة، لأتحامل على نفسي هذه المرة واضعاً قدمي حتى لا يغلق الباب، قائلاً: "أبنك سامحني، واعتبرته كابنتي تمامًا منذ ذلك اليوم. رجاءً سامحوني أيضًا ودعيني أدخل. أن سيرينا تبحث عني الآن، وإن رأتني ستقتلني حتماً. رجاءً، قد هربت منها لتو بأعجوبة."

فتح الباب كاملاً ونظر لي شقيقه الغليظ قائلاً: "أتذكر حينما قلت عليك أنك كهل مجنون؟ كنت محقاً وأنت تثبت ذلك كل يوم. اذهب من هنا ولا تعد حتى لا أقتلك في تلك الفوضى".

ابتلعت غصة في حلقي وقلت: "أنا آسف، سأغادر ولن أعود أبداً. وودت فقط أن أقول شيئاً لمالك. رجاءً أخبروه أنني لم أرَ مثله قط، لا في مملكة الإيقاع ولا هنا. أنه ذكي ويستحق، وليس الشقاء. كنت أحمقاً والآن صرت أدفع ضريبة هذا الغباء.

سيرينا خدعتني لكنها لم تستطع فعل ذلك مع الفتى. لقد أوقعتني في عداوة مع بني جنسي دون أن أدري، وعززت في حب الانتقام.

لكن اليوم، إذا مت فسأكون سعيداً لأنني أفقت أخيراً وأدركت مع من أكون.

حذروه منها، إنها ذكية جداً ولا تفعل شيئاً بمفردها. بل إذا أرادت شيئاً، تبعث وتأتي بها، ولو من أواخر ونوادر العوالم المختلفة. إنها تأتي بالسحرة ورجال الظل والظلام، تستعين بهم وأمورًا ربما تتخطى عقل بشر.

وأخبروه أيضاً أن ابنتي بريئة وما زالت نقية، ليست كأمها قط. أما عني، فأخطأت والآن أدفع ثمن أخطائي. لقد علمت الدرس جيداً من زوجتي وعالمي والفتى أخيراً. إنني ممتن له ولمن رباه. وداعاً".

كنتُ محبطاً وسرتُ في طرق ملتوية. وفجأة، صدر صوتٌ عالٍ لدرجة أنه غطى على هذا الضجيج، قائلاً: "انتهت الحرب، فليُعَد كل شيء حيث كان بشكل مؤقت، وليس نهائيًا."

وهذا ما قد حدث، فقد عاد كل شيء وهدأت تلك الأصوات المزعجة حتى سكنت تمامًا.

نظرتُ في الأرجاء، لأجد أن شكل القرية قد عاد.

أثناء ذلك، رأيتُ طوفانًا من الإزرقيون يغادرون تباعًا عبر مزرعة الفتى. ألحقتُ بأحدهم وأمسكتُ به مُترجيةً: "ساعدني في الانتقال إلى عالمكم، رجاءً."

نظر إليّ بتعجبٍ وقال: "ألستَ أنتَ البشري زوج سيرينا؟"

فأومأتُ بالإيجاب. فابتسم وقال: "لهذا السبب سأنقلك إلى عالمنا. هيا يا سيّد."

كان العدد ضئيلًا جدًا مقارنة بالبوابة الأخرى. فنحن كنا نمرّ من تلك البوابة، وهناك أخرى يدخلُ بها كل ما هو غريب وعجيب. حتى أنّني سألتُ: "ما تلك الكائنات؟ وما اسمها؟ ولماذا تعبر بنفس ذلك الوميض؟"

لم يُجِبْ، وكان هذا دورنا. ففي بضع لحظات، وجدتُ نفسي في عالم مملكة الإيقاع. شكرتُ صاحبتها وذهبتُ أبحثُ في كلّ جحر ومكان، وسألتُ بعض الإزرقيون عن القائد ليث حتى ألتقيه وأخبره بكل شيء.

أخبرني البعض بأنّ هناك اجتماعًا طارئًا، وصدر عنه إيقاف الحرب.

بعد قليل، ذهبتُ إلى موقع ذلك الاجتماع. جلستُ قليلاً لأجد رجلا ًيبدو أنه قائد من تلك الثياب التي يرتديها ،ربما يكون هو ليث ستارك.
لم أفكر طويلا ،ًذهبت إليه متسائلا" :ًأتكون أنت ذلك القائد المدعى بليث ستارك المعهود له بحماية هذا العالم."

نظر بتعجب وقال" :أأنت بخير؟ ما الأمر؟ هل هناك من اعتدى عليك هنا؟."
ثم صمت قليلاً وتابع" :تبدو مألوفـًا ،رأيتك في السابق ،صحيح؟."
ارتبكت وقلت" ربما."
ليعود مجدداً ويقول" :على أي حال ،ما الأمر؟ ماذا تريد؟."
لأجيب" :لدي الكثير من المعلومات الخطيرة بشأن تلك الحرب ،ومن صنعها ،ومن يحاول أشعالها."
لينظر بغرابة قائلا" :أتمنى لو كنت معنا منذ قليل .لكن لا تقلق ،في الغد أذهب إلى المواجهة ،وأدلي بتلك المعلومات ،أيها البشري."
وكاد يذهب ،لكنني أوقفته" :رجاءً ،أصغِ لي فقط."
ليتوقف ويلتفت لي قائلا" :ليس أنا من يتحكم ،وإنما قواعدنا هنا .الاجتماع انتهى ،لذا لا حديث بشأن هذا الموضوع إلا عند المواجهة .أفهمت؟ عن إذنك."

لحقته مجدداً قائلاً: "أي مواجهة؟".

ليجيب: "مواجهة بين سيرينا ضد ذلك الفتى البشري. أتعرّفه؟".

رديت بحماس: "بالطبع، لكن أين هو الآن؟".

ليقول: "لا أدري. عليه الذهاب وداعاً".

انتابني مشاعر مختلطة ما بين السعادة والقلق. بحثت عنه جيدًا، ولأنّه مميز عرفت أين هو. طرقتُ الباب حتى وجدته أمامي. ابتسمتُ بحماقة وقلتُ: "أنت من أوقف الحرب، صحيح؟ كيف أتيتَ إلى هنا؟".

ليردّ قائلاً: "أدخلْ أولاً".

كان ذلك منزلَ إحدى الإزرقيون. فقلتُ: "أنظر، لديّ الكثير لأقوله. إنّ زوجتي وراء كلّ ما جرى في الماضي حتى اليوم. تُريدُ أن تقتحمَ عالمنا حتى تخضعَنا نحن البشر الإزرقيون هنا تحت حكمها. أتفهم ذلك. لذلك ترسلُ أبناءَ من جنسي ليقتلوني. لقد نجوتُ بأعجوبة".

لا أعرفُ أثرَ كلامي عليه، لكنّي وجدتُه شارداً.

صمتَ قليلاً حتى تحدّثَ أخيراً قائلاً: "كنتُ أشعرُ أنّ هناك أمرًا أكثرَ من حقدها وكرهها للبشر. وها أنا علمتُ".

نظرَ إليّ ثم تابعَ قائلاً: "ستأتِي معي غدًا في المواجهة، ولكن هل معكَ أيّ دليلٍ على مما تقول؟".

المواجهة الأخيرة

كان يوماً حافلاً بالقلق والتوتر إزاء تلك المواجهة التي حتماً سينتج عنها قرار أما استمرار الحرب ضد البشر أو العودة إلى حيث كانت. ومن جهة أخرى، الكشف عن الظالم وإعفاء المظلوم. وبالطبع، سيتكشف من سيعاقب وأي عقاب، ومن سيتعوض وأي تعويض.

أطراف جمعتهما العداوة ولسبب لا يرقى بعد إلى حد الحرب انها بدأت منذ قرابة سنة، وهنا في تلك المواجهة وتلك البقعة ستنتهي إلى الأبد، سواء كان حقاً أو ظلماً.

ففي المرة الأولى، حكم على سيرينا، حاكمة عالم مملكة الإيقاع، بالنفي إلى عالم مجهول، أو الأصح إلى مكان مجهول لا يعلمه حتى من أوصلها إليه لتعود مجدداً أقوى من ذي قبل.

في النهاية، تعود سيرينا في قفص الاتهام، وهذه المرة ستكون بينها وبين الفتى بشكل مباشر وصريح، وربما ينضم آخرون في تلك المواجهة.

أتى الصباح وكل واحد من أبطال المواجهة يفكر ويتأمل ويحاول تهدئة قلقه وخوفه مما هو قادم.

أن الوضع على أشدّه. أتى الجميع والكل في انتظار ذلك القائد الذي يقوم بعمل مزدوج حماية عالم مملكة الإيقاع وفي ذات الوقت قاضي لها، حيث لا يأتي في تلك الصفة الأخيرة إلا للقضايا الشائكة والمميزة.

الجميع على أهب الاستعداد: الفتى وعادل في الجهة اليمنى، وسيرينا وابنتها في الجهة اليسرى.

وفي المنتصف يجلس القائد الذي سيحكم بالعدل.

كانوا يجلسون على منصة متوسطة الطول. أما مكان القائد فكانت منصة هائلة ضخمة ليتناسب من أجواء الرعب تلك.

في المنتصف يجلسون مجموعة من الإزرقيون عددهم لا يزيد عن خمسة عشر. يبدو أنهم ليسوا من العامة، وإنما أيضاً ذوو نفوذ وحكمة.

ليعلن فجأة عن وصول القائد ومن ثمة بعدها بدء المواجهة.

ألقى القائد ليث ستارك كلمته قائلاً: "هنا في تلك الساحة البسيطة، سنحاول قدر الإمكان أن نسير على طريق العدل مثلما كنا وسنظل. ربما بيننا خائن، ولهذا عقدت

المواجهة، فالأمر نادر الوقوع. ومع ذلك، سنتحدى ونصل إلى بر الأمان معًا، وأيًا كان ما نحن مقبلون عليه، سنتخطاه."

ثم نظر إلى الفتى واستطرد قائلاً: "مهما يكن الظالم، فسيكشف تلك الليلة، وكذلك المظلوم." ثم نظر أمامه وتابع قائلاً: "الجميع يعلم أن نهاية العام شارفت على الانتهاء، ونحن نستعد لإصدار قائمة بتلك الفئات، وأي عالم ستُنفى إليه. وفي هذا السياق، يجب التنويه بأن تلك المواجهة هي الأبرز، لأنها فيها ضحايا وخيانة وعداوة بالغة الخطورة، كذلك اشتباك مع وحوش بحجم البشر."

لذا، الظالم سينفى إلى عالم الجن والسحر والعفاريت. ليحقق بشأنهم الموت الأكيد، وذلك كونهم قد فعلوا أسوأ الخروقات في ذلك ومنهم بطبيعة الحال الظالم من تلك المواجهة

والمظلوم فسيتولى حكم عالمنا إي سيكون واليًا بشكل مؤقت. وان نجح في إرساء العدالة والحق، فسيصل إلى أعلى وأسمى المراتب، وصولًا إلى حكم عالم مملكة الإيقاع كاملة وبشكل دائم. وهذا كي يتعرف عليه الأهالي، وينصرونه ويحمونه في أي عالم سيكون.

أننا نصدح بالعدالة ليس في أقوالنا فحسب، وإنما في أفعالنا كل يوم.

يا سادة، ما نحن عليه الآن هو بسبب خطأ ارتكبه أحدنا، وحتى الآن لا نعلم إن كان بشكل عمدي أم لا، وهذا ما سنتعرف عليه بعد قليل. دعونا لا نضيع الوقت، ولنبدأ المواجهة.

نظر القائد للفتى أولاً وطرح أول سؤال قائلاً: "كيف تعرفت على عالمنا أيها البشري؟".

تنهد مالك وأجاب: "كنت أعمل في الليل في مزرعتنا، فكما تعلمون أن بجانبها ذلك الوميض الذي يربط العالمين معاً، ولكن ليس هذا السبب الحقيقي، وإنما هلا".

نظر له ثم استطرد قائلاً: "هي من عرفتني على عالمكم. ففي تلك الليلة، رأيتها تبكي بالقرب من مزرعتي، فذهبت لها بحسن نية، إذ كانت تريد مساعدة أو أي شيء. وبالفعل، سألتها عن السبب، فأخبرتني أن والدها طلب منها العودة لوالدتها، فأخذتها وأصررت أن أوصلها، فالوقت كان ليلاً، وشديد الظلام، وسيرنا معاً في خطوات قليلة حتى صدرت ضوضاء عالية، وبدا وكأنه وميض مفاجئ وحقيقي، وظهر الإزرقيون بشكل مباشر للمرة الأولى بالنسبة لي".

ثم نظر نحو سيرينا وتابع: "في الحقيقة، تلك المرأة حذرتني من أن أقدم على شيء يكشف ذلك العالم، وأخبرتني: "أن قلت شيئاً، فستقتلني وتقتل عائلتي". ليختفوا مجدداً، وأفقد الوعي، لأستيقظ وأجد نفسي ملقى على الأرض في ذات المكان. وكان كل شيء قد تلاشي. هكذا علمت أن هناك عالم آخر، خاصة عندما رأيت هذا العدد من الأزرقيين بذات الملامح والثياب الغريبة".

ليوجه القائد سؤالاً جديد لمالك: "وماذا فعلت بعد ذلك؟".

ليرد قائلاً: "أن الأمر غريب، وما رأيته كان أكبر من أن أتحمله. ومع ذلك، لم أخبر أحداً على الإطلاق، لكنني كنت أراقب ذلك المكان كل يوم.

حتى أنني لم أجد أي شيء غريب، فكررت الذهاب لأقف في ذات المكان، ولم أستطع كذلك ملاحظة أي شيء، فعدت وشككت أنني كنت مرهقاً تلك الليلة، وما رأيته كان حلماً لا أكثر. كما أنني بحثت كثيراً عن والد هلا كي أتفهّم أي شيء، أو حتى أثبت ما رأيته أنه حقيقي. وفي كل مرة، كنت أفشل، حتى تذكرت أساطير تروي في قريتنا عن امرأة غريبة الأطوار أحرقت منزلين بعينها في السابق، ليقع ضحايا كثر ويموت من هم بداخله، وكان من بينهم أطفال ونساء. كنت أظن أن تلك مجرد أساطير، لكنها أوضحت حقيقة، فقد أدركت وأيقنت أن من فعلت ذلك عن عمد هي سيرينا. ومن أخبرني بذلك صديقتها من عالم البشر السيدة "أميرة". ومع الأسف أيها القائد، قد ماتت ليلة أمس. لو كانت حية، لكانت حاضرة الآن لتخبرك بنفسها".

إنها ذات المرأة التي كانت تأخذ أطفال أهل القرية وتحكي عن أساطيركم وعالمكم بشكل عام، ولكن دائماً ما كانت تتحدث عن أن سيرينا هي من تلوّث عالمكم بسبب شرّها وحبّها للقتل وسفك الدماء.

انتهى مالك من الحديث، لكن كلامه لا يكفي بدون دليل. حتى التفت القائد موجّهاً سؤالاً لسيرينا قائلاً: "هل ما قاله الفتى صحيح؟".

لتجيب: "أي قول تحديداً؟ فبعضه صحيح والبعض الآخر لا".

ليسألها مجدّداً بصوت صارم: "هل أظهرتِ الإزرقيون في عالم البشر لمجرد أنه أتى بفتاتك؟ هل هذا صحيح؟ وإن كان كذلك، ما المبرّر؟ فلا أحد يرى أن ذلك الأمر يرقى لأن تهدّدي الفتى بعائلته بل وتأتى بسكان عالمنا. هل هناك سبب آخر؟".

لتردّ: "قد قال إنه يأتّي كل يوم وكنا نحن نراه ونرى أيضاً والدته تراقبه من الخلف، بل تراقب أن كان عالمنا موجوداً أو لا، لذا هدّدت الفتى، لكنّي لم أكن لأؤذيه".

ليردّ القائد متسائلاً: "لِمَ كان كذلك؟ لماذا اختطفتِ أخيه الصغير حمزة وبعدها الفتى، بل واردتي أن تعدمي الفتى؟".

لتقول: "أخطأتُ. كنتُ أريد أن أختطف الفتى فقط لمجرد أن أجعله يخشى منّا حتى لا يتهوّر ويخبر أحداً، وأيضاً يبتعد عنا. أما عن الإعدام، فقد قتل فتاة ساذجة ساعدته على الهروب من صومعة العزل. ربّما كانت تحبّه، لكنّه كان مستغلّاً ولذلك قتلها".

لينظر القائد مجدّداً نحو الفتى يسأله: "هل قتلتَ الفتاة حقّاً؟ وهل كانت تساعدك؟".

ليجيب مالك قائلاً: "لم أقتل في حياتي ولن أفعل. أيّها القائد، الفتاة ساعدتني على الهروب بالفعل. وسيرنا متخفّيين بحذر حتى وصلنا عند بداية الصحراء لتخبرني أن عليّها الذهاب، وأشارت لي تجاه جبلين أن أصِل لهما وسأجد خيمة حتّى نرى ما سيحدث في الصباح. ثم غادرتُ، لم أرَها بعد ذلك إلا وهي مقتولة في الخيمة الأخرى. فكان هناك خيمتان، أحدهما لي أنا، والآخر... (تردّد قليلاً وتابع): "وَهَلا".

لينصب أنظار القائد والجالسين في المنتصف من الإزرقيون نحو هلا ليسألها: "لماذا كنتِ هناك؟".

لتجيب متلعثمة وقلقة: "في الحقيقة، أنا من هربتِ الفتى واقحمت صديقتي في ذلك، لكنّي أبدًا لم أردْ قتلها". ثم نظرتْ إلى الفتى قائلة: "ربّما هو فعل، قد شعرتُ أنه مظلوم، لذلك ساعدته على الهروب. والآن قتلتْ صديقتي لمجرد أنها ساعدته".

وقع ذلك الكلام على مسمع مالك ووالدها في حالة من الصدمة والذهول. ولكن في تلك اللحظات، لا وجود ولا مساحة للعواطف والمشاعر.

كانت الفتاة تكذب لأنها أرادتْ حماية والدتها. فهي لن تخسر الفتى أو والدها إن كذبت، لكنّها ستخسر والدتها إن قالتْ الحقيقة.

لتتابع بتردّد قائلة: "ربّما هذا هو السبب الذي جعل أمّي تتّخذ قرار الحرب ضدّ البشر".

سيد عادل، هل لديك ما تقوله بشأن زوجتك أو الفتى؟ ذلك كان السؤال الأخير من القائد ليث بالنسبة للأطراف المعنية.

ليرد عادل قائلاً: "نعم، أريد أن أقول إن زوجتي مخادعة، وأرادت قتلي ليلة أمس حتى لا تكشف عن نيتها. هذا أولاً، أما ابنتي فمع الأسف ربما اضطرت للكذب لأن تلك هي والدتها. لدي ما يثبت أن نية زوجتي هي اقتحام عالمي البشري، وأيضًا عالمكم، لتسطو عليهم وتجعلهم تحت جناحيها."

ليقول القائد: "وما هذا الدليل؟"

ليرد عادل بثقة: "يوجد دليل..." توقف في لحظة ووضع يده في جيبه ثم أخرجه محملاً بشيء ما، وكانت تلك مجرد كاميرا صغيرة الحجم. ونظر باستفزاز لزوجته وأضاف: "هنا أيها القائد الدليل، بصوت والصورة. في الأوان الأخيرة، قمت بتسجيل حواراتها ليس معي فحسب، وإنما مع كائنات من عوالم أخرى. لا أدري أنهم رجال من عالم الظل أو الظلام..." تنهد ثم تابع وقال بارتياح: "أنني مذنب تقريبًا بقدر فعلتها، لكني أفقت أخيرًا، وها أنا موجود بينكم اليوم، متقبلًا أي حكم أو عقوبة بالنسبة لي. فأنا أستحق ذلك، وكذلك هي. أما الأزرقيون أو حتى البشر، فلا يستحقون."

أشار القائد لأحد الحراس حتى تقدم. تقدم أحدهم لعادل وأخذه.

واعيد نفس المشهد الذي فعلته سيرينا في السابق، ولكن بشاشة أقل حجمًا بالطبع، وبعكس الدليل الذي فقده، لتعلنوا حربًا ضد البشر.

توجه القائد وسأل هذه المرة الجميع إن كان يريد أحد التحدث قبل رؤية ذلك الدليل.

ليرفع أحد الجالسين يده ويقف حتى قال ليث: "تفضل".

ليرد: "في الأوان الأخير، عالمنا بات ممزقًا سواء من الداخل أو حتى الخارج، وكان هذا بسبب أحاديث وافتراءات فرضتها علينا حاكمتنا سيرينا، أنها احتجزت عددًا كبيرًا جدًا من الأزرقيون، ولدينا إحصائيات بهذا الأمر لأسباب واهية".

قاطعه ليث متسائلًا: "ما علاقة هذا بالفتى والبشر؟".

ليجيب الآخر: "لذات السبب، يُفترض أنها نُفيت إلى عالم ما قالوا مجهول، وهذا لم يحدث من قبل أبدًا، كما أنها أخرجت البعض من الاحتجاز لمجرد أنهم وافقوا على دخول حرب ضد البشر، ففعل هذا طبيعيًا. الأمر كله متعلق بسيرينا والبشر، وكما قلت، لا مبرر واقعي إلا لسبب قاله زوجها لتو، وهو اقتحام عالم البشر وإخضاع الجميع تحت ولايتها". ليرفع آخر يده ويقف ليجلس الأول.

ويبدأ الأمر قائلاً: "هناك أمر ربما ليس له علاقة بالبشر، ولكن أراه سببًا لكل ما يجري حتى اللحظة، ثم التفت ونظر لسيرينا وتابع قائلاً: "قد قتلت والدها أولاً واكتشفت أنها قتلت الفتاة المسكينة ابنتي.

لذلك، سأعترف بأمر ما: " في البداية، أنا وسيرينا تجمعنا صلة قرابة، فوالدها هو خالي وكم تعلم كان حاكمًا لعالمنا قبل أن تقتله تلك المرأة".

"قد أحببتها وأردت حقًا أن أتزوجها، لكنها دائمًا ما كانت تفكر في شيء آخر، وطموحها يغلب عليه السطو والكره والبغض.

كانت تتحدث دائمًا عن عالم البشر وجماله وأشكاله بل وبعض سكانه، وأنه كن مميز عن كافة العوالم التي زارتها من قبل، وتحلم دائمًا بأن تكون حاكمة لكلا العالمين حتى لا يضطهدها البشر يوماً.

كانت تظن أنها إذا عاشت وحيدة فلن تشعر بسعادة والامان، بل ستلقى نظرات اشمئزاز، وهي لا تحب ذلك، وإنما أرادت أن تقتحم عالم البشر ليخضع كل شيء لها، خاصة ذلك العالم بسكانه. لذلك تزوجت من بشري.

"ذنبي الذي اقترفته أنني رأيتها تلك الليلة تقتل والدها بخنجر. وذلك بعد خمس سنوات من كشف مذكرة تعلن عن نيتها السوداء لعالم البشر وعالمنا كما ذكر زوجه أنه محق فهي مريضة قاتلة".

ترفع تلك المرة سيرينا يدها قائلة: "أن الأمر ليس بهذه السهولة. أبي قد تولى الحكم ولم يظلم أحدًا قط. وجئت أنا لأستمر على نفس النهج. لكن ربما بعضكم قد أساء الفهم. لست عدوة للبشر وبالطبع للأزرقيين هنا، وإنما أردت أن يعيش كلا العالمين في حب وتفانٍ طوال الوقت. ولا أريد قط أن أكون عائقًا أمام ذلك.

كان غرضي نبيل وأن يكون سكان العالمين تجمعهما معًا الحب وليس العداوي. وإنما بحماقة البعض فقد تأخر الأمر. بل بعض البشر، ومنهم الفتى، أفسدوا كل شيء. ولذلك الحرب قد قامت. إنه ذنب الفتى وعائلته بالكامل وليس أنا.

أما عن زوجي عادل، فقد حمل ذات الصفة. قد أنكر فضلي بل فضلنا نحن الازرقيين عندما استقبلناه في مملكة الإيقاع وكان واحدًا منا، وليس مجرد ضيف. أنه أساء إلينا الآن وكان دائمًا يمثل حجر عثرة في العالمين.

هو من أساء لنا عند البشر ومن عاونه مؤخرًا على ذلك كان الفتى. لا حديث جديد. قد قلت كل ما لدي."

بعدما ألقت كلمتها الأخيرة، وقف القائد محملًا بتلك الكاميرا الصغيرة وبدأ يشغلها. ونجح في ذلك، لكنه وسّع الصورة حتى أصبحت كشاشة عرض معلقة على الهواء. وكأنه قام بنقل ذلك التسجيل من الكاميرا الصغيرة إلى العلن بل وتعليقها حتى يشاهدها كل الجالسين.

أثناء العرض كانت الوجوه حائرة ما بين الصدمة والتعجب واللامبالاة وحتى الغضب . فما تضمنه كان مختلفًا وجديدًا. وعلى الأرجح لم يحدث في مملكة الإيقاع مطلقًا.

يحتوي التسجيل بالصوت والصورة على ما يلي:

كان سيرينا واقفة وتتحدث إلى كائن ما لم تتضح معالمه جيدًا. لكنه ليس من الازرقيين ولا يعتبر بشريًا. ومن ملابسه اتضح أنه من عالم الظل. كانا يتحدثان بصوت منخفض بالكاد يصل إلينا فحيح تشبه الهمسات. ثم ذهبت لتعود هي إلى الداخل ليطرق الباب. وكان القادم هو زوجها عادل.

عندما دخل قال: "أسمعت ما حدث في الخارج؟".

لترد: "ما الأمر؟".

جلس عادل ثم نظر إليها وتابع: "يقولون إنهم رأوا وميضًا".

لتجيب: "وميضًا؟ اتقصد عالمنا؟".

ليومئ برأسه بالإيجاب. لتتابع سيرينا قائلة ببرود: "من يجرؤ على ذلك يا ترى؟ معنى أنهم بدأوا في تداول الأمر. إذا من أضاء الوميض كان يريد ذلك. ولكن ما علاقتنا نحن؟".

ليرد: "ألستِ أنتِ من فعلتها؟".

لتعود وتقول: "حتى إذا كنت أنا، ما المشكلة في هذا؟".

لينظر الآخر ويجيب: "ما بكِ؟ أتريدين حقًا إحراق عالمنا؟ ألم تتخلي عن ذلك الأمر؟ أنتِ فعلتي هذا ليدخل بعض الازرقيين هنا. ولا أعلم ما المشكلة التي ستفتعلينها كي تقام تلك الحرب".

صمت قليلاً وتابع غاضبًا: "سيرينا، أقسم أنكِ إذا لم تتخلي عن هذا الحلم الوهمي، سأخبر قائد عالمك بالأمر حتى لا يرسل جيشًا أو يعد لحرب كما ترغبين وتعدين".

لتجيب سيرينا: "أجننت أم ماذا؟ كل ما فعلناه معًا كان لهذا الحلم. والآن تطلب مني أن أتخلى عنه؟ أحمق! قد قلت لك: ابتعد عن الفتى، فإنه سيخدعك كما خدع هلا".

ليرد عادل: "أنا لا أنصت لحديث الفتى أو غيره. إنما أصغي لعقلي وقلبي. وأنصت لضميري اولا. سيرينا، لا زال هناك وقت. تعالي معي واطلبي السماح من الفتى. ودعينا نعيش معًا في عالم البشر أو حتى عالمك. ولكن ليس بتلك الأفكار. عودي لرشدك".

لتقول: "أحقاً ما تقول؟ تريد مني أن أعتذر للفتى، بل وأعيش معك في عالمك... من تكون أنت، يا عادل؟ قد صنعتك، وفي أي لحظة استطيع أعيدك لذلك الأجرب أتتذكره ، وأراك وأطفال قريتك يرمون عليك بقذائف الحجارة. أهذا ما تريد؟

أسمع، لن أندم عما فعلت، وكذلك فما سأفعل. انتبه، يا عادل، انتبه جيداً، وإلا أنت من سيندم".

ليخرج غاضباً ويسدل اللون الأسود معلناً انتهاء تلك التسجيل.

لحظات ترقب وانتظار دامت عدة دقائق حتى يتحدث أخيراً القائد ليث متسائلاً عما إذا كان يريد أحد التحدث أو قول أي شيء، ليجد أن الوجوه حائرة، حتى المرأة الغليظة سيرينا كانت يدها ترتجف وابنتها في عالم آخر، تنظر تارةً لتسجيل حتى بعدما أغلق، وتارةً أخرى لأمها. أما عن الفتى، فكان ليس متفاجئاً، ولكن ما جذبه في هذا التسجيل هو قول سيرينا في جزء منه أن الفتى قد خدع هلا.

أما عادل، فكان مطمئنًا راضيًا لدرجة أنه كان سعيدًا، فهو لم يلق ولا يعرف ذلك الشعور من قبل.

كانت مواجهة أطلق عليها الأخيرة لأن ربما لم يلق أصحابها بعضهم بعضًا.

تحدث ليث حازمًا بقول: "أن الأمر مستتر وليس سهلاً، وحتى البت فيه يحتاج لتأكد من كل شيء حتى لا يظلم أحدًا، ولذلك سيعقد محاكمة خاصة لسيدة سيرينا، وفيها سيصدر الحكم النهائي بأن كانت ستنفى في نهاية العام لعالم آ... بلا عودة، بل ويتأكد من موتها، أما يخفف الحكم أو تتضح براءتها.

كما تعلمون، لا يمكن من خلال تلك المواجهة أن يحجز متهم في تلك الجرائم البشعة في صومعة العزل، لا يفصلني عن نهاية سوى أيام قلائل، وخلال تلك الأيام لا خروج من عالم مملكة الإيقاع حتى تنتهي مراسم انتهاء العام والفصل لمن سينفى ويموت، ولكن سيكون بريئًا. ثم نظر للفتى وقال: ستضطر أن تبقى تلك الأيام هنا حتى يصدر الحكم النهائي ومعه أيضًا توليك مراسم عالمنا.

أسدل الستار على تلك المواجهة الأخيرة التى اتصفت بالعادلة والحكيمة.

الفصل الأخير

تمرّ الليالي ويبقى حمل القلب ثقيلاً لا يخفّ. تلك المواجهة قد بيّنت ما تحمله الصدور، فلا الفتى ساذجًا ولا الفتاة كذلك، إنما يتبعان طبيعتهما النقية. وهذا ما يميزهم، فالقلب أصله أبيض، ولكن أمثال سيرينا يشكلون تلك القلوب بتجارب الحياة واستخلاص دروسها القاسية بشكلٍ عكسيّ، ممّا يجعلهم أشخاصًا صعبين المراس.

أما أمثال عادل، فَهُمْ كثرٌ ينصبون تركيزهم نحو الآلام دون مراعاة من هم مسؤولون عنهم أو حتى أنفسهم، لتأتي لحظةٌ يُدركون فيها أيّ فخٍ سقطوا.

في النهاية، الجميع مسؤولٌ ويُسأل عما فعل. وهذا يحدث فقط هنا في مملكة الإيقاع، فهي تشبه الأحلام في ألوانها وبديعها وصفاتها الحسنة التي يفتقرها الكثير اليوم.

إنها أشبه بحلمٍ جميلٍ يتشكل من عائلاتٍ كاملةٍ تعرف جيدًا العدل والرحمة والسلام، لذلك صدموا عندما تعرّفوا مؤخرًا على الظلم والقسوة وحتي الصخب والضوضاء. فما كان منهم إلا أن يرتجفوا، فكان الأمر بالنسبة لهم أشبه بالمستحيل.

أن عالم مملكة الإيقاع قد بدأ منفردًا، ليستكشف أحدهم أن هناك عوالم أخرى ربما يقنطوا في نفس الأرض. وكان هذا بداية اكتشافهم لتلك العوالم، حتى أن الأمر بدأ بالحظر المطلق لخروج الأزرقيين نحو إحدى تلك العوالم، حتى تمردّ البعض واكتشفوا بذاتهم السرّ.

فكلما وجدوا عالمًا، يتملكهم الذهول أولاً حتى يتضح بعد ذلك أنه هشٌّ بُنيَ على الظلم والقسوة فقط، أو عالمًا بسيطًا رقيقًا ذا رائحةٍ طيبةٍ وعطرةٍ.

وأخيرًا، كان عالم البشر هو المحطة التالية. ليلاحظوا أنه مختلفٌ غير مسبوق، فهو يجمع بين الخير والشرّ، الحبّ والكره، وكذلك سكانه يحملون ذات الصفات. لذلك بدأت الرؤية تنخفض لديهم ويتعثرون كما لم يحدث من قبل. في هذا العام كانت الأحداث تتوالى في ذلك العالم دون سبب أو هكذا ظنّوا. كان يحكمهم عائلة نوكتورا وكان آخر رجل حاكمها هو والد سيرينا. استمر على نهج أجداده على أن وجوده كان شكليًا ومفترضًا. أي حاكم سيتولى مهام مملكة الإيقاع حتماً، وجوده يقتصر على المراقبة فحسب. أما الباقي فكان واجب الأزرقين هم فقط يحملونها على عاتقهم. وكان هذا بديهيًا، ولكن من بدأ في تلويث تلك المبادئ وإدخال مآسي العوالم الأخرى كانت سيرينا. فهي أول من تبنت أفكارًا شيطانية وصلت إلى حد القتل في سبيل تحقيق غرضها البائس. منذ زمن بعيد كان يتوافد الكثير من الأزرقين نحو عالم البشر والعكس حدث، ولكن مع سيرينا تبدّل الوضع وصار لا يُحتمل، لينذر بحرب هوجاء لا فائز فيها كالتي حدثت.

مالك

انتهت المواجهة ومعها كذلك الظلم .فلا أعتقد أنه بعدما اتضح كل شيء أن تفلت هذه المرة من عقوبتها .ربما ستُنفى وتموت كما قال ليث إنها أفعى استغلت زوجها وحتى ابنتها لتحكم عالمين ،لا أعلم كيف تكون هلا ابنتها ..مسكينة لتجد نفسها وحيدة .رددت في نفسي أنني لن أتخلى عنها أبدًا.

عند خروجي لم أجد السيد عاد .بحثت عنه جيدًا رغم أنه كان بجواري منذ لحظات حتى انتبهت لقدوم المرأة العجوز متلهفة لتسأل" :ماذا حدث في الداخل."

أثناء سيرنا عند العودة لمنزلها ،حكيت لها مغامرات وفظائع سيرينا وزوجها وأكدت لها على أن عادل زوجها قد تاب وهو من أفصح أسرار زوجته .يمكن اعتباره أنه سعى لإرساء العدل هذه المرة.

بعدما انتهيت وكنا قد وصلنا أخيرًا ،قالت متعجبة " :سيرينا ،من أين خرجت بكل هذا؟ لا يصدق ما تقول !من أين أتت به حتى تفعل كل هذا لتسطو على عالم البشر والإيقاع حتى لدرجة قتل أبيها."

لأرد" :إنها كذلك .ما يثير غرابتي أنني لم أر َحتى لحظة أيًا من الأزرقيين يحملون هذا البغض والكره اللامحدود ."

ساد الصمت بيننا بعض الوقت حتى أنني قطعت شرودها متسائلًا بخوف":لماذا يترك سيرينا بعدما اتهمت بكل هذا؟ أليس خطيرًا؟ أليس من الممكن أن تقتل عادل؟."

لتصوب نظرها تجاهي قائلة باطمئنان" :مستحيل أن يحدث هذا .كما أنها لا تزال في دائرة الشك .لا تقلق ،لن تقدم على فعل كهذا ،خاصة هنا."

لأجيب حائرًا" :هنا؟ أنتِ متأكدة من هذا؟ ما الفرق؟ فهي فعلت أمورًا أفظع من قبل ولم تعاقب بعد."

لتجيب واثقة" :أنت لا تعلم عن عالمنا بعد .ربما تلك أول واقعة تحدث هنا .أنا لا أبالغ .يمكنك أن تسأل الأزرقيين وستعرف بنفسك قيم مملكة الإيقاع."

لأبتسم قائلا" :إنه مثالي إلى حد كبير.

ومع ذلك ،يعيبه بعض الأشياء .لكنه حتماً يستحق أن يكون في اسمى وأرقى العوالم . لا يمكنني التشكيك في ذلك وإلا ظلمته .اعذريني عما سأقول :سيرينا تلك لا يمكن أن تكون منكم .أم أن اختلاطها بالعوالم الأخرى جعل منها شيطانة؟."

لتتنهد المرأة العجوز قائلة" :ليس كذلك .وإلا كل من ذهب لتلك العوالم لَعاد شيطانًا مثلها .بني ،ربما نحن متشابهون .ومع ذلك ،داخلنا مختلف .ربما نحمل بذرة خير وأخرى شر .وكل منا يسقيها بما يرغب .وأمثال سيرينا يلقون اهتمامًا للشر بدلًا من الخير .فهم ينبذونه .ولا تتعجب حينما ترى أنها الوحيدة المذنبة والظالمة .فلربما هناك من يدافعون عنها لأنهم يحملون نفس الصفات ،إلا وهي إمداد الشر ونبذ الخير والصلاح.

فهم هكذا يريدون .أما نحن فنتبع ضمائرنا فحسب .نحن لا نلقي همًا لذاتنا بقدر أهميتنا للآخرين .أما هم فعكس ذلك.

رديت باهتمام" :منذ مجيئي وأنا أحببت المكان هنا وصدقيني كنت أعرف معنى العدالة والتسامح وما شابه من الأمور الحسنة شأنه شأن البشر.

معرفة سطحية مجرد أسماء ومصطلحات ندرسه في المدارس والجامعات ولكن هنا علمتها حقاً بل ورأيتها تتحقق ليس بصورة فردية وإنما عالم كامل بسكانه كمملكة الإيقاع .هذا فضل كبير ولو كان الأمر بيدي لوددت أن أعيش هنا.

أتعلمين عند عودتي لعالمي سأحكي لأطفال قريتنا عن أمثالكم أيها الإزرقيون.

ابتسمت وقالت" :ما رأيك أن نخرج قليلاً حتى نرى وقع المواجهة هنا على السكان."

فأومأت بالإيجاب وخرجنا مجدداً لكن هذه المرة كي نكتشف تفكير الأزرقيين وهل يصدقونني أنا أم سيرينا.

في حقيقة الأمر ذهلت وكان الأمر مفاجئاًبعض الشيء فكأن لم يحدث مواجهة من قبل وكان الوضع كما هو وما ثار حيرتي أكثر هو أن سيرينا حاكمة لذلك العالم لذلك سألت المرأة مجددا" :بما أن سيرينا حاكمة لما لا يهمهم الأمر أنظري لم يتغير شيء فلا زال الرجال يعملون والأطفال يلهون وكأن ما حدث لا يستحق أي اهتمام."

لتجيب" :صحيح لذلك اقترحت عليك أن تخرج حتى ترى بعينيك وتخفف قلقك المتصاعد ذاك."

وقع عيني على الفتاة مجدداً وكأن أراه في تلك الليلة التي بكت فيها بالقرب من مزرعتي فكانت ذات الدموع تنزل ووجهها محمراً من شدة الحزن والغضب.

كانت تسير باكية وتضع يدها عند عينيها من حين لآخر إلا أن اتخذت قرار الذهاب إليها ولكن تذكرت المرأة العجوز حتى لاحظت شرودي وقالت" :اذهب إليها فهي تحتاجك أكثر من أي وقت مضى وأنا سأعود للمنزل سأنتظرك وداعاً."

ذهبتُ إليها بخطوات قلقة ومضطربة ،لا أعرف ماذا ستكون ردة فعلها .سألتها :
"كيف حالك؟."
انتظرتُ ردّها ،لكنها لم تُعِرني أي اهتمام ،وكأنني لم أتحدث لتو .فسألتها مجددًا :
"هلا ما الأمر؟ أنا لم أقل شيئاً سوى الحقيقة."
نظرت بغضبٍ وكانَت تلك أوّل مرة أراها بهذا الوضع .
قالت" :أتعلم أن أمي ستموت بسببك ،وهذه المرة لن تنفي فقط ،بل ستذهب بلا عودة إلى ذلك العالم حتى تلقى الموت الأكيد ،كلّ هذا بسببك أنت."!
قلتُ بتعجب" :بسببي؟ !كيف؟ أنتِ تعلمين جيدًا أنها أخطأت ،بل دعينا نقول آذت الكثير ،ومنهم أنت .

هلا أحاول أن أرعي مشاعرك ،فأنا مدرك أنها في النهاية والدتك."
أجابت" :بلا ،أنتَ السبب !فلولا إصرارك على القدوم معي منذ تلك الليلة ،وأيضًا قدومك إلى حافة عالمنا كلّ ليلة ،لكان الأمر مختلفًا.

أنتَ أناني ،أنقذتَ نفسك ولا يهمّك الآخرون .أمي محقة بشأنك ،وحذرتني مسبقًا . وليتني أنصتُ إليها .أنقذتكَ من قبل ،والآن تريد قتل أمي."!
أردتُ أن أبرّر بعض ذلك الحديث غير الصحيح بالمرة ،لكنها غادرتْ وبقيتُ أنا في حالة من الصدمة والذهول.
ليست تلك هلا التي رأيتها لأول مرة ،ألهذا الحد تنعتني بالأناني؟ حاولتُ أن أتخلص من كلّ أفكاري وأوهامي ،فما جرى كان من فعل سيرينا.
ولكن هل تراني هكذا حقًا؟ هل هي أيضاً تحمل صفات أمها؟
تمنيت من أعماق قلبي أن ما جرى كان في لحظة غضب وليس حقيقة ،وإلا لما ساعدتني من البداية .ومع ذلك ،يجب أن أقف معها ،خاصة إذا تحقق ذلك الأمر مع أمها .ستفقدها ،وبهذا المنطق ستكرهني ،ولربما تريد إيذائي .لا لا ،لن تفعل ذلك ، فهي مليئة بالخير .لا زال جرحها حديثًا ،سيزول ألمها مع الأيام ،وبعدها سترى الحقيقة وستظلّ معي للأبد.

مرّ ذلك اليوم بكافة مفاجآته الحلوة والمرّة معاً .
منذ المواجهة ،لم أرَ السيد عادل ولا سيرينا ،وانتابني شعور بأنّ هناك أمراً مريب يجري فنهضتُ وقرّرتُ الخروج لأبحث عن السيد عادل أو حتى أسأل **الأزرقيّين** .
كانت الإجابات كلّها ما بين عدم المعرفة أو كان آخر رؤية له عند **المواجهة** .
قلقتُ فسألتُ عن سيرينا ربما تكون خلف ذلك ،تعجب البعض ،لكن في النهاية لم أجد إجابة أيضا ،فعُدتُ بخيبة أمل إلى منزل العجوز لتستقبلني بابتسامتها.

لأقول" :حتى الآن لم أر َالسيد عادل ."ثم تنهدت ْوتابعت" :ْوكذلك سيرينا ."
لترد" :وما همّك أنتِ؟ كل ّما عليكِ انتظار الحكم على سيرينا ،أليس كذلك؟ ."
لأجيب قائلا" :ًقد تعرّفت ُعليه عن قرب الفترة الأخيرة ،حتى اعتبرني كأبنا ًله ."
لتقاطعني ضاحكة":عمّك تقصد ."
لأرد ّسريعا ًبخجل" :لا ،يبدو أن ّكِ فهمت ِخطأ ..إنه رجل ٌله قصة ٌما ،وحزنت ُكثيرا ً لأجله." لتقول بتساؤل" :وما هي قصته؟ ."
نجحت ُفي تغيير الموضوع ،وفي الأخير أخبرتها كل ّشيء يخص ّعادل .
بعدما انتهيت ،ُقالت" :أصله صالح ٌذو تربية حسنة صحيح ."
لأومئ ُبالإيجاب ،حتى طرق الباب عدّة طرقات ،وكان ذلك الطفل الصغير الذي قابلته ُفي المرّة السابقة .قلت" :ُكيف حالك أيّها الصغير؟ ."
ليرد" :ّبخير ."ثم وضع يده على رأسه ونظر نحوي وتابع" :هناك ب َش ْر ٌكهل ٌيطلب منك ِالمغادرة من هنا ،وإلا ّكانت العواقب وخيمة ،وأن ّعائلتك ِمن المحتمل أن تدخل في دائرة الخطر". صرخت ُوقلت" :ُماذا؟". قال مرتجفا" :ًهكذا قال ،لا أعلم ."
تدخّلت العجوز قائلة" :تمهل يا بني ،ّرب ّما هناك شيء ٌخاطئ."
قلت ُللمرأة العجوز" :ساعديني رجاء ًفي العبور لعالمي ،رب ّما يكونون هناك ، رجاء ."ً
لترد ّبأسف" :لا أستطيع ،أنسيت ِماذا قال القائد؟ أنا آسفة ."
كنت ُمرتبكا ًوحاولت ُبكافة الطرق أن أتواصل مع عائلتي ،وكلّها باءت بالفشل .
حتى فك ّرت ُفي هذا القائد ،وعلمت ُمكانه من العجوز .فهي أيضا ًلم تتركني وأصرت ْأن تذهب معي رغم تحذيرها المتكرّر لي أثناء سيرنا قائلة" :ماذا ستقول له؟ ."
لأرد ّمرتبكا" :ًسأخبره بما قال الصغير ."
لتقول" :وهل تظن أنه سيصدقكِ؟ انتظري قليلا ،ًرب ّما أخطأ الصغير."

لم أع ِر ْذلك الكلام اهتمامًا فحياة عائلتي على المحك .حتى وصلنا إلى أحد المنازل وكان مثله مثل منزل العجوز بل السكان الأزرقيون جميعهم وكأنني لم أغادر .
طرقت ُالباب بقوة فنظرت ْالعجوز بقلق.
حتى فتح وكان القائد ليث بذاته واقفًا ينظر بتعجب ٍح َتى قلت" :ُأريد العودة إلى عالمي في الحال لا يمكنني البقاء هنا ."ليرد" :ّلا يمكن حتى ينتهي الأمر."
قلت ُغاضبًا" :عائلتي في خطر ويجب أن أعود ..انظر اسمح ْللعجوز أن تساعدني في العبور إلى عالمي وأعدك بأنني سأعود متى تأكدت ُأنهم بخير ..سيرينا قد هددتني سابقًا واليوم تفعلها". ليرد ّببرود" :ما علاقة سيرينا بعائلتك؟."

لأقول" :ألم تفهم بعد؟ حسنًا الآن يجب أن أغادر وإلا عائلتي ستموت بسببك أو بسبب عالمكم."
تدخلت ْالعجوز قائلة" :أيها القائد ألا تستطيع أن تذهب أنت بنفسك للاطمئنان على عائلته أو دعه يذهب."
ليدخل منزله حتى ظننت ُأنه سيفعل كما قالت المرأة .نظرت ُلها بتعجب .حتى سمعنا صوته من الداخل يقول" :تعالى يا فتى هل هذه عائلتك؟."
لأدخل مسرعًا كي أعنفه لكن بدلًا من هذا وجدت ُمزرعتي أعني صورة أو فيديو يبث ّمباشرة تمامًا كيوم المواجهة .فقد رأيت ُأخي يعمل في الأرض وأمي وسارة وحمزة يجلسون بالقرب منه يضحكون فيما بينهم حتى خفق قلبي وعدت ُمستقِرًا ليتحول غضبي إلى إحراج كبير .ابتلعت ُغصّة في حلقي وقلت" :ُأنا آسف ولكن كيف..." . ليقاطعني قائلا" :َمن قال لك أن عائلتك في خطر؟."
لترد ّالعجوز" :في الحقيقة حفيدي الصغير."
ليقول" :الصغار لا يكذبون لكن من قال له ذلك."
بدا قلقي ينخفض حتى زال تمامًا فقلت" :ُزوج سيرينا السيد عادل حسب ما قاله الصغير."
ساد الصمت بيننا لحظات حتى تحدث القائد" :أعلم أن تلك الليالي لا تمر بسهولة فنحن نتحدث عن احتمالية ذنب كبير ارتكبته سيرينا .وإن كان صحيحًا فمن الطبيعي أن تفعل أي شيء كي تنقذ نفسها."
تنهد ثم تابع بسخرية" :تلك الألاعيب في الغالب اكتسبتها من البشر."
لتتدخل العجوز متسائلة" :أيمكن هذا أن يضر ّالفتى؟ وأين هي الآن؟."
لأقول في حيرة" :وهل تعلم انت أين هي أو حتى السيد عادل؟"

فأومأت بالنفي لأسأله مجددًا" :ألا تستطيع أن تراه؟ كيف ولِتو جعلتني أرى عائلتي من هذا البعد؟ أم أن هذا غير حقيقي؟."
لينظر نحوي ويجيب" :الأمر مختلف .فهو مقتصر على الكائنات من خارج عالمنا فقط ،وليس الإزرقيون .أفهمت؟". لتتدخل المرأة قائلة" :أليس عادل بشريًا؟."
بعد قولها ذاك ،رأيت القائد يُبعث في هذا الجهاز ،ثم تُظهر فيديو لسيد عادل مقيدًا في حالة لا يرثى لها. ليتحدث القائد" :ليس هنا .إنه في عالم البشر."
لأقترب أكثر حتى أرى بوضوح ،حيث كان المكان كما لو أنه مألوف وليس غريبًا. قلت بتساؤل" :ماذا ستفعل أيها القائد". ليجيب بعدم اكتراث" :إنه بشري ،كما أنه في عالمه .ما المشكلة في هذا؟."
لأرد مُتعجبًا" :ما المشكلة؟ ألا ترى الرجل إنه مقيد؟ انظر إلى وضعه."!
ليرد" :كما قلت ،ليست مشكلتي."

قلت" :حسنا ًاسمح لي بالمغادرة إذن حتى أستطيع مساعدته."
ليجيب" :لا يمكنك .انتظر حتى يصدر الحكم."
توقف و تقدم تجاهي ،ثم تابع" :اسمع أيها الفني ،ما قمت به لتو كاف ٍفلا تتدخلني أنا أو عالمي لمشاكل البشر .هذا أفضل لكلانا."
حاولت أن أتماسك قليلا ًوقلت" :حتى ولو كانت سيرينا هي الفاعلة."
ليرد بسخرية" :أتظنها بكم روح يا فتى؟ لا يمكن أن تخرج من هنا حتى لو فعلت . لكنت ُلاحقتها هناك."

حل الصمت بيننا حتى تحدث ذلك القائد مجددًا قائلاً: "يمكنني مساعدتك، لكن دون خروجك من هنا، فتلك الأمور لا جدال فيها". رددت: "كيف؟".

ليتابع: "سأجعلك تتواصل مع عائلتك، ما رأيك؟". لأرد سريعًا: "حسنًا. الآن؟".

حتى رأيته ذهب إلى الداخل ليعود بعد قليل ومعه جهاز صغير، قائلاً: "ذلك الجهاز سيجعلك تتصل بأي من البشر كما تريد، ولكن لا تعبث به في أمور أخرى".

غادرت أنا والعجوز لنعود إلى حيث كنا، في انتظار ذلك اليوم حتى أعتق وأعود لعالمي وعائلتي.

مرت أيام ولا جديد يذكر، حتى الرجل اختفى وكأن الأرض انشقت وابتلعته، وكذلك سيرينا، حتى أنني تعجبت لرؤيتها يوم المحاكمة. لتدور الأيام وتبقى هي المجرمة كما ينبغي مقيدة بسلاسل غليظة تشبه ما كنت فيه.

تلك المحاكمة كانت سرية وليست علنية، حتى تعجبت حينما لم يُسمح لي أيضًا بالدخول.

من الغريب أيضاً المكان، حيث كان ضخما هائل ليس مبنياً من حجارة ولا خشب وإنما صنف ثالث لا اعلمه . وعندما سألت العجوز عن الأمر ولماذا حكمت في الصحراء بينما سيرينا لا ، لتجيب قائلة: "يوم محاكمتك واتهامك، كانت سيرينا مجرد حاكمة تنفذ ما يُملَى عليها مننا نحن كشعب مملكة الإيقاع وكان ذلك بمثابة أول اختراق لها لأنها أرادت إعدامك دون موافقتنا، كما أن من الواجب أن يكون الحكم علانيًا. أما اليوم، فمن يبت في المحاكمة هو القائد بذاته، مما يعني خطورة الأمر لدرجة تهديد عالمنا. أظن أن القائد لم يكن ساكنًا في الأيام الماضية، بل كان يتأكد من كل شيء حتى يحكم بالعدل. كن مطمئنًا، فالظلم هنا ليس له مكان بيننا".

منذ تلك الليلة التي تحدثتُ بها مع هلا، لم أره إلا يوم المحاكمة بعد انتهائها، في ملامح لم أعد أفهمها.

فتاة العالم الاخر

كانت أول كذبة في حياتي من أجل إنقاذ أمي، وليتها نجحت! فقد تعقد الوسط كثيراً وكشف المستور، فأمي قاتلة بشتى الطرق اثناء المواجهة علمت أنها قاتلة جدي. بل وحاولت فعل ذات الأمر مع أبي وكذلك إيذاء الفتى وعالمه. كل ما قيل في تلك المواجهة كان بمثابة عدة صدمات متتالية، وتمنيت حقًا لو لم أكن هنا، أو لفضلت الجهل عن العلم بأي شيء.

بعد انتهاء المواجهة، ارتبكت وكدت أفقد عقلي، حتى وجدت الفتى قادماً تجاهي. لكنّي حينها لم أستطع التحكم في نفسي، ولا أعلم حتى أي كلام به تفوّهت. حتى سرت أتخبط لا أدري إلى أين، بل وكنت أتحدث مع نفسي.

لم أستوعب بعد كل ما قيل، وحاولت أن أكذب أو أبرر. ولكن هل لقتل الروح تبرير في هذا الحال .. لو كنتُ عائقًا أمام حلم أمي الظالم، لربما صرت في عداد ضحاياه الآن.

عقلي وقلبي خاو وكنت حائرة بين أمرين: ما بين غضبي من أمي والخشية من فقدانها للأبد.

في النهاية، عدتُ للمنزل في حزن وانكسار. طرقتُ الباب فلم يفتح أحد. طرقته بقوة أكثر فلم ألقِ ردًا. انتبهتُ لرجل قادمٍ تجاهي هاتفًا: "أين والدك؟".

عندما اقترب أكثر، عرفته. فهو رجل كان صديقًا لوالدي في عالمنا هنا لكنه كان قليل الزيارة لنا. نظرتُ له بتعجب قائلة: "لا أعلم".

ليرد: "كيف لا تعلمين؟ أليس والدك ومفترض أن تكوني معه؟ أم اتخذتِ طريق والدتك؟".

قلتُ غاضبة: "من أنت حتى تتحدث معي هكذا؟ اذهب من هنا والا...".

قاطعني وقال: "والا ماذا؟ على أي حال، عادل طلب مني أن أحضركِ حتى يجيبكِ عن تلك الأسئلة".

لم أعيره كلامًا، وبدلًا من ذلك، طرقتُ الباب مجددًا. حتى رأيته يسند رأسه على الباب وينظر لي. قال: "أتعلمين أنكِ تستحقين؟".

لم أفهم، لكنّه فجأة وقف معتدلًا وتابع قائلاً: "أنتِ من اضطررتني لذلك. أسف". لم يمهلني بل بدأ في ترديد بعض الطلاسم. حتى وجدتُ نفسي في مكانٍ غريب لكنه

مألوف يبدو في احدى منازل مملكة الإيقاع، لكن لحظة حيث وجدت وأبي ملقى على الأرض يأنّ من شدّة الآلام.

كان يبدو طبيعيًا، أعني لم يتأذّى بوضوح ومع ذلك يتألم.

لم أفهم حتى تقدّم الرجل وقال: "أنا خلف كلّ شيء، بداية من الفتى حتى تشريد عائلتكِ وتدميرهم بالكامل".

حاولتُ أن أتقدّم حتى أساعد أبي، ليسبقني ذلك الرجل قائلاً: "إياكِ وأن تتقدّمي ثانيةً والاّ جعلتكِ تواجهين الموت كوالدكِ".

قلتُ بانفعال: "ماذا؟".

ليرد ببرود: "ربما تتعجبين، لكنّي تخلّصتُ منه بأقلّ التكاليف والآثار. وكما ترين، هو ضعيفٌ وأحمق، فقد يسرّ لي موته بهذا الشكل".

ثمّ ذهب عدة خطوات عند الطاولة وأحضر زجاجة صغيرة جدًا، ليتضح أنّه حاملٌ لسمّ نادر جداً.

ذهبتُ لأبي مسرعة وحاولتُ مساندته على النهوض، لكنّه يتألم فقط ولا يستطيع حتى الجلوس.

ليتابع ذلك الرجل: "هلّا ربما لا تصدقين؟ لكنّي أحبّكِ، ولهذا فعلتُ ما ترين حتى لا يكون عادل عائقًا. ولا تقلقي، عندما يفتح عالمنا، سنخرج معًا لعالم آخر غير هنا حتى لا تتذكري تلك الأيام. ما رأيك؟".

صرختُ وقلتُ: "رجاءً، كفّ عن هذا. لا تفعل".

ليجلس بالقرب من أبي وينظر لي قائلاً: "يستحقّ صدقيني. قد فعل أمورًا عدّة بشعة لذلك أعتقد انه يستحقّ. دعيه يتألم ويلفظ أنفاسه الأخيرة. أما نحن، فدعينا نعيش كما يجب أن تكون حياتنا".

كنتُ منهارة حتى خرج. ووجدت أبي بدا وجهه شاحباً حتى هدأت أنفاسه وصار ساكناً تماماً، حتى وضعت يدي مرتجفة بحذر عند رقبته كي أثبت أنه لا زال حي.

حتى أيقنت ان به نبض تراخت اعصابي من شدة الرعب في تلك اللحظة سمعتُ صرير الباب، وحينها تيقنتُ بخروج ذلك الرجل. حاولتُ إيقاظَ أبي، لكنه لم يستجب.

نظرتُ في الأرجاء، فلا شيء يُثيرُ غرابتي. فكان المنزلُ مفرغًا تمامًا من محتواه: صالة وثلاث غرف، تمامًا كأي منزل هنا. نظرتُ عبر النافذة، وأشرتُ للعديد من

الأزرقيين حتى يساعدونني، ولكن لم ألقَ أي رد، وكأنني خاوية. حاولتُ كسرَ تلك النافذة، لكني فشلتُ كذلك. بدأ اليأسُ يتملكني، فعدتُ عندما سمعتُ أنين أبي كي أطمئن عليه.

نظرَ نحوي هذه المرة، ووضعَ يده على رأسي بحنان لم أجده من قبل. حاولَ أن يبتسم، ولكن عاودته الآلام مجددًا. صدرَ صريرُ الباب ليُعلن عن دخولِ ذلك المعتوه ومعه بعض الطعام والشراب.

ليتقدم ليطلب ببرود قائلاً: "تفضّلي حتى لا تتأذّي بسببي". وألقى ذلك الكيسَ المحمّل بالطعام بجانبي. وصار تجاه الباب. ظننتُه سيخرج، لكنه قبل ذلك التفتَ فجأةً وقال: "هناك أمورٌ يجبُ أن تعلميها. إنّ والدتك سيرينا بريئة، وأنا من صنعتُ لها كلّ تلك الفخاخ حتى تسقطَ مثلما أردتُ". ثمّ ضحكَ عاليًا وغادرَ.

كنتُ شاردةً حتى أمسكني أبي من يدي بقوة ولم ينطق. لكنّه كان يُحرّكُ رأسه بعشوائيةٍ، وكأنّه يُريدُ قولَ شيءٍ.

فكرتُ في البحث عن ورقةٍ وقلمٍ حتى أعرفَ ماذا يُريدُ أبي أن يقول. وكما توقّعتُ أنّ البيت كان فارغًا تمامًا، حتى رأيتُ ورقةً بيضاءَ تبدو أنّها قد دخلتْ عبر الباب. فأمسكتُها وذهبتُ بها لأبي قائلةً: "اكتبْ هنا يا أبي ماذا تُريدُ أن تقول". حاولتُ إيجادَ طريقةٍ للكتابة، حتى فكرتُ بأن يصنعَ إشاراتٍ للحروف على الأرض بيده حتى أجمعُها وأفهمَ ماذا يريد أن يقول.

طلبتُ منه ذلك، حتى فعله لأجده يصنع حرفًا حرفًا وفي النهاية اجمعتها ووجدته يكتب: "تلك لعبةٌ صنعتها سيرينا كي تلقي بالرجل إلى التهلكة بدلًا منه".

سألتهُ بتعجبٍ: "لماذا يفعلُ ذلك بنفسه إن كان ذلك صحيحًا؟".

ليكتبَ مجددًا: "إنّها مخادعةٌ، ربما أوقعته في فخٍّ ما ووعدته بشيءٍ كاذبٍ يصدّقه الأحمق".

نظرتُ إليه قليلاً وسألتهُ قائلةً: "ماذا يجبُ أن أفعل؟".

ليكتب: تابعيه جيدًا وأخبريه بأنك بمجرد خروجك من هنا ستقولين كل شيء للقائد ليث. وعندما يخرج، تفقدي الباب وستجدينه مفتوحًا. اهربي واذهبي للمحاكمة. وإياكِ أن تقولي أي شيء عما حدث هنا أو حتى عن ذلك الرجل، وإلا شاركتِ في جرائم سيرينا. صدقيني، إنه فخ لاستدراجك وجعلكِ تشاهدين كذبًا في المحكمة دون قصد. ثقي بي. قلت بقلق: "أتريد أن أشهد ضد أمي كيف؟"

ليكتب بإشارة الحروف: "تحقيق العدل ثمنه باهظ. واختبارك وقع ضد والدتك وهذا عسير، أعلم. ولكنك ستتحملين مسؤولية ما أُزهِق من أرواح حتى اللحظة وحينها ستخسرين نفسك."

لأرد يائسة: "وماذا عنك يا أبي؟ لا يمكنني تركك هنا."

حاول أن يكتب مجددًا، ولكن للأسف عاد الألم بقوة، فكان يتعسر أمامي وأنا عاجزة عن فعل أي شيء. كنت أبكي كما لو لم أفعل من قبل. أمي قاتلة وأبي يموت أمام ناظري.

بعد قليل عاد الرجل من الخارج ودخل، وعندما رأى أبي لا يزال يتألم. اقترب منا وكان يحمل شيئًا ما، تقريبًا دواء، فأخرجه من ذلك الكيس وقال: "إنه مسكن للألم، تفضلي، ولكن اعلمي أن هذا ليس دائمًا، ففي النهاية سيموت إن لم تستمعي لكلامي وطلبي".

أخذه أبي وتجرعه بالكامل، وبالفعل بدأ يظهر تأثيره، فآلام بدأ في التلاشي حتى غفا أبي، ومع ذلك صوته لم يعد بعد.

كان يجلس في غرفة أخرى، فذهبت إليه لأسأله عن والدي وماذا يريد، فقلت: "أنت ماذا تعني بما تفوهت به منذ قليل؟".

ابتسم وقال: "أن كنت تحبين والدك، اذهبي إلى المحاكمة واعترفي بأنني فعلت كل شيء، بدءًا من اختطاف الفتى البشري حتى إعلان الحرب".

لم أفهم شيئًا مما قال، ونظرت إليه بتعجب واستفهام، حتى لاحظ ذلك ثم تابع قائلا : "بالطبع تتساءلين لماذا أريدك أن تفعلي هذا، صحيح؟".

فأومأت بالإيجاب، ليرد: "هذا سيجرى كما هو مخطط من أجل أن أتزوجك".

"ماذا؟! " هتفت قائلة. ليجيب ببرود: "لا تقلقي عما يحدث، سأخرج من هنا قبل أن يأتوا هنا". ثم أشار باتجاه إحدى زوايا تلك الغرفة حيث كان هناك العديد من الصور والأوراق، ليتابع قائلاً: "كما تعلمين، لا يقتنعون بشيء إلا وكان هناك دليل". بعد تفكير، قلت: "هل أمي من طلبت ذلك حتى تخرج؟". عاد وجلس مجددًا وقال: "لا، ليس تمامًا، الأمر أنني أردت أن أتزوجك، وفي ذات الوقت كان عليّ أن أوقع والدتك حتى توافق على ذلك. طلبت منها في السابق، لكنها كانت ترفضني طوال الوقت". قلت بغضب: "أتريد أن تتزوج فتاة في عمر ابنتك؟".

قال: "أن كنت تحبين عائلتك وتريدين إنقاذ والدك وكذلك أمي، فافعلي ما طلبت، وبالمناسبة، لا تقلقي، سأخرجك من هنا يوم المحاكمة"

سيرينا نوكتورا

كان قرار إيقاف الحرب بمثابة قتلي حيًا. فلم يبقى على الحلم إلا خطوات قليلة. ولكن لا يزال البعض يتحكم ويتلاعب بهدفي وغرضي. ظننت أن إيقاف الحرب أصعب ما يكون، ولكن ما تلا ذلك كان أشد وأقوى، ليتضح لي أن خلف هذا القرار هو الفتى البشري مجددًا. لتحدث مواجهة أخيرة أكون فيها أنا المتهمة والقاتلة. الأمر الذي كان يتطور سريعًا جدًا لدرجة أن الحلم بات مستحيلًا. وحياتي تقترب فيكل لحظة على المحك.

فترة ما بين المواجهة والمُحاكمة. جعلتني أفكر في حل لتلك المعضلة حتى لا يصدر بشأنِي حُكمًا يسلب حياتي عنوة.

كل شيء تم كشفه في المواجهة الأخيرة، والإنكار لن يفيد. لذلك كان مفروضا أن ألْفِق تلك التهم لواحد من الأزرقيين تمامًا كما فعلت في ذلك الرجل بتهمة قتل والدي.

بعثت برسالة لصديق زوجي "فالين" بضرورة أن يأتي في ذلك اليوم. وكان ذلك ليكون الضحية التالية، حيث كان يرغب في الزواج من ابنتي. كنا نسخر منه ولا نعيره اهتمامًا، حتى أن عادل بات يعامله بشفقة. لأنّه كان وحيدًا منسيًا ومنعزلاً عن باقي الأزرقيين، بل عن أحوال عالمنا. ولحسن الحظ كان يحب هلا، فقد تعرف عليها عندما كان يأتي لزيارتنا.

وضعت الطعم وفي انتظار قدوم الضحية. بعد قليل طرق الباب، وكان هذا هو قمت باستقباله مبتسمة قائلة: "أهلاً بك فالين". ليرد: "ما الأمر؟".

لأسأله أولًا عما إذا كان سمع شيئًا عن المواجهة أو المُحاكمة، ليفاجئني بعدم المعرفة، وهذا من شأنه أن يسهل طريقي ويختصر ما أريد.

قلت: "فالين، فكرت جيدًا بشأن زواجك من ابنتي...".

قاطعني قائلاً بدهشة: "حقا؟". لأجيب: "نعم ولكن بشرط".

قال: "سأوافق على أي شيء".

ابتسمت وقلت: "على رسلك، الأمر ليس بهذه السهولة. ولكن كما تعلم، أحيانًا الحب يتطلب في مقابله تضحيات".

قال: "حسنًا، ما هو هذا الشرط؟". قلت: "أن تعترف بجرائم لم تفعلها". حاولت أن أفهم تعابير وجهه، لكني لم أستطع. فتابعت قائلة: "أنظر، مهما كان الحكم الصادر

ضدك لا يهم، لأنني سأخرجك من هنا قبل تنفيذ ذلك. أعدك بهذا. وستكون معك هلا في أي عالم تختار. ولن يعلم أحد بالأمر".

ليرد: "تريدين مني أن أكذب؟ لماذا؟ ومن فعل تلك الجرائم؟ وأي جرائم؟".

أجبت بحذر: "من حيث المبدأ هل موافق؟".

نهض من جلسته وقال بعد تفكير: "كيف أثق بك؟ أو بالأحرى، كيف ستخرجنني من هنا؟".

رديت: "هذا أسهل ما في الأمر، لا تقلق".

اقتربت منه وقلت: "فالين، أنا لستُ وحدي، ولدي العديد من الأصدقاء. ربما ليسوا هنا، لكن أعني من عوالم أخرى. متميزون يستطيعون فعل أي شيء متى أطلبه أنا. وهم من سيتمكنون من إخراجك. ما رأيك؟".

التف ونظر نحو النافذة وقال: "ما تطلبينه صعب. تريدين أن أتخلى عن عالمي؟". ثم عاد ونظر لي وتابع قائلاً: "من هذا الذي تريدين أن أعترف بجرائمه؟".

قلت: " أنا ...اسمع، إذا فعلت هذا وبقيت أنا حاكمة لمملكة الإيقاع، فحينها سأستطيع أن أعيدك. وربما أعطيك أيضًا منصبًا. ما قولك؟".

ليرد: "هذا خطير. كما أعلم أنك مخادعة. وربما تلقي بي إلى التهلكة".

لا أعرف بماذا أجيب ولكني سألته: "وكيف أجعلك تثق بي؟".

فكر قليلاً ثم قال: "عادل، سأحتجزه في مكان ما. وسأجعله يتجرع سمًا نادرًا. ولن يكون الترياق إلا معي. وعندما يحين الوقت، وأن أعترف على نفسي بكل شيء، لن أعطيك ترياق السم إلا بعدما تنفذي وعدك. وإن لم تفعلي، فسيموت موتًا محققًا".

كان مغفلاً لا يعلم حتى أنني لتوّ اختطفته كي أقتله. فقد أحضرته إلى إحدى المنازل التي بنيتها خصيصًا بشكل احتياط. وقد حان دوره تقريبًا. ذلك المنزل كان زجاجه لا يجعلك ترى من بداخله، لكنك تستطيع الرؤية من الداخل، بعكس منازل باقي الأزرقيين هنا. فجعلته من الخارج يبدو بيتًا ككافة بيوت المملكة حتى لا يلاحظ أحد أي تمييز أو اختلاف.

فقلت: "أنا لدي المكان الذي ستحتجزه فيه". ليرد: "حسنًا، إذاً أين عادل؟".

أخبرته على المكان وحذرته من أن يأتي بسيرتي أمامه. كما قلت له، لا تتعجب أيضًا، فهُو بات أخرس.

عندما اتفقت مع رجل الظل بأن يحضر لي عادل بعد المواجهة مباشرة، لأنني توقعت أن يفصح ويكشف أمري، طلبت منه أيضًا إحضار شيء من شأنه أن يجعله أخرس، لا يتكلم دون ظهور أي آثار على جسده. وقد فعل ونجح في ذلك، وأرسله لي ذلك المنزل المتفق عليه.

التفت فالين ليغادر لكنه وقف فجأة وقال: "ما هي تلك الجرائم تحديدًا؟".

"أذهب إلى هذا المنزل كما أخبرتك، وستجد هناك أوراقًا ملقاة في إحدى الغرف. خذها وستعرف ما هي".

"وعندما تجد أي شيء لا تفهمه، تعال هنا وسأخبرك".

وأخيرًا، خرج من منزلي. لم أتوقع أن يكون مغفلاً لهذا الحد.

بعد عدة ساعات، عاد فالين مجددًا بوجه مكفهر قائلاً: "تلك جرائم حكمها لا يقل إلا عن النفي في ذلك العالم. وتعلمين أن من يذهب هناك لا يعود ويبقى مجهول المصير".

قلت: "اخفض صوتك وادخل لنتحدث".

بعدما دخل، تابعتُ قائلة: "أنسيتَ ما قلته؟ لن تذهب لذلك المكان. هذا وعدنا. ولديك أيضًا زوجي. ألا يكفي؟ أنت تعلم كم أحبه ومن المستحيل أن أتخلى عنه".

كان مترددًا جدًا. قلقتُ أن يتراجع حتى رأيته يهز قدمه كثيرًا. فقلتُ: "لا تنسَ أنني حاكمة هذا العالم. ولدى الكثير لأصلحه".

نظر إليّ فجأة وقال بسخرية: "كيف أثق بك؟ لو كنتِ حقًا تستطيعين فعل شيء، افعليه. سأذهب وكأنني لم أراك. وداعًا".

صرختُ قائلة: "انتظر! لم أنتهِ بعد... أعلم أن الأمر صعبًا، ولكن فكر قليلاً. أنت لن يصيبك أي أذى إن اتبعتني. وسأجعلك تتزوج من حبيبتك. ألم تخبرني من قبل أنك تحب هلا؟

كما أنك ستخرج مباشرة من هنا عند صدور الحكم".

ساد الصمت بيننا. كنتُ أُبَثُّ كلامًا حتى أُقنعه. لذا ادركت كيف سأوقعه في الفخ وقلتُ: "لماذا متمسك بعالمنا إلى هذا الحد؟ هو لم يقدم لك شيئًا. أنت بالكاد تتعرف على زوجي. وأنا غير ذلك. أنت وحيد. ليس لديك عائلة أو أصدقاء. اهْرب من هنا وابني عائلة وأصدقاء في عالم آخر مع من تحب. فكر جيدًا قبل اتخاذ أي قرار مصيري كهذا".

النهاية

التقّت الأعين محمّلة بأسرار لم يجرؤ أحد على الإفصاح عنها. كلّ منهما يحمل تلك الغصّة العالقة، ولطالما كان القلق أكثر شيءٍ تداولًا.

الفتاة كتب عليها الانكسار وفرضت الحرب ضد من تحب. فهل تختار العقل أو تتبع القلب؟

أمّا الفتى، فحياته لم تتغيّر إلّا عندما ظهرت في حياته تلك الفتاة. ولولاها لكان جالسًا في مزرعته مسؤولًا عن أحمالٍ فُرضت عليه، ولما شعر بالسعادة والحزن، ولا بالحماسة، ولا حتى الخوف. لربّما حياته بدون تلك المشاعر المختلطة مملة، وتميل إلى حد محبط الى روتين كئيب، تشبه ذلك القطيع من بنى جنسه البشري.**

كلاهما يريد أن يبوح، ولكن ليس هناك آذان تصغي.

أمامَه كانت تسيرُ لِتُراقبه، عسى أن يفهمها. هل هي ذاتها منذ أوّل ليلةٍ رآها أم تبدلت مع الإيام؟

فكانت حائرة ومضطربة تلتفت من حينٍ لآخر لتراه فحسْب، وتردّد في نفسِها: هل هذا هو اللقاء الأخير؟

مرت تلك اللحظات الحاسمة ببطء شديد، وكأنّ الوقتَ ذاته يتعاطف معهما.

حتى دخلت الفتاة لتُكسرُ المحاكمة، لتشهد والداتها في حالةٍ لم تفكر بها قط، لتصبح متهمة وقاتلة بأبشع الجرائم. أمّا الفتى، فكان ينتظر على أحرّ من الجمر، يفكّرُ قائلاً: ترى كيف حالُ الفتاة؟ هل ستتقبّله أم ستغادر بلا عودةٍ على الإطلاق؟

طرح ذلك الاقتراح، فاستبعده مباشرةً. حتى لاحظت العجوز بجانبه تغيّر ملامحه وشروده، فقالت له مطمئنّة: "على رسلك يا بنيّ، بعد قليل سيأتي خبرٌ سعيد". ليجيب بحزنٍ بالغ: "أيّ خبرٍ هذا سيجعلني سعيدًا؟ فبعد قليل ربّما تُعاقب سيرينا بما فعلت، ولكن ماذا عن هلا لا تنسَى ابنتها. أنا حتّى لا أعلم هل من الممكن أن أراها مجدّدًا. أخشى أن أعود حيث كنتُ. لا أريدُ هذا ولا أطيق". بعد قرابة ساعتين، صدر صوتٌ يأمرُ باستدعاء الفتى مالك البشرى إلى الداخل. كان الصوتُ عالٍ لدرجة أن الجميع حدّق في البشري. يمكن القول بأنّ الصوتَ صدر ليسمع عالم مملكة الإيقاع بمجمله. تابع ذلك الأمر قدوم أحد الحراس للفتى، طالبًا بضرورة الدخول، حتى تتبعه مالك إلى هذا المكان الهائل ذو رهبةٍ عظيمة. وما زاد الأمر أولئك المنتظرين بالداخل، كان منفردًا ومتميّزًا. ففي تلك المحكمة، لا وجود لأيّ بشريّ، وهذا ما زاد من قلق الفتى وتعثره.

كانت سيرينا مقيّدة في المنتصف، وكان حولها يجلسُ الأزرقيون، وفي المقدّمة القائد ليث، وبجانبه حارسان اثنان ذو ثيابٍ مختلفة. فكانوا مرتدين ما يشبه الجلباب، وفوقه قطعةٌ أخرى تُغطّي الجزء العلويّ كاملةً بلونٍ أحمر، أمّا الجزء السفليّ فكان بلونٍ أبيض.

كان القائد والحارسان على مسافةٍ بعيدةٍ نسبيًّا عن سيرينا والأزرقيين، وفي الجانب الأيسر الفتاة ورجلٌ يبدو جديدًا لم يره أيّ من الموجودين.

قطع القائد ليث الصمت قائلاً: "تفضل يا فتى".

سار الفتى خلف الحارس بتوجس وقلق حتى قاده الحارس ليقف بجانب وفالين الغريب.

أشار ليث لأحد الحراس قائلاً: "قم بتقييد هذا في صومعة العزل".

كان الفتى خائفًا، لا يعلم ما الأمر ومن هذا الذي تم تقييده؟ توالت أسئلة كثيرة حتى تحدث مجدداً القائد ليث قائلاً:

"بعدما تأكدنا أخيرًا من ارتكاب سيرينا كافة تلك الجرائم التي اكتشفناها لتو في مرحلتي المناقشة والمواجهة الأخيرة، وتلك المحاكمة، صدر الحكم بشكل رسمي وواجب النفاذ.

وبناءً عليه، ستوضع سيرينا نوكتورا في معزل تام تحت إشرافي حتى يحين مراسم نهاية العام. وسأنفذ بذاتي، بصفتي حاميًا لعالم مملكة الإيقاع، هذا الحكم. أما عن من ادعى أنه مرتكب تلك الجرائم بالافتراء والكذب، فذلك أيضاً سينفي من ذوات الطائفة الثالثة بأمر من الحاكم إلى البحار والمحيط ليعود إلينا آخر جديد.

وهذا ما يستحقه. أما عن سبب استدعائي للفتى، فهذا لأجل الإشراف على ما سبق، وإضافة لذلك سيحكم عالِمَا مملكة الإيقاع بشكل مؤقت. وإذا نجح في تلك المهمة، ربما بشكل دائم. وبصفتنا نحن الإزرقيون، يجب أن نواظب على حمايته هو وعائلته في أي عالم يقرر أن يزوره. ذلك كله بحسب أعرافنا وعاداتنا. فمن يظلم هنا، بل ويضطهد عالمه ظلماً بسببنا، واجب أن يعوض. وبما أننا فعلنا ذلك دون أن ندرى بعدم مراقبتنا ألاعيب أحدنا،

فواجب منا أن نقدم اعتذارًا لما تحملته تلك الأيام الماضية.

يا سادتي، اليوم كشف أسرار وفظائع لم نكن نظن أن واحداً منا يفعلها. ومن كشف ذلك هو البشري مالك."

كانَت النظراتُ مُركّزةً نحوَ مالكَ الذي لا يَدرِي بعدُ عما جَرَى لتو أو حتّى ذلك الأحاديثُ بشأنِ حُكمِ هذا العالمِ. كانَ مَذهولًا، ومع ذلك قالَ بتردّدٍ وحذرٍ: "لا أريدُ شيئًا في الحقيقة ما أطلبهُ ألا تُقامَ حربٌ أخرى بين العالمين وأن أعودَ لعالمي بأمان."

نَهَضَ القائدُ ليثُ وقالَ: "تلكَ قواعدُ هُنا لا يجوزُ بأيّ حالٍ مخالفتُها. يجب أن تعلم أن هنا عالمُكَ الثاني، وكتبَ عليكَ أن تحكمُ الأزرقيّونَ بشكلٍ مؤقتٍ. وإنْ لم تتقنْ ذلك الدورَ أو لا تَرغبَ في مُواصلةِ الأمرِ، فحينها يمكنكَ أن تختارَ ما تريدُ. أنتَ عظيمٌ بالنسبةِ لنا، ولولاكَ لربّما هلكنا. ولا تَقلقْ، سأكونُ معكَ بعضَ الوقتِ لأُفهمكَ كلّ شيءٍ. والآنَ، أيّها الحارسُ، أعلنْ أنّ مالك البشري حاكماً لمملكةِ الإيقاعِ."

كانَ الأمرُ سريعًا، وفي عدّةِ لحظاتٍ شاعَ الخبرُ في العالمِ أجمع.

بعدَ خروجِ مالكَ بجانبِ القائدِ ليثَ في حالةٍ من الصدمةِ والذهولِ، توافدَ البعضُ من الأزرقيّونَ ليرحبوا بحاكمهم الجديدِ، وآخرونَ يشكرونَه على ما فعل وكأنه ليسوا ذاته الذى كان واقفاً في الخارج منذ قليل.

لم تستطعْ العجوزُ أن تصلَ إلى الفتى من كثرةِ الحشدِ من الأزرقيّونَ حولها، لكنّها كانت سعيدةً جدًّا بالخبر. وفي تلكَ الأثناءِ، رأت سيرينا بقوةٍ من الحراسِ مُشدّدةً، وتتابعها ابنتها هلا باكيةً تردّدُ: "لماذا؟ لماذا؟"

كانت حالتُها صعبةً جدًّا، حتى اشفقتْ عليها العجوزُ وذهبتْ لها بعدَ مغادرةِ سيرينا. وقفتْ الفتاةُ تتبعُ والدتها بنظراتِها، ربّما للمرةِ الأخيرةِ، في ألمٍ ووجعٍ كبيرٍ، حتى سمعتْ صوتًا، وكانَت تلكَ هي العجوزُ قائلةً: "يا فتاة."

التفتتْ هلا لمصدرِ الصوتِ لتتابعَ العجوزَ قائلةً: "أعلمُ أنّ ألمكِ كبيرٌ، ومع ذلك تذكري أنّها فعلتِ وأضرت كثيرًا... اسمحي لي أن أُحلّ مكانَها بالنسبةِ لكِ." ثمّ ابتسمتْ وأكملتْ: "أعلمُ أنّني عجوزٌ أكثر، لكنْ لا يهمّ، فقلبي لا يزالُ يعرفُ الأمومةَ."

مسحتْ الفتاةُ دموعَها وردّتْ: "لماذا فعلتِ هذا؟ أنا لا أفهمُ، هناك شيءٌ خاطئ..."

تذكّرتْ والدها ثمّ تابعتْ: "عليّ الذهابُ الآن، عن إذنكِ."

لكنّ المرأةَ العجوزَ لم تتركها وذهبتْ معها حتى وصلا لمكانِ احتجازِ عادلٍ. تمكّنوا من إخراجه، لكنّهم لم يعرفوا أيّ دواءٍ سيعالجه. ذهبوا لمنزلِ المرأةِ العجوزِ، وكانَ لا يزالُ عادلٌ يتألّمُ بشدةٍ، حتى أنّهم أتى بأغلبِ أطباءِ العالمِ، ولكنّ جميعهم اتّفقوا أنّ هذا المرضَ غريبٌ لم يسبقْ من قبلِ، وبالتالي لا وجودَ لدواءٍ له.

حتى اقترحتْ المرأةُ العجوز على هلا قائلةً: "ربّما الدواءُ يوجدُ في عالمِ البشرِ."

لتنهضَ هلا مسرعةً قائلةً: "سأذهبُ إذاً إلى هناكِ." لتوقفها العجوز معللة: "لا لا يجب أن يذهب الفتى بذاته فأنت تعلمين أن البشر زادت عدواتهم لنا بعد آخر حرب".

قالت هلا: "ماذا أفعل أن أبي يموت". لترد العجوز بخبث: "أطلبه منه ذلك كما علمت أنه يحب عادل وسيساعده حتماً صدقيني؟.

بعد تفكير تسأل الفتاة: "أين هو الآن". لترد العجوز: "أنه حاكمنا فبتأكيد مع القائد ليث في ذلك المكان".

ذهبت هلا مسرعة نحو منزل والدتها وتذكرت معها والدتها حينما كانت حاكمة اما الآن، فهي ابنة قاتلة.

ذهبت للفتى والتقت به مباشرة وكان معه القائد يتحدثان حتى قاطعتهما قائلةً لمالك: "أن أبي مريض جداً ولم أجد أي دواء هنا، فقد يكون في عالمكم رجاءً أن ذلك الرجل كان قد احتجزه ولم يعطِه دواءً بل مجرد مسكنات فحسب؟ هلا ساعدتني في إيجاد علاج له؟".

رد الفتى متسائلاً لليث: "طالما هكذا، بالتأكيد يعرف الرجل العلاج، هل نستطيع أن نسأله ام لا؟"

فذهب الثلاثة إلى الصومعة التي يقطن بها فالين لحين تنفيذ النفي.

دخل الثلاثة وبدأ يسأله القائد فقال: "ما ذلك المرض الذي أصبت به السيد عادل وما علاجه؟".

لم يجيب،،

طلب ليث من إحدى الحراس فتح باب الصومعة وكان مالك متعجباً، فالصومعة تلك متغيرة عما كان فيها، ولكن لم يكترث كثيراً نظراً لخطورة هذا الوضع.

بعدما فتح الباب، سأله مجدداً ليث قائلاً: "أن لم تجب على هذا السؤال فعقوبتك ستكون مثل سيرينا وستذهب معها، وهذا آخر تحذير، فأنت لا زلت على البر ولم تغرق بعد. أما لو مات السيد عادل بسببك انت، حينها سترحل مع سيرينا". قلق الرجل وأجاب أخيراً بقول: "أنه نادر، ومع ذلك ستجدانه في عالم البشر، وهذا هو اسمه وشكله". ثم أعطى لهما علبة صغيرة فارغة كنسخة من هذا الدواء، فهو لم

يضع في الحسبان أنه سيسجن ويصل به الحال هكذا، كان يظن أنه سيخرج من هذا العالم، وحينها كان سيرسل تلك النسخة لسيرينا.

أخذ مالك تلك العلبة منه وقال: "قد رأيته من قبل حقاً".

ثم تنهد وتابع قائلاً: "سأذهب وأحضره أنا".

قال ليث: "تمهل يا رجل، لتو صرت حاكماً لعالمنا وتريد أن تغادر من أول ليلة؟".

رد مالك بتعجب: "وما المشكلة؟ تقول إن عادل يموت وهي لا يمكن أن تذهب بمفردها. أنسَيت أننا تركنا العالم في حالة حرب بين البشر والأزرقيون؟ كما أنك أخبرتنا بالسماح للعودة لعالمي أو أي عالم أريد".

لتتدخل هلا قائلة: "هذا صحيح، أن الوقت ينفذ، رجاءً".

رد ليث وقال: "حسناً، ولكن ابقى على اتصال معي، سأبقى هنا بعد الوقت في انتظارك. ولا تنسي أنك بتِ مسؤولاً عن هذا العالم".

اقترح مالك على هلا قائلاً: "ابقِي مع والدك".

لكنها أجابت بالرفض وأصرت على الذهاب قائلة: "أن العجوز تراعاه كما أنني لا أرغب في رؤية أبي يتألم".

غادرا معاً في رحلة العودة لعالم البشر عبر ذات الوميض ليصل أخيراً إلى تلك المزرعة ويجد نفس السكون والغَم والحزن على الوجوه والملاحم وكأنه غادر من النعيم للجحيم.

كان ينظر الناس بتعجب وغضب في آن واحد سواء لمالك أو الفتاة حتى أن أغلب تلك الصيدليات التى ذهبوا إليها للبحث كان لديها العلاج ومع ذلك كانت ترفض حتى وافق إحداها أخيراً.

كانوا يتسابقون مع الوقت. قال الفتى في طريق العودة: "لا تقلقي، سيكون بخير".

لترد: "أتمنى ذلك".

صمت قليلاً وتابع قائلاً: "أعلم أن هذا ليس الوقت المناسب، ولكن ينتابني بعض الفضول".

لتجيب: "تفضل، اسمع".

حاول أن يقول حديثاً مرتباً حتى لا يتفوه بما يجرح إحساسها، لذا قال بحذر: "أتظنين حقاً أنني المتسبب في كل ما جرى؟".

صمتت حتى ظن أنها لن تجيب، لكنها ردت قائلة بحزن: "بلا، ليس لك ذنب. فكما قال القائد، قد أتيت لتكشف عنا الظالم... على أي حال، ليس ذنبك أن أمي هكذا. فأنت أو غيرك كانت ستفعل نفس الشيء وكانت ستلقى نفس الجزاء.

ما يؤلمني حقاً هو أنني لم أتوقع أن أمي بهذا الحد من السوء، وأن أبي الذي ظننته يكرهني هو العكس. شيء غريب لا يصدق".

ليرد الفتى: "بعض الحقائق تألم، خاصة عندما يتعلق الأمر بالثقة". ثم نظر إليها وأضاف: "وأيضاً أن تكون والدتك".

وصلا إلى المزرعة وعبر الوميض. حتى أن بعض البشر باتوا يرون ذلك الوميض ولم يخشون منه كما في السابق. هما فقط يتبعونها. هل من دخل يريد أن يؤذي أم قادم لمجرد زيارة؟

أخذ عادل الدواء، وبعد أيام قليلة بدأ في استعادة عافيته تدريجياً، لكنه لم يتمكن من استرجاع صوته. ومع ذلك، كان سعيداً، فقد اقترب نهاية العام، مما يعني الانتهاء من سيرينا.

تواصل كذلك مالك مع عائلته، بل وباتوا يأتون إليه من حين لآخر لزيارة عائلة خالد. فكان يوطّد العلاقات بين البشر والأزرقيين بل ويدرس للأطفال بعض القواعد في هذا العالم من مثلى عليا كالعدالة والسلام.

أما الفتاة، فلم تخرج مما هي فيه. وبدلاً من ذلك، كانت تزور والدتها في كل ليلة حتى تيقنت أن والدتها لم ولن تتغير وتندم، وستظل السيدة الغامضة الأولى.

قبل مراسم نهاية العام، كان مالك يجلس مع الفتاة. حينها كانت السماء صافية والرياح هادئة. فقال: "هناك سؤال منذ مدة أردت أن أسأله، وهو: ماذا جرى في تلك المحاكمة الأخيرة التي حدثت؟ ولماذا أنا أحكم عالمكم؟ أعلم أنني ربما فعلت شيئاً ما، ولكن لا أظن أنني أستحق كل هذا؟".

لتجيب: "في الحقيقة، قد قلت كل شيء حدث. وهناك، كما توقع أبي، أن أمي كانت تحاول إيجاد حلّاً لتخرج من تلك الكارثة. فبعثت بذلك الرجل الذي قيده وخدعته بأن يعترف على نفسه بارتكابه كل تلك الجرائم التي فعلتها أمي، بل وأيضاً بدلائل تثبت هذا. لكنني قاطعت عليه الطريق وسابقته. وفاجئني حتى الأزرقيون بدلائل عدة على إدانة أمي. وكذلك كان القائد ليث منهم. ففي الفترة التي تلت المواجهة، كان قد راقب أمي بل وبحث عن الماضي وعن كل شيء حتى أثبت أنه حقاً مدانة".

بينما يتبادل مالك وهلا أطراف الحديث، قرعت الطبول لتعلن عن بدء مراسم نهاية العام. قُسّمت الفئات إلى الطوائف الثلاثة، ومن بينهم كانت المرأة المتغطرسة سيرينا نوكتورا، فقد ضُمّت إلى الفئة الثالثة والأخيرة، حيث لا عودة بعد على الإطلاق بعد انتهاء عملية الانتقال. التقطت السماء بالأشعة المنبثقة من أعين الإزرقيون، وفي المقدمة كانت هلا ومالك، وبجانبهما العجوز والقائد، يشرفون ويرقبون عن كثب تلك المراسم وكيفية تنفيذها وانتهائها، لبدء عام آخر خالٍ من كل أشكال العداوة، ليعود حيث الشفافية والوضوح.

ولكن الجديد في الأمر أن علاقة البشر بمملكة الإيقاع صارت وطيدة وأكثر ترابطًا وأخوة ومحبة، وباتوا يتنقلون فيما بينهم.

مملكة الإيقاع لم تتحجّر، وإنما قامت بتغيير بعض الأساليب حتى تصبح أكثر تفردًا، ومن فعل ذلك هو الفتى مالك في فترة الوالي المؤقتة.

أما عالم البشر، تحديدًا تلك القرية، فصار أهلها لا يسلمون بكل قول، وإنما باتوا يدققون في كل شيء، ليتضح لهم أن أغلب الأساطير والروايات التي سمعوها ما هي إلا أكاذيب وافتراءات.

من قام بتغيير أفكار البشر عن الإزرقيون هو خالد، فقد أعجب بذلك العالم واتقانه اللامتناهي، لذا أخذ بنصيحة أخيه بضرورة إحلال السلام بدلاً من الشحنة بين البشر وسكان مملكة الإيقاع.

أما على الجانب الآخر، فقد تبدّل حال عادل وصار متقبلًا نفسه، حيث قد أعيد وجهه لسابق عهده، ولم يعد يحزن أو حتى يلقي بالًا لما يقال. وإضافة لذلك، أصبح لا يتحدث، وكان يتواصل عن طريق الكتابة ليفتح لنفسه مجالًا آخر يشفى غليل قلبه وأحزانه. واكتفى بأن يرى ابنته هلا سعيدة، خاصة بعدما اكتشف كم هو ظالم بحقها.

هو من أخبر مالك بأن ابنته بشرية، وحينها كان رد مالك سعيدًا لدرجة لا توصف. ولهذا السبب طلب أخيرًا أن يتزوجها من والدها.

أما عن العجوز ورحلة البحث عن حفيدها فكانت من نصيب مالك كما وعدها.

ومع ذلك لم ينجح في العثور عليه إلا أن أتى خبراً مفاجئاً بعدما تمكن اليأس من صاحبنا وكذلك من العجوز في عملية البحث عن فتى ضائع ينحدر نسله من كائنات غريبة تدعى الأزرقيون من مملكة الإيقاع للكشف عن موطن هذا الحفيد والى أي عالم ينتمى واي عالم كان فيه أسير.